الجمهورية الجزائرية الشعبية الديمقراطية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي-

معهد العلوم الإسلامية

قسم أصول الدين

أثر السنة وآثار السلف في حفظ الدين

مذكرة تخرج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر في العلوم الإسلامية- تخصص: علوم الحديث

الطـــــالب: **المشـــــرف:**

لضفار لمين **الدكتور تومي نور الدين**

لجنة المناقشة:

الإسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
شكيمة عبد القادر	دكتور	**جامعة الشهيد حمة لخضر– الوادي–**	رئيسا
تومي نور الدين	دكتور	**جامعة الشهيد حمة لخضر– الوادي–**	مشرفا ومقررا
محمد رمضاني	دكتور	**جامعة الشهيد حمة لخضر– الوادي–**	عضوا

السنة الجامعية: 1442-1443هـ/2020-2021م.

ملخص الأطروحة

يتناول هذا البحث قضيتين من قضايا الإسلام الكبرى، وهي منزلة السنة ومكانتها من دين الإسلام، ومنزلة وفضل حملة السنة الأوائل من الصحابة رضي الله عنهم ومن اتصل بهم من أصحاب القرون الأولى؛ وقد زلت في القضيتين أقدام طوائف ممن انتسب إلى الإسلام، فوقع الجفاء تجاه النبي وسنته، ووقعت الفجوة والتنكر للسلف الصالح الذين ثبت فضلهم في نصوص الكتاب والسنة، واستهين بما كانوا عليه من علم واعتقاد وفهم وعمل؛ فجاء هذا البحث ليُظهر علو منزلة السنة بدلالة القرآن فضلا عن السنة، وأنه لا غنى لأحد بالقرآن عنها، ويُجلي الأدلة التي تقطع بخيرية أهل القرون الأولى، وسبقهم في كل خير، وأن الله هيأهم لحمل ميراث النبوة وتبليغه، ولولا ثبوت عدالتهم –في الجملة– لما جعلهم الواسطة في نقل الوحي لمن بعدهم، وفيه بيان كيف بقي هذا الدين محفوظا–بحفظ الله– ثم بجهود أهل الحديث المجددين الذين اعتنوا بما ورثوه عن السلف من ميراث النبوة مقترنا بآثارهم في العلم والعمل التي كانت مثلا للوسطية التي ارتضاها الله لعباده فكانوا فرقانا بين أهل الغلو والجفاء في كل عصر.

Thesis summary

This thesis deals with two major subjects of Islam, which are the status of the Sunnah and its position in the religion of Islam, and the status and virtue of the early bearer of the Sunnah from the Companions, may God be pleased with them, and those who were in contact with them from the first centuries; on these two subjects, sects of those who were affiliated to Islam slipped up, and estrangement occurred towards the Prophet ﷺ and his Sunnah, and a gap occurred with a denial of the pious predecessors whose virtues were proven in the texts of the Qur'an and Sunnah, and they underestimated their knowledge, belief, understanding and action. This thesis came to show the high status of the Sunnah in terms of the Qur'an as well as the Sunnah itself, and that no one can benefit from the Qur'an without it, and it clarifies the evidences about the benevolence of the people of the first centuries and their precedence in every best, and that God prepared them to carry the inheritance of prophecy and communicate it, and if they were not proven to be fair - in general – he would not made them the intermediary in transmitting the revelation to those after them, and it explains how this religion remained preserved - by the protection of God - and then by the efforts of the Hadith scholars renovators who took care of what they inherited from the predecessors of the inheritance of prophecy coupled with their knowledge and work effects which were an example of the moderation that God accepted for his servants, so they could differentiate between the people of exaggeration and estrangement in every era.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾، ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾، ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما﴾، أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله ﷻ، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ،وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾

إن من أعظم منن الله تعالى على عباده المؤمنين، بعثة هذا النبي الكريم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، الذي كان سببا في زوال ظلمات الجاهلية بما بعثه الله به من الهدى والنور، وعظمت المنة والنعمة بإكمال الله له الدين.

قال تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾

ولقد حصل هذا الكمال كما أخبر به الله سبحانه، فليس شيء يحتاج إليه العباد في أمر دينهم إلا وفي هذا الدين بيانه والدليل عليه، عرفه من عرفه وجهله من جهله.

ومن مظاهر نعم الله على عباده المؤمنين في هذا الدين، أن حفظه وأبقاه وسخر له من يحرسه ويبلغه كما تلقاه، فحفظ القرآن من التبديل والتحريف، وهيأ للسنة جهابذة ينفون عنها تحريف

الغالين وتأويل الجاهلين وانتحال المبطلين، وفي كل قرن يبعث طائفة أبدالا يجددون لهذه الأمة الدين ويردون الناس إلى الأمر الأول العتيق.

وإن من المباحث القيمة التي ينبغي إظهارها وإبرازها وتخصيصها بالبحث والجمع قضية حفظ هذا الدين بسببين عظيمين، بات من النصح العظيم للأمة في هذا الزمان الحديث عنهما بشتى الأساليب التي تبرز قيمتهما في هذه الأمة العظيمة، وهما:

السنة النبوية، وآثار السلف الصالح.

ويتأكد ذلك بعد أن وقع التهوين من شئنهما بمظاهر شتى من الإجحاف والجفاء، وتظهر أهمية طرح هذه الموضوع -أيضا- من خلال الهجمة على تراث هذه الأمة عموما، والشبهات المثارة حول نبينا صلى الله عليه وسلم وسنته وصحابته رضي الله عنهم بصفة خاصة، فكان من النصرة لدين الله تجديد الطرح في هذا الموضوع بشتى الأساليب، وتكثيف الجهود في ذلك، مستمدين العون من الله.

ومن المهم في هذا البحث الربط بين مكانة السنة ومكانة علم حملتها ومن دَوَّنها ونقلها للأمة عبر عصور الرواية، فلهم الفضل بعد الله في حفظ الدين وتجديده، خلال قرون الأمة المتطاولة التي تعرضت فيها لشتى أنواع الفتن والمحن، فهم من تحمل هذا العلم وكانوا في ذلك عدولا مؤتمنين.

والسنة قد لقيت من المكر ومحاولات التهميش والتشكيك مما هو مشهور معلوم، من طوائف مختلفة، سواء منهم من ينتسب لهذه الأمة من الفرق الضالة وأهل البدع والكلام، ومن غيرهم ممن ناصب العداء لهذه الأمة من اليهود والنصارى، ومن انتسب اليهم من المستشرقين ومن سار على مناهجهم ممن اغتر بهم، فطعنوا في السنة وشككوا في كتابتها وحملتها وتدوينها وحجيتها، ونحو ذلك من الطعون والافتراءات التي ما فتؤوا يبثونها بشتى أنواع الوسائل والأساليب، وقد تصدى أهل العلم قديما وحديثا لهذا المكر وصنفوا في رد ذلك ما تقر به العين ولله الحمد، فقرروا حجية السنة ومكانتها في التشريع، وأظهروا مكانة حملتها ونقلتها ومن صنف فيها، وردوا ما نسب إليها من مطاعن وشبهات، وكثرت في ذلك مصنفاتهم وكان لها بحمد الله النفع العميم، لكن الحاجة باقية لكل جهد يظهر جانبا من جوانب نصرة السنة مما يحتاج إليه الناس.

وقد لقي سلف هذه الأمة الصالحون من الأذى والطعن والظلم والإفتراء ما لا يخفى على من له ادنى اطلاع على تراث هذه الأمة ودينها وتاريخها، وقد تولى كبر ذلك كذلك طوائف ممن ينتسب لهذه الأمة ومن غيرها، كالخوارج والرافضة قديما، والمستشرقين والليبراليين والحداثيين حديثا، ولما كان الذب والدفاع عن السلف واجبا لا مرية فيه، تبعا لما جاء في نصوص الكتاب والسنة من الثناء عليهم وذكر فضائلهم، تناقل أهل العلم فضائلهم في مصنفاتهم، وذبوا عنهم وقرروا أن محبتهم وذكرهم بالجميل من أمارات السنة و الجماعة والاتباع.

وإني أحاول في بحثي هذا إبراز أهمية هذين السببين العظيمين: السنة وآثار السلف وأبين أثرهما في حفظ وتجديد الدين من خلال الأدلة الشرعية وبعض الأدلة النظرية، وتأييد ذلك بنماذج واقعية من تراث أمتنا العظيمة، وجهود أئمة الحديث الذين كان لهم الفضل بعد الله سبحانه في بقاء وصيانة هذا التراث.

أما عن الدراسات السابقة في الموضوع، فلا ريب عند كل مطلع أن موضوع مكانة السنة وفضل علم السلف لقي من العناية بقدر حاجة الأمة إليه، وبقدر ما أثير حوله من شبهات، لكن لم أقف في حدود ما طالعت على دراسة مطابقة لهذا البحث، تجمع عناصره من مكانة السنة وآثار السلف وأثر عناية المحدثين بهما في حفظ وتجديد دين الإسلام، مع التمثيل لذلك بأمثلة واقعية تبعث الطمأنينة وترسخ اليقين في نفس القاريء أكثر والله أعلم، وإن كانت بعض عناصر هذا البحث مبثوثة في بعض من المصنفات القديمة والمعاصرة.

فمن أوائل الدراسات فيما يتعلق بمكانة السنة وحجيتها ورد بعض الشبهات حولها: كتاب الشيخ مصطفى السباعي رحمه الله الذي هو في أصله رسالة تقدم بها لنيل شهادة الدكتوراة في جامعة الأزهر عام 1369هـ 1950م ويدور موضوع كتابه حول محورين أساسيين: الأول: مادة تأصيلية فيها بيان مكانة السنة في التشريع وحجيتها وجهود الأئمة في مقاومة حركة الوضع، والمحور الثاني: مادة نقدية رد فيها على أبرز الشبهات المعاصرة حول السنة كشبهات المستشرق اليهودي جولدتسيهر، والكاتب المصري أحمد أمين وأبو رية صاحب أضواء على السنة المحمدية، ومما لم يتطرق له المصنف رحمه الله ما يتعلق بمكانة السنة في تقرير المعتقد الصحيح ورد البدع الكبرى، التي

ابتليت بها الأمة، وغاية ما قرره حجيتها فيما يتعلق بالتشريع، أي باب الفقه والعمل دون الاعتقاد، وإن كان ذلك داخل ضمنا في إثبات حجية السنة، لكن التنصيص عليه وبيان مكانة السنة مع آثار وعلم السلف في صيانة الدين أمر هام للغاية، وهو ما ضمنته -إجمالا- هذا البحث.

فقد عقدت عزمي —مستعينا بالله نصرة لدين الله ﷻ معترفا بتقصيري- على إبراز جوانب مما يتعلق بحفظ دين الله بهذين السببين العظيمين سنة رسول الله ﷺ وآثار السلف من أهل القرون المفضلة الذين رضي الله عنهم، وأجمعت كلمة أهل السنة على خيريتهم وفضلهم على من جاء بعدهم.

وقد عنونت لبحثي بـ: **أثر السنة وآثار السلف في حفظ الدين،** وجعلته في ثلاثة فصول على نحو الخطة التالية:

المقدمة: وفيها بيان كمال دين الإسلام، وحفظ الله له، وأهمية موضوع مكانة السنة ومنزلة السلف، وأهم دراسات الموضوع السابقة، والخطة.

الفصل الأول: منزلة السنة النبوية وآثار السلف في الإسلام:

وفيه **تمهيد:** بينت فيه ما يتعلق بالسنة من معاني، وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: بيان منزلة السنة من خلال النقل والعقل.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: منزلة السنة من خلال نصوص القرآن الكريم.

المطلب الثَّاني: منزلة السُّنة من خلال نصوص السنة.

المطلب الثالث: الاستدلال العقلي على منزلة السنة وحجيتها.

المبحث الثاني: علو منزلة السنة عند السلف والأئمة.

وفيه **توطئة:** ذكرت فيها أهمية مطالعة سير السلف، ومطلبان:

المطلب الأوَّل: منزلة السنة وصاحبها ﷺ عند الصحابة رضي الله عنهم.

المطلب الثاني: منزلة السنة وصاحبها ﷺ عند السلف والصالحين بعد الصحابة رضي الله عنهم.

المبحث الثالث: فضل السلف الصالح في الإسلام.

وفيه **تمهيد:** فضل السلف إجمالا وبيان أهمية إجماعهم وحكم اختلافهم، وتحديد المقصود بالسلف ومطلبان:

المطلب الأول: فضل السلف -رضي الله عنهم-.

المطلب الثاني: بيان أن اختلاف السلف وتنازعهم لا يقدح في فضلهم وعدالتهم.

الفصل الثاني: جهود المحدثين في العناية بالسنن والآثار.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: معالم وأساسات قامت عليها الرواية عند أهل الحديث.

وفيه **تمهيد:** بيان فضل أمة الإسلام بعناية المحدثين بالأسانيد، وأربعة مطالب:

المطلب الأول: اعتبارهم السنة وحيا.

المطلب الثاني: عنايتهم بالتلقي والتحمل والحفظ، والأداء والبلاغ، والرحلة وطلب العلو وتكثير الطرق.

المطلب الثالث: عنايتهم بالسنن والآثار كتابة وتدوينا وتصنيفا.

المطلب الرابع: عنايتهم بعلم الرجال والجرح والتعديل.

المبحث الثاني: المصنفات التي أثمرتها جهود المحدثين.

وفيه **توطئة:** أشرت فيه إلى نشأة تدوين الحديث، ومطلبان:

المطلب الأول: المصنفات في المتون.

المطلب الثاني: المصنفات في علم الرجال.

الفصل الثالث: مظاهر حفظ السنة وتجديد الدين عند السلف والمحدثين.

وفيه **مدخل**: تحدثت فيه ﷺ حفظِ اللهِ لكتابه وسنة نبيه ﷺ، و خطر البدع والمحدثات وشدة تحذير النبي ﷺ منها، وبيان أن العقيدة الصحيحة مستمدة من الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح، وذكر معنى التجديد، ومبحثان:

المبحث الأول: مظاهر حفظ السنة وتجديد الدين عند المتقدمين.

المبحث الثاني: مظاهر حفظ السنة وتجديد الدين من خلال جهود بعض العلماء المتأخرين من المعاصرين.

ثم **الخاتمة** وفيها الإشارة إلى أهم النتائج؛ وأسأل الله العون على مرضاته، وأن يتقبل جهد عبد مقل معترف بالتفريط في جنب الله عز وجل، وأتوجه بالثناء –بعد الله ﷻ– شاكرا شيخنا الدكتور نور الدين تومي –حفظه المولى عز وجل– عما جاد به من توجيهات انتفعت بها كثيرا، وأسأل الله ﷻ أن يسلك بنا سبيل المؤمنين الذين اصطفاهم لتجديد وحفظ دينه، والحمد لله والصلاة والسلام على خير خلق الله وآله وصحبه ومن والاه.

الفصل الأول: منزلة السنة النبوية وآثار السلف في الإسلام

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: بيان منزلة السنة من خلال النقل والعقل.

المبحث الثاني: علو منزلة السنة عند السلف والأئمة.

المبحث الثالث: فضل السلف الصالح في الإسلام.

تمهيد: في معنى السنة لغة واصطلاحا

سنتطرق ابتداء إلى المعنى اللغوي للفظ السنة، ونبين العلاقة بينه وبين ماورد لهذه اللفظة من معان في الاصطلاح، فإن المتأمل لمعاني السنة في اللغة يجد لها ارتباطا وثيقا بما ينطبق عليها من مدلولات شرعية تبين منزلتها ومكانتها، ذلك أن الذي أطلق هذه اللفظة هو الصادق المصدوقﷺ أفصح من نطق بالضاد.

فتطلق السنة في اللغة على عدة معاني:

أولا: الطريقة والسيرة:

قال الجوهري-رحمه الله-: "السنة: الطريقة"[1].

وقال ابن فارس-رحمه الله-: "السُّنَّةُ، وَهِيَ السِّيرَةُ، وَسُنَّةُ رَسُولِ اللَّه ﷺ : سِيرَتُهُ. قَالَ الْهُذَلِيُّ:

فَلَا تَجْزَعَنْ مِنْ سُنَّةٍ أَنْتَ سِرْتَهَا ... فَأَوَّلُ رَاضٍ سُنَّةً مَنْ يَسِيرُهَا"[2]

وجمع بينهما في اللسان فقال: "وَقَدْ تَكَرَّرَ فِي الْحَدِيثِ ذِكْرُ السُّنَّة وَمَا تَصَرَّفَ مِنْهَا، والأَصل فِيهِ الطَّرِيقَةُ والسِّيرَة"[3]

وسواء كانت الطريقة محمودة أو مذمومة، وقد ورد هذا المعنى في كتاب الله ﷻ ومنه قوله ﷻ: ﴿سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا﴾ [سورة الإسراء: 77].

وقوله ﷻ : ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين﴾ [سورة الأنفال: 38].

ثانيا: ابتداء الأمر:

قال الزبيدي -رحمه الله- : "وكلُّ مَنِ ابْتَدَعَ أَمْراً عَمِلَ بِهِ قوْمٌ بعْدَه قيلَ: هُوَ الَّذِي سَنَّه؛ قالَ نُصَيْبٌ:

كأَنِّي سَنَنتُ الحُبَّ أَوَّلَ عاشِقٍ من الناسِ إِذْ أَحْبَبْتُ من بَيْنِهم وَحْدِي"[1]

---

(1) "مختار الصحاح" (ص155)

(2) "معجم مقاييس اللغة" (61/3)

(3) ابن منظور "لسان العرب" (225/13)

ومنه قوله ﷺ: " من سنَّ في الإسلام..." [2]

ثالثا: جريان الشيء أي استمراره:

قال ابن فارس –رحمه الله– : "السِّينُ وَالنُّونُ أَصْلٌ وَاحِدٌ مُطَّرِدٌ، وَهُوَ جَرَيَانُ الشَّيْءِ وَإِطْرَادُهُ فِي سُهُولَةٍ"

ثم لما ذكر معنى السنة وهي السيرة، قال: "وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَجْرِي جَرْيًا"[3].

للسنة في الاصطلاح: عدة اطلاقات أُجملها فيما يلي:

الأول: إطلاق عام:

ومنه قوله ﷺ: " فمن رغب عن سنتي فليس مني"[4]

أي طريقتي بالمعنى العام للشرع الذي كان عليه صلى الله عليه وسلم.

الثاني: إطلاق خاص، ولها عدة إطلاقات:

الأول: الإعتقاد الذي كان عليه السلف:

قال شيخ الاسلام –رحمه الله–: "وَلَفظ السّنة فِي كَلَام السّلف يتَنَاوَل السّنة فِي الْعِبَادَات وَفِي الاعتقادات، وإن كَانَ كثير مِمَّن صنف فِي السّنة يقصدون الْكَلَام فِي الاعتقادات، وَهَذَا كَقَوْل ابْن مَسْعُود وابي بن كَعْب وأبي الدَّرْدَاء ﷺ: "اقتصاد فِي سنة خير من اجْتِهَاد فِي بِدعَة"، وأمثال ذَلِك"[5].

---

(1) "تاج العروس" (243/35)، وذكر بعضهم البيت هكذا : من الناس (أو) بدل (إذ) أحببت من بينهم وحدي.

(2) الحديث أخرجه مسلم (1017) وغيره. وابتداء الأمر هنا نسبيٌّ، بمعنى أن من سنَّ في الإسلام سنة حسنة يطلق على من عمل عملا مشروعا واقتدى به الناس فيه ولو لم يكن هو أول من ابتدأه، فهو مبتدئ باعتبار من عمل بعده مثله، أما بالنسبة للنبي ﷺ فهو مبتدئ حقيقة لأنه أول من عمل بما يطلق عليه سنة الرسول صلى الله عليه وسلم.

(3) "مقاييس اللغة" (61/3)، وهذا معنى لطيف أشار إليه رحمه الله يدل على صفة عظيمة للسنة النبوية وهي جريان وبقاء العمل بها ومنه قولهم سنة جارية كما قال بديع الزمان الهمداني: ثُمَّ صَارَت سُنَّةً جَارِيةً ... كُلّ مَن أَمكَنَهُ الظُلمُ ظَلَمَ، والله أعلم.

(4) متفق عليه، من حديث أنس ﷺ.

(5) "الاستقامة" (310/2).

وعلى هذا المعنى صنَّف السَّلف الكتب الموسومة بـ: "السُّنة"، كالسنة لعبد الله بن أحمد، والسنة لابن أبي عاصم، والسنة للطبراني، والسنة للخلال، وغيرها من كتب الاعتقاد.

وقد أطلق السَّلف السُّنة على العقيدة في مقابل البدعة، فلما ظهرت الفرق المبتدعة وكان ابتداعهم في العقيدة، قابلهم السلف بتسمية الحق والعقيدة الصحيحة بالسنَّة، أي مقابل البدعة، ولذلك تسمى عقيدة أهل السنة، في مقابل عقيدة أهل البدع.

الثاني: عند الفقهاء:

وهي ما يقابل الواجب، وهو ما أمر به أمرا غير جازم، وهو المستحب أو المندوب، فهم يبحثون في السنة من جهة درجة الحكم الثابت شرعا[1].

الثالث: عند الأصوليين:

وهي ما نسب إلى النبي ﷺ: من أقوال وأفعال وتقريرات، مع اختلافهم في همه بالشيء صلى الله عليه وسلم ، وهؤلاء بحثوا في السنة عما يصلح دليلا للحكم الشرعي مما لا يصلح عندهم[2].

الرابع: عند أهل الحديث:

وهي ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، أو صفة خلقية أو خلقية، أو سيرة بعد البعثة، ويدخل بعضهم ما قبلها، فهؤلاء بحثوا في الرسول الأسوة القدوة صلوات الله وسلامه عليه، فهم أوسع عناية بالسنة من غيرهم وأسعد الناس به ﷺ[3].

---

(1) انظر "الموسوعة الفقهية الكويتية" (264/25)، كذلك (101/41)، و"الفقه الإسلامي" للزحيلي (403/1).

(2) انظر "إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول" للشوكاني: (95/1) قال رحمه الله: و(السنة) فِي الْأَدِلَّةِ مَا صَدَرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَيْرِ الْقُرْآنِ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ أَوْ تَقْرِيرٍ، وَهَذَا هُوَ الْمَقْصُودُ بِالْبَحْثِ عَنْهُ فِي هذا العلم.

(3) انظر لذلك: "تدوين السنة النبوية" للدكتور محمد مطر الزهراني –رحمه الله– ، و"مكانة السنة النبوية" للدكتور عمر بن مصلح الحسيني، ومما سمعناه من شيخنا الزهراني عند قراءة الكتاب عليه أن السنة عند المتقدمين من السلف كان معناها محصورا في أمرين: الأول: ما يقابل القرآن، الثاني: ما يقابل البدعة، ثم في العصور المتأخرة بعد وضع المصطلحات توسع استعمال مصطلحها وتميز بين الفقهاء والمحدثين والله أعلم.

تنبيه: قد تطلق السُّنة مقيدة مضافة إلى عمل الصحابة وخصوصا الخلفاء الراشدين، كقوله ﷺ: "سنة الخلفاء الراشدين"[1]، وفيه التنويه بما جرى عليه الخلفاء من السيرة والطريقة في الدين من بعده لأنها مستمدة من سنتهﷺ.

(1) في حديث العرباض بن سارية ﷺ، وسيأتي الإشارة إليه في هذا البحث.

المبحث الأول: بيان منزلة السنة من خلال النقل والعقل.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: منزلة السنة من خلال نصوص القرآن الكريم.

المطلب الثَّاني: منزلة السُّنة من خلال نصوص السنة.

المطلب الثالث: الاستدلال العقلي على منزلة السنة وحجيتها.

المطلب الأول: منزلة السنة من خلال نصوص القرآن الكريم.

وأذكر هنا —إن شاء الله– أبرز الآيات في الباب، مع الإشارة إلى بعض أوجه الدلالة منها:

فقد دل كتاب الله ﷻ على منزلة السنة وحجيتها من وجوه كثيرة ومتعددة؛ فمن نظر في كتاب الله ﷻ وتدبر سياق الآيات التي ذكر فيها الرسولﷺ لوجد تنوعا في الاهتمام بالرسولﷺ وما يصدر منه، بما يدل على منزلة السنة ومنزلة صاحبها، فأحيانا يأمر اللهﷻ بطاعة الرسول ويقرر أن طاعته طاعة لله، وبجعل طاعته علامة على الهدى بل على الإيمان وحب الله ﷻ، وأحيانا يحذر من معصيته ومخالفة أمره ويجعله علامة على الزيغ، بل والشرك والكفر، وأحيانا يأمر بتحكيم سنته وحكمه والاستسلام لذلك وينفي الإيمان عمن لم يفعله، وأحيانا يُذكِّر من يرجو الله والدار الآخرة بأنَّه الأسوة التي ينبغي الاقتداء به، وغير ذلك.

والمتدبر لتلك الآيات يجد أن من أكثرها التي أمر فيها بطاعة الرسول ﷺ مطلقا.

قال الإمام أحمد–رحمه الله–: "نظرت في المصحف فوجدت طاعة الرسول ﷺ في ثلاثة وثلاثين موضعا"[1].

وقد ألف –رحمه الله– في ذلك كتابا باسم "كتاب طاعة الرسول ﷺ" بين ابنه صالح سبب تأليفها بقوله: "هذا كتاب عمله أبي في مجلسه ردا على من احتج بظاهر القرآن وترك ما فسره به الرسول ﷺ ودل على معناه وما يلزم من اتباعه وأصحابه رحمة الله عليهم"[2].

وسأذكر هاهنا بعض الآيات من غير مراعاة لترتيبها في المصحف، ولكن باعتبار ارتباط مدلولها ومعناها، فمنها ما ورد فيها الأمر بطاعة الرسول ﷺ وامتثال سنته، سواء مقترنة بطاعة الله تعالى أو مستقلة، أو مقترنة بالكتاب، أو بيان أن ما يصدر عن النبي ﷺ هو وحي، أو الأمر بتحكيمه

---

(1) نقل هذا عن كتابه المذكور بعض الأئمة كشيخ الإسلام –رحمه الله– في "الصارم المسلول" (1ص59)، وفي الجزء الذي جمعه عبد العزيز بن محمد السدحان جمع فيه شتات كتاب الإمام أحمد –رحمه الله– ، وسماه جامعه: "الملتقط من كتب طاعة الرسول" أثبت فيه أنه قال : "ذكر الله تبارك وتعالى طاعة رسول الله في القرآن في غير موضع" ص 26

(2) انظر "الملتقط من كتاب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم"، عبد العزيز السدحان.

والتسليم لحكمه، أو ما فيه الأمر بالاستجابة لأمر الرسول ﷺ، والحذر من مخالفته، ليعلم أن هذا الأمر لا ريب فيه، وأنه مؤكد في كتاب الله، ليرسخ عند كل من آمن بالله واليوم الآخر:

فمن ذلك قول ﷻ: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾[سورة آل عمران: 32]

ومنه قوله ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[سورة النساء: 59]

وقال ﷻ: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾[سورة المائدة: 98]

ومثلها في التغابن قال ﷻ:﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ[سورة التغابن: 12]

وقال ﷻ: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[سورة الأنفال: 1]

وقال ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾[سورة الأنفال: 20]

وقال ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُ ﴾[سورة محمد: 33]

والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وقال ﷻ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيماً﴾[سورة النساء: 64]

وهذه الآيات التي مضت، كلها وردت بلفظ الطاعة للرسول ﷺ آمرا بذلك المؤمنين، وفي آية النساء الأولى الأمر بالرد إلى الله ﷻ، أي إلى كتابه، وإلى الرسول ﷺ، وهو الرد إليه –عند التنازع–

في حياته، والرد إلى سنته بعد موته، وفي الآيتين الأخيرتين من سورة النساء، حصر حكمة إرسال الرسل عليهم السلام في طاعة الناس لهم.

وكثرة الآيات في هذا المعنى يدل على أهمية طاعة الرسول ﷺ، وأن طاعته من طاعة الله ﷻ، لذلك قال ﷻ: ﴿من يطع الرسول فد أطاع الله﴾[سورة النساء: 80] وهي سبب لكل خير عاجل وآجل لذلك قال ﷻ: ﴿وإن تطيعوه تهتدوا﴾ الآية [سورة النور: 54]، وقالﷺ: "من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى"[1] (أي أبى دخول الجنة).

وآيات ذكر فيها الكتاب والحكمة:

قال ﷻ: ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[سورة البقرة: 129]

وقال ﷻ: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾[سورة آل عمران: 164]

وقال ﷻ: ﴿ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾[سورة النساء: 113]

وقال ﷻ: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[سورة الجمعة: 2]

وقال ﷻ: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾[سورة الأحزاب: 34]

وقد ذكر غير واحد من السلف، أن الحكمة في هذه الآيات هي: "السنة".

قال شيخ الإسلام –رحمه الله–: "وقال ﷻ: "هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة"، وقال ﷻ عن الخليل عليه السلام: "ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم"، وقال ﷻ: "واذكرن ما يتلى في

(1) أخرجه البخاري (7280)

بيوتكن من آيات الله والحكمة"، وقد قال غير واحد من العلماء منهم يحيى بن أبي كثير وقتادة والشافعي وغيرهم (الحكمة) هي السنة؛ لأن الله أمر أزواج نبيه أن يذكرن ما يتلى في بيوتهن من الكتاب والحكمة، والكتاب: القرآن، وما سوى ذلك مما كان الرسول يتلوه: هو السنة"اهـ[1].

قال الإمام الشافعي حيث قال-رحمه الله-: "فذكر الله الكتاب، وهو القرآن، وذكر الحكمة، فسمعت من أرْضى من أهل العلم بالقرآن يقول: الحكمة سنة رسول الله ﷺ؛ لأن القرآن ذكر وأتبعته الحكمة، وذكر الله منَّه على خلقه بتعليمهم الكتاب والحكمة، فلم يَجُزْ -والله أعلم-أن يقال الحكمة ها هنا إلا سنة رسول اللهﷺ، وذلك أنها مقرونة مع كتاب الله، وأن الله افترض طاعة رسوله، وحتم على الناس اتباع أمره، فلا يجوز أن يقال لقول: فرض، إلا لكتاب الله، ثم سنة رسولهﷺ"[2].

وقال إمام المفسرين الإمام أبو جعفر بن جرير الطبري-رحمه الله-: "ويعني بالحكمة :ما أُوحي إلى رسول الله ﷺ من أحكام دين الله، ولم ينزل به قرآن، وذلك السُّنة"[3].

قال القرطبي-رحمه الله-: "والحكمة هي السنة المبينة على لسان رسول الله ﷺ مراد الله فيما لم ينص عليه في الكتاب"[4].

وبين تعالى وظيفة النبي ﷺ مع القرآن:

فقالﷻ: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[سورة النحل: 44].

وهل بيان رسول الله ﷺ إلا ما صدر عنه مما هو من سنته، وسيأتي لاحقا أنه ﷺ بَيَّن أحكاما لم يأت بها الكتاب العزيز، فالسنة قد تستقل ببعض الأحكام الشرعية، فيكون البيان منه بيانا لمجمل كصفة الصلاة والزكاة والحج، ويكون بزيادة أحكام لم تذكر في الكتاب كبعض المحرمات.

---

(1) "مجموع الفتاوى" (6/1)

(2) "الرسالة" للإمام محمد بن إدريس الشافعي (78/1)

(3) "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" ابن جرير الطبري (108/19).

(4) "الجامع لأحكام القرآن" (157/3).

قال الحافظ بن عبد البر –رحمه الله–: "والبيان منه ﷺ على ضربين بيان المجمل في الكتاب، كبيانه للصلوات الخمس في مواقيتها وسجودها وركوعها وسائر أحكامها، وكبيانه لمقدار الزكاة وحدها ووقتها، وما الذي يؤخذ منه من الأموال وبيانه لمناسك الحج، قال ﷺ إذ حج بالناس: "خذوا عني مناسككم"[1]، لأن القرآن إنما ورد بجملة فرض الصلاة والزكاة والحج والجهاد دون تفصيل ذلك، وبيان آخر وهو زيادة على حكم الكتاب كتحريم نكاح المرأة على عمتها وخالتها، وكتحريم الحمر الأهلية وكل ذي ناب من السباع إلى أشياء يطول ذكرها قد لخصتها في موضع غير هذا، وقد أمر الله ﷻ بطاعته واتباعه أمرا مطلقا مجملا لم يقيد بشيء ولم يقل ما وافق كتاب الله ﷻ كما قال بعض أهل الزيغ"اهـ[2].

وبَيّن ﷺ أن ما يصدر عنه ﷺ إنما هو وحي من ربه ﷻ فقال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[سورة النجم: 3و4]

وهذا يشمل القرآن والسنة لعموم الآية[3].

"فكلمة "ينطق" فى لسان العرب، تشمل كل ما يخرج من الشفتين قولٌ أو لفظٌ، أي: ما يخرج نطقه ﷺ عن رأيه، إنما هو بوحي من الله عز وجل، ولقد جاءت الآيتان بأسلوب القصر عن طريق النفى والاستثناء، والفعل إذا وقع فى سياق النفى دل على العموم، وهذا واضح فى إثبات أن كلامه صلى الله عليه وسلم محصور فى كونه وحياً لا يتكلم إلا به وليس بغيره وفى هذا دليل واضح على عصمته ﷺ، فى كل أمر بلغه عن ربه من كتاب وسنة، فهو لا ينطق إلا بما يوحى إليه من

---

(1) أخرجه مسلم (1297) وغيره.

(2) "صحيح جامع بيان العلم وفضله" لحافظ المغرب ابن عبد البر(ص486) تهذيب الزهيري،

(3) وسيأتي مزيد تفصيل في هذا المعنى عند الجواب على من حصر الوحي هنا في القرآن وبيان أن السنة داخلة في عموم الآية في الفصل الثاني عند ذكر المعالم والأساسات التي قام عليها منهج المحدثين في الرواية، المطلب الاول: اعتبار السنة وحيا (ص72) من هذا البحث.

ربه، ولا يقول إلا ما أمر به فبلغه إلى الناس كاملاً من غير زيادة ولا نقصان، وهذه شهادة وتزكية من الله عز وجل لنبيه ورسوله ﷺ فى كل ما بلغه للناس من شرعه تعالى"[1]

وقال ﷻ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[سورة النساء: 65]

وقال ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾[سورة الأحزاب: 36]

وهاتين الآيتين من أشد ما يكون على من استهان بمنزلة السنة، حيث علق الإيمان بتحكيم الرسول ﷺ، والتسليم له، والانقياد التام من غير تردد، وأشد من ذلك هاته المواعظ:

وقال ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[سورة الأنفال: 24]

وقال ﷻ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[سورة النور: 63]

وقال ﷻ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[سورة الحشر: 7]

وهاته الآيات الثلاث فيها تهديد ووعيد، وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

قال ابن القيم –رحمه الله– تعليقًا على آية النور: "فحذَّر المؤمنين من حبوط أعمالهم بالجهر لرسول الله ﷺ كما يجهر بعضهم لبعض وليس هذا بردَّة، بل معصية تحبط العمل، وصاحبها لا يشعر بها، فما الظن بمن قدَّم على قول رسول الله ﷺ وهديه وطريقه قول غيره وهديه وطريقه؟! أليس هذا قد حبط عمله وهو لا يشعر؟"اهـ[2].

---

(1) انظر كتاب "رد شبهات حول عصمة النبى ﷺ فى ضوء السنة النبوية الشريفة"، لعماد السيد محمد إسماعيل الشربينى (ص344)، وانظر "القاموس المحيط" للفيروزأبادي (ص926)، و"تاج العروس" للزبيدي (422/26).

(2) "الوابل الصيب من الكلم الطيب" (ص11)

وإن من أعظم ماورد به القرآن في تعظيم طاعة النبي ﷺ ما قاله ﷻ:﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾ [سورة آل عمران: 81]

أخرج الطبري -رحمه الله- بسنده الحسن عن قتادة -رحمه الله- في قوله ﷻ: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب﴾ [سورة آل عمران: 81] الآية قال : "هذا ميثاق أخذه الله على النبيين أن يصدق بعضهم بعضا، وأن يبلغوا كتاب الله ورسالاته، فبلغت الأنبياء كتاب الله ورسالاته إلى قومهم، وأخذ عليهم -فيما بلغهم رسلهم- أن يؤمنوا بمحمد ﷺ ويصدقوه وينصروه".

أخرج الطبري وابن أبي حاتم بسنديهما الحسن عن ابن إسحاق عن ابن عباس ﷺ قال: "ثم ذكر ما أخذ عليهم -يعني أهل الكتاب- وعلى أنبيائهم من الميثاق بتصديقه -يعني بتصديق محمد ﷺ إذ جاءهم، وإقرارهم به على أنفسهم"[1].

فيكفي في بيان منزلة ما صدر عن الرسول ﷺ مطلقا هذه الأمثلة من آيات الذكر الحكيم، وإلا فلو استطردنا لكان ذلك بحثا خاصا في حجية السنة، لكن المقصود هنا التمثيل لا الاستيعاب والاستقصاء، وفيما ذكر كفاية وغنية لمن سلم من الهوى والتضليل.

(1) جامع البيان (555/6)، وانظر الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور (430/1).

المطلب الثَّاني: منزلة السُّنة من خلال نصوص السنة:

ومن المناسب هاهنا بين يدي ذكر أدلة السنة، لبيان منزلة وحجية السنة، أن نشير إلى مقدمة مهمة للغاية، يخاطب بها كل من يشكك في حجيتها، ممن يُسمَّون بالقرآنيين أو الحداثيين أو التنويرين، حيث لا يستقيم عند هؤلاء الاحتجاج بالشيء على حجيته، فكيف نثبت حجية السنة بما ليس بحجة أصلا، فنقع بذلك في الدور؛ فيقال لهؤلاء أنتم بين أحد أمرين:

إما أنكم تقولون بحجية ماجاء به كتاب الله ﷻ، وقد دل على حجية السنة، وألزم الناس بما فيها، كما سبق في الأدلة من كتاب الله ﷻ، وإنما نذكر أدلة السنة على حجيتها من باب التوكيد وزيادة البيان الذي هو وظيفة الرسول ﷺ كما دل عليه القرآن، ومن ذلك أنه بين لهم ما نزل به القرآن من حجية السنة، فتأمل.

أو أنكم لا تقولون بالاحتجاج بكل ما جاء في القرآن، فقد كفرتم بذلك باتفاق بيننا وبينكم وهو حال من قال الله ﷻ عنهم:

﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض...﴾[سورة البقرة: 85]

فَذِكرُ أدلة السنة في هذا الباب هو تأكيد لما ورد به كتاب الله وكلٌّ من عند الله.

- ✓ **وإليك بعض النصوص في ذلك مع ذكر أمثلة من تبويبات أئمة السنة:**

قال الإمام البخاري –رحمه الله–: بَابُ الِاقْتِدَاءِ بِسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

ومما ذكره في الباب:

عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ، سَمِعْتُ حُذَيْفَةَ ﷺ يَقُولُ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ مِنَ السَّمَاءِ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، وَنَزَلَ القُرْآنُ فَقَرَءُوا القُرْآنَ، وَعَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ"[1]

وهذا فيه تعظيم لمنزلة السنة، وأنها مما يتحمله من حُملوا الأمانة من أهل العلم الذين قرؤوا القرآن.

(1) أخرجه البخاري (7276)

وأخرج من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، وَزَيْدِ بْنِ خَالِدٍ رضي الله عنهما قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: "لَأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللَّهِ"[1]

وقد لا يتفطن البعض لوجه دلالة الحديث على الترجمة، بل قد يستدل به على أن الحجة إنما هي بما في كتاب الله فقط، لكن البخاري -رحمه الله- كعادته قد يورد الحديث مختصرا ويخفي وجه الدلالة لينشط ذهن القارئ لفهم النص، ومن ذلك هذا الحديث، فهو مختصر مما أورده هو نفسه في تراجم أخرى ومنها في باب: الِاعْتِرَافِ بِالزِّنَا ولفظه قالا-يعني أَبا هُرَيْرَةَ، وَزَيْدَ بنَ خَالِدٍ-: "كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: أَنْشُدُكَ اللَّهَ إِلَّا قَضَيْتَ بَيْنَنَا بِكِتَابِ اللَّهِ، فَقَامَ خَصْمُهُ، وَكَانَ أَفْقَهَ مِنْهُ، فَقَالَ: اقْضِ بَيْنَنَا بِكِتَابِ اللَّهِ وَأْذَنْ لِي؟ قَالَ: «قُلْ» قَالَ: إِنَّ ابْنِي كَانَ عَسِيفًا عَلَى هَذَا فَزَنَى بِامْرَأَتِهِ، فَافْتَدَيْتُ مِنْهُ بِمِائَةِ شَاةٍ وَخَادِمٍ، ثُمَّ سَأَلْتُ رِجَالًا مِنْ أَهْلِ العِلْمِ، فَأَخْبَرُونِي: أَنَّ عَلَى ابْنِي جَلْدَ مِائَةٍ وَتَغْرِيبَ عَامٍ، وَعَلَى امْرَأَتِهِ الرَّجْمَ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ، المِائَةُ شَاةٍ وَالخَادِمُ رَدٌّ، عَلَيْكَ وَعَلَى ابْنِكَ جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ، وَاغْدُ يَا أُنَيْسُ عَلَى امْرَأَةِ هَذَا، فَإِنِ اعْتَرَفَتْ فَارْجُمْهَا"[2]

ووجه الدلالة في قول الرسول ﷺ: (لأقضين بينكما بكتاب الله) ثم كان قضاؤه منه ما جاء في كتاب الله صريحا كالجلد، والرجم وقد نسخ لفظه، ومنه ما لا يوجد فيه نص من القرآن كالتغريب لكنه صادر عن النبي ﷺ، وهو ما يطلق عليه اصطلاحا بالسنة وهذا فيه دليل قوي على التسوية بين القرآن والسنة في الاحتجاج فتأمل.

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: "فَالْكِتَابُ مَا يُتْلَى وَالْحِكْمَةُ السُّنَّةُ وَهُوَ مَا جَاءَ بِهِ عَنِ اللَّهِ بِغَيْرِ تِلَاوَةٍ وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ قَوْلُهُ فِي قِصَّةِ الْعَسِيفِ لَأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللَّهِ أَيْ بِوَحْيِهِ"[3]

---

(1) الجامع الصحيح (7278).

(2) المصدر السابق (6827).

(3) "فتح الباري" (291/13)

قال القسطلاني –رحمه الله–: "واقتصر منها هنا على قوله كنا عند النبي ﷺ فقال "لأقضين بينكما بكتاب الله" القدر المذكور إشارة إلى أن السُّنّة يطلق عليها كتاب الله لأنها بوحيه وتقديره قال الله تعالى: {وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى}"[1]

ثم أورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى"[2]

ومثله حديث جابر ﷺ في الملائكة الذين ضربوا للنبي ﷺ مثلا بالرجل الذي أقام مأدبة، وفيه : "وَالدَّاعِي مُحَمَّدٌ ﷺ، فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ فَرْقٌ بَيْنَ النَّاسِ"[3]

ففي الحديثين فرض طاعة الرسول ﷺ مطلقا.

وأورد حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»[4]

وهو ظاهر الدلالة على لزوم طاعة الرسول ﷺ في كل أوامره واجتناب كل نواهيه.

هذه بعض الأحاديث التي ارتضاها البخاري –رحمه الله– في الباب.

- ✓ **وهناك نصوص مما احتج به غيره منها:**

عن العرباض بن سارية ﷺ قال: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ

---

(1) "هدي الساري لشرح صحيح البخاري" (302/10)

(2) الجامع الصحيح (7280)

(3) الجامع الصحيح (7281).

(4) الجامع الصحيح (7288)

مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[1]

فالسنة هي المخرج والمفزع عند الاختلاف والنزاع، فهي إذا واجبة الاتباع.

- ✓ **ومما يستدل به على حجية السنة ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم من الأمر بالسماع منه والحفظ والبلاغ والكتابة في أكثر من حديث:**

فمن ذلك قوله ﷺ: "نضر الله امرءا سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامع"، وقد روى هذا الحديث عن النبيﷺ جماعة من الصحابة رضي الله عنهم[2]

وقوله ﷺ: "لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ"[3]، وهذا في حجة الوداع بعد خطبته يدل على حجية السنة .

وقوله ﷺ: "بلغوا عني ولو آية"[4]

قال الشيخ ابن عثيمين –رحمه الله–: "قال: "بلغوا عني ولو آية" بلغوا عني يعني بلغوا الناس بما أقول وبما أفعل وبجميع سنته عليه الصلاة والسلام بلغوا عني ولو آية من كتاب الله ولو هنا للتقليل"[5]

وقوله ﷺ: "تسمعون ويسمع منكم ويسمع ممن سمع منكم"[1]

---

(1) أخرجه أبو داود: (4607) والترمذي: (2676)، وابن ماجة: (42)، والإمام أحمد: (17145) وغيرهم ، وأورده الألباني في "الصحيحة" (937) وفي بعض ألفاظه: " قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك ومن يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وعليكم بالطاعة وإن عبدا حبشيا، فإنما المؤمن كالجمل الأنف حيثما قيد انقاد "

(2) كابن مسعود وزيد بن ثابت وأنس رضي الله عنهم أجمعين، والحديث المذكور حديث ابن مسعود أخرجه الترمذي: (2675) في بَابُ مَا جَاءَ فِي الحَثِّ عَلَى تَبْلِيغِ السَّمَاعِ. وصححه الألباني في "الصحيحة" (404) و"صحيح الجامع" (6764/6763)

(3) متفق عليه من حديث أبي بكرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري: (67) ومسلم: (1679)، وغيرهما

(4) أخرجه البخاري: (3461)

(5) شرح رياض الصالحين (431/5)

وقوله لعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: "اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق"[2]

ونختم بأحاديث هي من دلائل النبوة كما مضى، أخبر فيها الصادق المصدوق ﷺ عن طائفة ممن لا يرفعون رأسا بالسنة، ولا يحللون ويحرمون بزعمهم إلا ما جاء به القرآن منها:

ما جاء عن المقدام بن معد يْكَرِب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني وهو متكئ على أريكته فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالا استحللناه وما وجدنا فيه حراما حرمناه وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله"[3].

وفي بعض ألفاظه: " أوتيت الكتاب وما يعدله (يعني: ومثله)، يوشك شبعان على أريكته يقول بيننا وبينكم هذا الكتاب، فما كان فيه من حلال أحللناه وما كان فيه من حرام حرمناه، ألا وإنه ليس كذلك. ألا لا يحل ذو ناب من السباع ولا الحمار الأهلي، ولا اللقطة من مال معاهد إلا أن يستغني عنها، وأيما رجل أضاف قوما فلم يقروه فإن له أن يعقبهم بمثل قراه"[4].

وفي حديث أبي رافع ﷺ مرفوعا: «لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول: لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه»[5].

وفي بعض ألفاظ أبي داود -رحمه الله-: " أيحسب أحدكم متكئا على أريكته قد يظن أن الله لم يحرم شيئا إلا ما في هذا القرآن؟ ! ألا وإني والله قد أمرت ووعظت ونهيت عن أشياء إنها لمثل هذا

---

(1) رواه أبوداود: (3659) وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهو حديث صحيح؛ صححه الألباني وغيره، وثبت أيضا عن ثابت بن قيس رضي الله عنه، وهو في "الصحيحة " (1784)

(2) أخرجه أبو داود: (3646)، والدارمي: (491)، وأحمد: (6802/6510) وغيرهما، وصححه محققوا المسند وكذا الألباني في "صحيح أبي داود"، وفي "الصحيحة" (1532).

(3) أخرجه أبوداود: (4604)، و الترمذي (2664)، وابن ماجه: (12)، والدارمي: (595)، والإمام أحمد: (17174) وصححه محققوا المسند، وللحديث ألفاظ من طرق عن غير المقدام كلها تدل على معنى واحد.

(4) "سنن أبي داود" (4604) وصححه الشيخ الألباني فيه، وفي "الصحيحة" (2870).

(5) وهو عند أبي داود: (6405)، وابن ماجة: (13) في: باب اتباع سنة رسول الله صلى عليه وسلم، والإمام أحمد: (23876) وصححه محققوا المسند.

القرآن أو أكثر، وإن الله عز وجل لم يحل لكم أن تدخلوا بيوت أهل الكتاب إلا بإذن، ولا ضرب نسائهم ولا أكل ثمارهم، إذا أعطوكم الذي عليهم"[1].

فذكر في هذين الحديثين عن المقدام وأبي رافع رضي الله عنهما، أن السنة مثل القرآن في الاحتجاج، وأكد ذلك بأن ذكر أحكاما استقلت بها السنة، هي حجة على من بلغته، وهذا وحده كاف لهدم مذهب رافضي الاحتجاج بالسنة.

والأحاديث في الباب مما يستدل على حجية السنة أكثر مما ذكر، وفيما ذكرنا غنية لمن استغنى وسلم من الهوى.

(1) سنن أبي داود: (3050) من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه وقال الألباني: إسناده حسن.

المطلب الثالث: الاستدلال العقلي على منزلة السنة وحجيتها.

وسأتناول الموضوع من خلال جزئيتين:

الجزئية الأولى: منزلة العقل عند أهل السنة.

من الخصائص التي تميز بها أهل السنة عن غيرهم من الطوائف، أنهم يصدرون في حكمهم على الأشياء عن النصوص الشرعية، ومن ذلك حكمهم على منزلة العقل، فالعقل لديهم له منزلته التي لا يتجاوزون بها دلالة النصوص، فهو وسيلة للإدراك، وكلما كان أسلم من الواردات التي تفسده، كان أثره على صاحبه أكثر فهما وتدبرا وتأثرا بالآيات المسموعة والمشاهدة.

قال ﷻ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[سورة البقرة:164]

وقال ﷻ: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[سورة الحج: 46]

وقال ﷻ: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ...﴾[سورة يوسف:111]

وقال ﷻ : ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ﴾[سورة طه: 54]

لكنهم لا يقدسون العقل ولا يجعلونه محكما على النصوص، فضلا عن أن يتوصلوا به إلى رد النصوص، فهذا من الخلل في العقل، وهذه بعض النقول عن أئمة الإسلام تبين الوسطية التي عليها أهل السنة في هذا الباب:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– : "بل العقل شرط في معرفة العلوم وكمال وصلاح الأعمال وبه يكمل العلم والعمل ؛ لكنه ليس مستقلا بذلك ؛ بل هو غريزة في النفس وقوة فيها

بمنزلة قوة البصر التي في العين ؛ فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار"[1]

وقال الإمام أبو المظفر السمعاني –رحمه الله–: "اعلم أن مذهب أهل السنة أن العقل لا يوجب شيئاً على أحد ، ولا يرفع شيئاً منه ، ولا حظ له في تحليل أو تحريم ، ولا تحسين ولا تقبيح، ولو لم يرد السمع ما وجب على أحد شيء ، ولا دخلوا في ثواب ولا عقاب"[2]

وقال ابن القيم –رحمه الله–: "إن عقل رسول الله ﷺ أكمل عقول أهل الأرض على الإطلاق ، فلو وزن عقله بعقولهم لرجحها ، وقد أخبر الله أنه قبل الوحي لم يكن يدري ما الإيمان ، كما لم يكن يدري ما الكتاب، فقال الله ﷻ : ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[سورة الشورى: 52]"[3]

ويبين شيخ الإسلام –رحمه الله– أن الأدلية العقلية في الوحي هي أكمل الأدلة العقلية، وكل دليل عقلي سليم سواها فمرده إليها فيقول –رحمه الله–: "والقرآن قد دل على الأدلة العقلية التي بها يعرف الصانع وتوحيده وصفاته وصدق رسله ، وبها يعرف إمكان المعاد، ففي القرآن من بيان أصول الدين التي تعلم مقدماتها بالعقل الصريح ما لا يوجد مثله في كلام أحد من الناس ، بل عامة ما يأتي به الحذاق النظار من الأدلة العقلية يأتي القرآن بخلاصتها وبما هو أحسن منها ، قال الله ﷻ: "وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا" [سورة الفرقان: 33]"[4]

أما أن يزعم أن العقل السليم يناقض المنقول الصريح الصحيح، فهذا من المحال، ودونك كلام أئمة الإسلام، العارفين بالمنقول والمعقول.

---

(1) "مجموع الفتاوى" (338/3)

(2) "الانتصار لأصحاب الحديث" (ص75)

(3) "الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة" (426/1)

(4) "مجموع الفتاوى" (81/12)

يقول شيخ الإسلام –رحمه الله–: "فيأخذ المسلمون جميع دينهم من الاعتقادات والعبادات وغير ذلك من كتاب الله وسنة رسولهﷺ ، وما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها، وليس ذلك مخالفا للعقل الصريح، فإن ما خالف العقل الصريح فهو باطل، وليس في الكتاب والسنة والإجماع باطل، ولكن فيه ألفاظ قد لا يفهمها بعض الناس، أو يفهمون منها معنى باطلا، فالآفة منهم لا من الكتاب والسنة"[1].

ويقول قوام السنة الأصبهاني –رحمه الله– "ولا نعارض سنة النبي ﷺ بالمعقولات، لأن الدين إنما هو الانقياد والتسليم دون الرد إلى ما يوجبه العقل، لأن العقل ما يؤدي إلى قبول السنة، فأما ما يؤدي إلى إبطالها فهو جهل لا عقل"[2]

ويقول ابن أبي العز الحنفي –رحمه الله–: "وهذا لا يكون قط، أي تعارض العقل مع النقل، لكن إذا جاء ما يوهم مثل ذلك فإن كان النقل صحيحاً فذلك الذي يدّعى أنه معقول إنما هو مجهول، ولو حقق النظر لظهر ذلك، وإن كان النقل غير صحيح، فلا يصلح للمعارضة، فلا يتصور أن يتعارض عقل صريح ونقل صحيح أبداً"[3]

الجزئية الثانية: مقدمات عقلية تثبت حجية ومنزلة السنة

فيمكننا –بحمد الله– إثبات حجية السنة من جهة العقل من خلال ثلاث مقدمات يُخاطب بها منكروا السنة ممن يثبت النبوة والرسالة للنبي ﷺ:

المقدمة الأولى:

أن يقال لمنكري الاحتجاج بالسنة، إن إثباتكم نبوة النبيﷺ إن لم يترتب عليه التفريق بينه وبين غيره من الناس كان ذلك عبثا، إذ كيف يستقيم عقلا أن تكون أقوال وأفعال الرسول ﷺ في ميزان العصمة والهداية والتسديد كأفعال وأقوال سائر الناس، ثم كيف يكون هذا الكلام من جهة حفظ الله له وإبقائه له لهداية الناس ككلام غيره من الناس، فلا يهيئ له أسباب الحفظ والاستمرار، وهو

(1) "مجموع الفتاوى" (490/11)

(2) "الحجة في بيان المحجة" (549/2)

(3) "شرح الطحاوية" (ص199)

الذي أمره ببيان ما نزل إلى الناس وتعليمهم الكتاب والحكمة، وهو الذي أرسله للناس كافة بشيرا ونذيرا، وما فائدة وثمرة إثبات الرسالة بعد ذلك، لذلك قال ﷻ مبينا هذا الأمر: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ الآية [سورة النساء: 64] [1]

المقدمة الثانية:

أن ما ورد في السنة منه ما جاء بصيغة الخبر عما سيكون من ظهور منكري السنة، فهو من دلائل النبوة، لأنه إخبار بمغيبات لا يعلمها إلا الله سبحانه، بل إن السنة بما ورد فيها من الإخبار بكثير من الغيوب المستقبلية[2] التي حصلت كما أخبر الصادق المصدوقﷺ لهي-والله- مقدمة ملزمة لكل من يشكك في أن السنة وحي من عند الله سبحانه، حتى الذين لا يؤمنون بنبوته من غير المسلمين، فهو ﷺ حجة على العالمين، لذلك صح من حديث أبي هريرة ﷺ أنه ﷺ قال: "وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ"[3]

المقدمة الثالثة:

---

(1) سورة النساء: آية (64)

(2) وقد أوجز الحافظ ابن كثير رحمه الله شيئا من تلك الأخبار فقال : " أخبر صلى الله عليه وسلم قومه الذين كانوا معه في الشعب أن الله قد سلط على الصحيفة الأرضة فأكلتها إلا ما كان من ذكر الله، وكان كذلك وأخبر يوم بدر قبل الوقعة بيوم بمصارع القتلى واحداً واحداً، فكان كما أخبر سواء بسواء وأخبر أن كنوز كسرى وقيصر ستنفق في سبيل الله، فكان كذلك، وبشر أمته بأن ملكهم سيمتد في طول الأرض، فكان كذلك وأخبر أنه لا تقوم الساعة حتى تقاتل أمته قوماً صغار الأعين ذلف الأنوف كأن وجوههم المجان المطرقة، وهذه حلية التتار، فكان كذلك وأخبر بقتال الخوارج، ووصف لهم ذا الثدية فوجد كما وصف سواء بسواء وأخبر أن الحسن بن علي رضي الله عنهما سيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين فكان كذلك وأخبر بأن عماراً ستقتله الفئة الباغية، فقتل يوم صفين مع علي رضي الله عنهما وأخبر بخروج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى، وكان ظهور هذه في سنة بضع وخمسين وستمائة، وتواتر أمرها، وأُخبرت عمن شاهد إضاءة أعناق الإبل ببصرى، فصلى الله على رسوله كلما ذكره الذاكرون وأخبر بجزيئات كانت وتكون بين يدي الساعة يطول بسطها"اهـ، انظر "الفصول في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم" (ص236)

(3) أخرجه مسلم: (3050)

ما ورد عن النبي ﷺ من تفريقه بين نبوته وبشريته، يؤكد أن الأصل هو الاحتجاج بسنته وإلزام الناس بها، يؤكد ذلك:

ما أورده مسلم –رحمه الله–عن طلحة ﷺ قال: "مررت مع رسول الله ﷺ بقوم على رءوس النخل، فقال: "ما يصنع هؤلاء؟" فقالوا: يلقحونه، يجعلون الذكر في الأنثى فيلقح، فقال رسول الله ﷺ: "ما أظن يغني ذلك شيئا" قال فأخبروا بذلك فتركوه، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال: "إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه، فإني إنما ظننت ظنا، فلا تؤاخذوني بالظن، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئا، فخذوا به، فإني لن أكذب على الله عز وجل"[1]

وأورد بعده حديث رافع بن خديج ﷺ لهذه الحادثة وفيه قال لهم بعد أن ذكروا له عدم صلاحه: "إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي، فإنما أنا بشر"[2]

ثم أورد حديث عائشة وأنس رضي الله عنهما أنه قالﷺ: "أنتم أعلم بأمر دنياكم"[3]

فدل أحاديث هذه الحادثة بوضوح على أنه ﷺ قد يصدر عنه أحيانا ما يكون مصدره من بشريته التي يعتريها خفاء بعض الصواب في أمور لا تقدح في الشرع ولا في العصمة، فهو ﷺ كغيره من الناس يتكلم في مصالح الناس ومعايشهم بما يظهر له ظنا راجحا أو مرجوحا[4]، وقد يجتهد فيما لم ينزل عليه فيه وحي وقد يصيب ويخطئ[5]، ولم يمنعه ربه سبحانه من ذلك، لكنه إن صدر

---

(1) أخرجه مسلم: (2361)، وقد بوب عليه النووي رحمه الله: باب وجوب امتثال ما قاله شرعا، دون ما ذكره صلى الله عليه وسلم من معايش الدنيا، على سبيل الرأي.

(2) مسلم: (2362)

(3) مسلم: (2363)

(4) "وقد اتفقت جميع الطوائف على جواز الاجتهاد له – صلى الله عليه وسلم – في أمور الدنيا، ونص على هذا الاتفاق النووي في شرح صحيح مسلم، وذكره الشوكاني في إرشاد الفحول بلفظ الإجماع عن سليم الرازي وابن حزم" انظر "آيات عتاب المصطفى – صلى الله عليه وسلم – في ضوء العصمة والاجتهاد"، للدكتور عويد بن عيَّاد بن عايد المطرَفي.

(5) وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم: «إِنِّي إِنَّمَا أَقْضِي بَيْنَكُمْ بِرَأْيِي فِيمَا لَمْ يُنْزَلْ عَلَيَّ فِيهِ» وهو عند أبي داوود، وقد ضعفه الشيخ الألباني رحمه الله، وحسنه غيره كشعيب الأرناؤوط ومحقق (مسند أبي يعلى) الشيخ السناري، وحاول البعض الاستدلال

عنه شيء من خلاف الأولى أو خلاف الحق فيما يتعلق بالشرع، فإن الله سبحانه لا يقره عليه، بل يصوبه أو يعاتبه، فيوحي إليه ﷻ ما يبين له الحق في ذلك الأمر وهذا من دلائل نبوته[1]، وهذا يدل أيضا على أن الأصل فيما يصدر عن النبي ﷺ أنه سنة متعبد بها، إلا ما دلت القرائن على أنه من خصائصهﷺ، أو لم يصب في اجتهاده فيه، وهذا تدل عليه كثير من الأمور منها:

- أولا: أن الله –سبحانه– أمرنا بالتأسي به مطلقا فقال: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾[سورة الأحزاب: 21]
- ثانيا: أنه ﷺ دعانا للتأسي به مطلقا فقال: "أما لكم فِيَّ أسوة"[2]
- ثالثا: أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا معه على هذا الأصل، فيرمقونه ويتأسون به في كل شيء، وقد مضى معنى الاشارة إلى بعض الأمثلة على ذلك.

به على هذا المعنى، لكن الحديث لو ثبت فهو متعلق بجانب آخر وهو القضاء بين المتخاصمين، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد يحكم بما يظهر ويكون أحد الخصوم ألحن بحجته من الآخر، فيقضي له وهو لا يستحق كما ورد في روايات الحديث نفسه، وقد يأتيه في ذلك الوحي فيصيب في قضائه والله أعلم.

وقد اختلف أهل العلم في حكم إجتهاده صلى الله عليه وسلم فيما لم ينزل عليه فيه وحي، فقالت طائفة لا يجوز له ذلك وهذا القول منسوب إلى بعض الشافعية، وإلى بعض الحنابلة ، وإلى الأشاعرة، وأكثر المعتزلة، –لكن في نسبة القول بمنع اجتهاده ﷺ مطلقاً إلى عموم الأشاعرة نظر–، وقال الجمهور ومنهم أهل الحديث بجواز ذلك واستدلوا بأدلة من الكتاب والسنة والنظر، وهو الصواب ولا إشكال يرد على ذلك فإنه في نهاية المطاف لو أخطأ ﷺ لم يقر على ذلك كما ثبت في كثير من الوقائع وهذا وحده كاف لبيان جواز الاجتهاد له ﷺ، وجوزت طائفة ثالثة للنبي ﷺ الاجتهاد في أمور الحرب دون غيرها، والله أعلم. انظر تفصيل أدلة هذه الأقوال في كتاب (آيات عتاب المصطفى – صلى الله عليه وسلم – في ضوء العصمة والاجتهاد)، للدكتور عويد بن عيَّاد بن عايد المطرَفي.

(1) لذلك ثبت عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: وَلَوْ كَانَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَاتِمًا شَيْئًا مِمَّا أُنْزِلَ عَلَيْهِ لَكَتَمَ هَذِهِ الْآيَةَ: {وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ} [الأحزاب: 37]، وهذا عند العقلاء من أعظم الدلائل على صدق نبوته، فهو يبلغ حتى ما فيه عتاب له وتخطئة له في بعض مواقفه، كمعاتبته صلى الله عليه وسلم في شأن ابن أم مكتوم في سورة عبس، ومعاتبته في شأن رأس المنافقين في عدم الصلاة عليه، وفي شأن أسارى بدر، ونحو ذلك.

(2) أخرجه مسلم: (681) وغيره.

وليس مراد النبيﷺ بقوله: "إذا حدثتكم عن الله شيئا فخذوا به" قصر الاحتجاج بما جاء عنه من القرآن، لأنه قال بعد ذلك: "فإني لن أكذب على الله عز وجل"، أي مطلقا فيما أخبر من الشرع وما أفعله من الشرع، وهذا يؤكد حجية السنة من هذا الوجه، وهو أن ما يصدر عنه هو من عند الله، لأنه صلى الله عليه وسلم ينسب ذلك إلى دين الله بتعبده به، ولو لم يكن ذلك كذلك لما أمرهم في كثير من المناسبات بالاقتداء والتأسي به واتباعه:

كقوله ﷺ: "صلوا كما رأيتموني أصلي"[1]

وقولهﷺ : "خذوا عني مناسككم"[2]

وقوله ﷺ: "من رغب عن سنتي فليس مني"[3]، ونحوها من النصوص.

فهذا ما أردت إيراده في هذا المطلب من طريق الاحتجاج على حجية السنة من جهة النظر العقلي والله وحده الموفق[4].

---

(1) أخرجه البخاري: (631) من حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه، وأصله عند مسلم: (674)، لكن هذه اللفظة انفرد بها البخاري.

(2) رواه مسلم: (2997)، وفي لفظ: "لتأخذوا عني مناسككم" وهوعند مسلم: (2995) وغيره.

(3) متفق عليه

(4) وقد وقفت على رسالة بعنوان: "السنة النبوية المصدر الثاني للتشريع الإسلامي ومكانتها من حيث الاحتجاج والمرتبة والبيان والعمل"، للمؤلفة: رقية بنت نصر الله نياز، ذكرت مبحثا بعنوان: ثبوت حجية السنة بالدليل العقلي، لكنها إنما ذكرت ما يتعلق بكون الأوامر المجملة في القرآن تحتاج إلى بيان السنة كصفة الصلاة مثلا، وهذا الوجه في تصوري الأنسب له أن يذكر في باب دلالة القرآن على حجية السنة لأن وظيفة الرسول صلى الله عليه وسلم التشريع المستقل أو البيان كما هو معلوم، وهذا بينه كتاب الله سبحانه، أما وجه الاستدل العقلي فالأقرب ماذكرته من تلك المقدمات والله أعلم.

المبحث الثاني: علو منزلة السنة عند السلف والأئمة.

وفيه توطئة ومطلبان:

المطلب الأوَّل: منزلة السنة وصاحبها ﷺ عند الصحابة رضي الله عنهم.

المطلب الثاني: منزلة السنة وصاحبها ﷺ عند السلف والصالحين بعد الصحابة رضي الله عنهم.

توطئة: أهمية مطالعة سير السلف

وتوطئة لهذا الموضوع الشريف أقول: إن من أبواب العلم العظيمة النفع، مطالعة سير السلف الصالح، فهم الرعيل الأول الذي جسد تعاليم هذا الشريعة العظيمة واقعا ملموسا بعد النبي ﷺ، وهم خير من اقتدى وتأسى به لقرب العهد، ولاصطفاء الله لهم، بأن كانوا أول حملة للهدى، والعلم الذي جاء به.

وقد جعلت هذا المطلب من البحث محل عناية أكثر من الذي قبله، لقلة العناية به في كثير من البحوث التي تناولت منزلة السنة ومكانتها، وتظهر أهميته من جهة أنهم كانوا -كما أسلفت- النموذج الذي أمرنا بالتأسي بهم بعد النبي ﷺ، فإنهم أول من يشملهم قوله تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ الآية [سورة آل عمران: 110].

وقد قيل لابن المبارك -رحمه الله-: " إذا أنت صليت لم لا تجلس معنا؟ قال: " أجلس مع الصحابة والتابعين، أنظر في كتبهم وآثارهم، فما أصنع معكم؟! أنتم تغتابون الناس" [1]

وقال حمدون القصار -رحمه الله-: "من نظر في سير السلف عرف تقصيره وتخلفه عن درجات الرجال"[2].

ويقول ابن الجوزي -رحمه الله-: "وعليكم بملاحظة سير السلف ومطالعة تصانيفهم وأخبارهم، والاستكثار من مطالعة كتبهم رؤية لهم" [3]

وكان إبراهيم بن إسحاق الحربي -رحمه الله- يقول "سمعت بشر بن الحارث يقول: حسبك أن أقواما موتى تحيي القلوب بذكرهم وأن أقواما أحياء تقسو القلوب برؤيتهم"[4]

---

(1) أورده أبو نعيم في "الحلية" (164/8)

(2) "صفة الصفوة" لابن الجوزي (314/2)

(3) "صيد الخاطر" لابن الجوزي (454)

(4) "تاريخ دمشق" لابن عساكر (214/10)

وإنك إذا قلَّبت صفحات تعاملهم مع النبي ﷺ ، ومع سنته الشريفة، لترى البون الشاسع بينهم وبين من أتى بعدهم، ممن لم يتشرف بصحبته، سوى من صحب أنفاسه من بعد موته ﷺ في أحاديثه وسنته كما قال بعضهم:

أهلُ الحديثِ هُمُ أهلُ النبيّ وإن لم يصحَبوا نفسَهُ أنفاسَهُ صَحِبوا

لذا سأسوق بإذن اللهﷻ شيئا من أخبار السلف من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم، ومن بعدهم من أهل الحديث، مما يدل على عظيم منزلة السنة لديهم، من خلال مطلبين:

المطلب الأوَّل: منزلة السنة وصاحبها ﷺ عند الصحابة رضي الله عنهم.

لقد نقل إلينا عن أصحاب النبي ﷺ مواقفُ عظيمة في محبته، وتوقيره، وتبجليه، وتعظيمه، والأدب بين يديه، وعند ذكره، فكانوا إذا جلسوا بين يديه، كأن على رؤوسهم الطير، وكانوا لا يطرقون أبوابه إلا بالأظافير، ومن النصوص التي وردت في ببان ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم في ذلك، ما جاء في حديث صلح الحديبية المشهور، عند مجيء عروة بن مسعود الثقفي للصلح حيث "جَعَلَ يَرمُقُ أصحابَ النبي ﷺ بعينَيْهِ، قالَ: فواللهِ ما تَنَخمَ رسولُ اللهِ ﷺ نخامةً، إلا وقعت في كفِّ رجُلٍ منهُم، فدَلَكَ بها وجهَهُ وجِلْدَهُ، وإذا أمرَهم ابْتَدروا أمرَهُ، وإذا تَوَضأ كادوا يَقْتَتِلونَ على وضوئهِ، وإذا تَكَلمَ خَفَضوا أصواتَهم عندَهُ، وما يُحِدونَ إليهِ النَّظَرَ تعظيماً لهُ، فرَجَعَ عروةُ إلى أصحابِهِ، فقالَ: أي قومِ! واللهِ لَقَدْ وَفَدْتُ على المَلوكِ، ووَفَدْتُ على قَيصرَ، وكسرى، والنجاشي، واللهِ إنْ رأيتُ مَلِكاً قَط يُعَظمُهُ أصحابُهُ ما يُعَظَمُ أصحابُ محمدٍ محمداً، واللهِ إنْ تَنَخمَ نُخامةً إلا وقعَتْ في كَفِّ رجُل منهم، فدَلَك بها وَجْهَهُ وجِلْدَهُ، وإذا أمَرَهُم ابتَدروا أمرَهُ، وإذا توضَأ كادوا يَقْتَتِلونَ على وَضوئهِ، وإذا تَكَلمَ خَفَضوا أصواتَهُم عندَهُ، وما يُحِدونَ النظرَ إليهِ تعظيماً لهُ..."[1]

وستذكر بعض النماذج في محبة الصحابة للنبيِّ ﷺ وتعظيمه وتعظيم أمره:

ما جاء عن الصحابة –رضي الله عنهم– في محبته ﷺ وتعظيمه في صور من حياة بعض أعلام الصحابة رضي الله عنهم:

أولا: أبو بكر الصديق ﷺ:

ولا يمكن أن نذكر كل ما جاء عنه في هذا المعنى، إذ يلزمنا حينها أن نسوق سيرته كاملة، وهو من كان كالظل للنبي ﷺ، فماذا نختار؟ وماذا نترك؟ أَخبرُ مرافقته في الهجرة؟ أم فداءه إياه بنفسه في مواطن عديدة؟ أو بذله كل ماله في نصرته؟ أو غير ذلك.

(1) صحيح البخاري: (2731).

فحسبنا إذا بعض الأمثلة، لعلها توقظ الإحساس عند من ابتلي بالجفاء تجاه رسول الله ﷺ، وهي تحفة للمحبين، فنذكر له مواقفَ في حياة الرسولﷺ ومواقفَ بعد موته.

فمقدار محبته له يجليها ما جاء عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَبَ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ وَبَيْنَ لِقَائِهِ فَاخْتَارَ لِقَاءَ رَبِّهِ) فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ: بَلْ نَفْدِيكَ بِآبَائِنَا وَأَبْنَائِنَا! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ : اسْكُتْ يَا أَبَا بَكْرٍ ثُمَّ قَالَ:(إِنَّ أمنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحبتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلًا مِنَ النَّاسِ لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ ومَوَدَّتُهُ أَلَا لَا يَبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلَّا سُدَّتْ إِلَّا خَوْخَةَ أَبِي بَكْرٍ) قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَقُلْتُ: الْعَجَبُ! يُخبرنا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ عَبْدًا خيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهَذَا يَبْكِي!! وَإِذَا المخَيَّرُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِذَا الْبَاكِي أَبُو بَكْرٍ وَإِذَا أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمُنَا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" [1]

أما بعد موته فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: "سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ ﷺ عَلَى هَذَا الْمِنْبَرِ يَقُولُ: "سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هَذَا الْيَوْمَ عَامَ أَوَّلٍ يَقُولُ ثُمَّ اسْتَعْبَرَ أَبُو بَكْرٍ-رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ-فَبَكَى ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:"لَنْ تُؤْتَوْا شَيْئًا بَعْدَ كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ مِثْلَ الْعَافِيَةِ فَسَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ"[2]

فإن تسل عن الحب الصادق، فلن تجد أصدق ممن شفعه بالدموع.

ثانيا: عمر الفاروق ﷺ:

أما عمرﷺ فقد أعلنها صريحة صادقة: "والله لأنت الآن أحب إلي من نفسي يا رسول الله"[3]، وهو من انهدت قواه عند وفاة رسول اللهﷺ حتى أهوى إلى الأرض فما تقله رجلاه عند تيقنه الخبر[4]

---

(1) متفق عليه أخرجه البخاري: (3904)، ومسلم: (2382)

(2) أخرجه ابن حبان: (946)، والإمام أحمد: (10) وقال محققوا المسند: صحيح لغيره، وكذا قال الألباني في تعليقاته على صحيح ابن حبان.

(3) أخرجه البخاري: (6632)، والإمام أحمد: (22503)

(4) البخاري: (4454)، وغيره.

ثالثا: عثمان ﷺ:

لَمّا أذِنَتْ له قُرَيْشٌ فِي الطّوَافِ بِالبَيْتِ حِينَ وَجَّهَهُ النَّبِيّ ﷺ إِلَيْهِمْ فِي القَضِيَّةِ أَبَى وَقَالَ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ حَتَّى يَطُوفَ بِهِ رَسُولُ اللَّه ﷺ[1]

رابعا: علي ﷺ:

فداه بنفسه فبات في فراشه، ليلة تربص به المشركون، ليثبتوه، أو يقتلوه[2].

أما من دون الخلفاء الأربعة، فقد أظهر الصحابة رضي الله عنهم مواقف عظيمة في فداء النبي ﷺ بأنفسهم في كثير من المواطن، وحسبك يوم أحد.

وهذه مواقف مشوقة متفرقة:

أما عبد الله بن عمر ﷺ:

فقد ذكر الذهبي –رحمه الله– عن عَاصم بن محمَد العُمَرِي عَنْ أبِيه، قَالَ: مَا سَمِعْت ابن عُمَر ذَكر النَّبِيﷺ إِلَا بكى.[3]

وهذا خبر ثابت بن قيس بن شماس ﷺ:

فعن أنس بن مالك ﷺ، أنّه قال: "لما نزلتْ هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ [سورة الحجرات: 2] إلى آخر الآية، جلس ثابت بن قيس في بيته وقال: أنا من أهل النّار، واحتُبس عن النّبيّ ﷺ، فسأل النّبيُّ ﷺ سعد بن معاذ فقال: يا أبا عمرو، ما شأن ثابت أشتكى؟ " قال سعد: إنّه لجاري وما علمتُ له بشكوى. قال: فأتاه سعد، فذكر له قول

---

(1) القصة بطولها رواها أحمد في المسند: (18910)، قال محققو المسند: "إسناده حسن، محمد بن إسحاق، وإن كان مدلساً وقد عنعن إلا أنه قد صرح بالتحديث في بعض فقرات هذا الحديث، فانتفت شبهة تدليسه، ثم إنه قد توبع..." (221/31).

(2) ذكره الهيثمي في "مجمع الزوائد" (9902) وقال: رواه الطبراني مرسلا، وفيه ابن لهيعة، وفيه كلام، وحديثه حسن اهـ، والذي أرسله عروة بن الزبير.

(3) "سير أعلام النبلاء" (214/3)

النبيّ ﷺ، فقال ثابت: أنزلت هذه الآية، ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتًا على رسول اللَّه ﷺ فأنا من أهل النّار! فذكر ذلك سعد للنّبيّ ﷺ، فقال رسول اللَّه ﷺ: "بل هو من أهل الجنّة"[1]

وهذا خبر محبة أَبِي أَيُّوبَ رضي الله عنه:

روى مسلم: عن أبي أيوب الأنصاري ﷺ: "أن النبي ﷺ نزل عليه، فنزل النبي ﷺفي السفل، وأبو أيوب في العلو، قال: فانتبه أبو أيوب ليلة، فقال: نمشي فوق رأس رسول الله ﷺ، فتنحوا فباتوا في جانب، ثم قال النبي ﷺ: "السفل أرفق"، فقال: لا أعلو سقيفة أنت تحتها، فتحول النبي ﷺفي العلو، وأبو أيوب في السفل، فكان يصنع للنبي ﷺطعاما فإذا جيء به إليه سأل عن موضع أصابعه فيتتبع موضع أصابعه، فصنع له طعاما فيه ثوم، فلما رد إليه سأل عن موضع أصابع النبي ﷺ، فقيل له: لم يأكل، ففزع وصعد إليه، فقال: أحرام هو؟ فقال النبي ﷺ: "لا ولكني أكرهه"، قال: فإني أكره ما تكره – أو ما كرهت –، قال: وكان النبي ﷺ يؤتى"[2]

ومن عزيز ما يذكر في ذلك صنيع ابن عباس بأبي أيوب رضي الله عنهما حينما وفد عليه البصرة: وكان ابن عباس حينها أميرا على البصرة لعلي، ففرَّغ له بيتَه وتحوَّل عَنْهُ وقال: والله لأَصنَعَنَّ بكَ كما صنعتَ برسولِ الله ﷺ، وقال له: كم عليكَ دَينٌ؟ قال: عشرون ألفًا، فأعطاه أربعين ألفًا، وعشرين مملوكًا وجميعَ ما في البيت[3]

أما عمرو بن العاص ﷺ:

فقد قال: وما كان أحد أحب إليَّ من رسول الله ﷺ، ولا أجل في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالا له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت؛ لأني لم أكن أملأ عيني منه. [4]

ما جاء عن الصحابة –رضي الله عنهم– من سرعة استجابتهم ومبادرتهم لامتثال أمره واجتناب نهيه فذاك باب واسع:

---

(1) صحيح مسلم: (119)

(2) أخرجه مسلم: (2053)، والإمام أحمد: (23517)

(3) انظر "مرآة الزمان في تاريخ الأعيان" لسبط ابن الجوزي (262/7)

(4) أخرجه مسلم في حديث طويل: (121)

فمن ذلك:

ما قال الصديق ﷺ: "لست تاركًا شيئًا كان رسول الله يعمل به، إلا عملت به، وإني لأخشى إن تركت شيئًا من أمره أن أزيغ"[1].

علَّق ابنُ بطة على هذا بقوله: "هذا يا أخواني الصدِّيق الأكبر يتخوَّف على نفسه من الزيغ إن هو خالف شيئًا من أمر نبيه، فماذا عسى أن يكون من زمان أضحى أهله يستهزئون بنبيهم وبأوامره، ويتباهون بمخالفته ويسخرون بسنته؟!.. نسأل الله عصمة من الزلل، ونجاة من سوء العمل"[2]

وقد أخرج البخاري –رحمه الله– عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:" أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اصْطَنَعَ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ وَكَانَ يَلْبَسُهُ، فَيَجْعَلُ فَصَّهُ فِي بَاطِنِ كَفِّهِ، فَصَنَعَ النَّاسُ خَوَاتِيمَ، ثُمَّ إِنَّهُ جَلَسَ عَلَى المِنْبَرِ فَنَزَعَهُ، فَقَالَ: "إِنِّي كُنْتُ أَلْبَسُ هَذَا الخَاتِمَ، وَأَجْعَلُ فَصَّهُ مِنْ دَاخِلٍ" فَرَمَى بِهِ ثُمَّ قَالَ: "وَاللَّهِ لَا أَلْبَسُهُ أَبَدًا" فَنَبَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَهُمْ"[3]

وعند مسلم –رحمه الله– عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَأَى خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ فِي يَدِ رَجُلٍ، فَنَزَعَهُ فَطَرَحَهُ، وَقَالَ: "يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ"، فَقِيلَ لِلرَّجُلِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَﷺ: خُذْ خَاتَمَكَ انْتَفِعْ بِهِ، قَالَ: لَا وَاللهِ، لَا آخُذُهُ أَبَدًا وَقَدْ طَرَحَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ"[4]

وعن أنسٍ ﷺ قَالَ: "ما كان لنا خمر غير فضيخكم هذا الذي تسمونه الفضيخ، فإني لقائم أسقي أبا طلحة، وفلانا وفلانا، إذ جاء رجل فقال: وهل بلغكم الخبر؟ فقالوا: وما ذاك؟ قال:

---

(1) البخاري: (3093) ، ومسلم: (1759)

(2) ابن بطة العكبري في "الإبانة الكبرى" (245/1) (ص77)

(3) أخرجه البخاري: (6651)، ومسلم: (2091)

(4) أخرجه مسلم: (2090)

حرمت الخمر، قالوا: أهرق هذه القلال يا أنس، قال: فما سألوا عنها ولا راجعوها بعد خبر الرجل"[1]

وعَنْه أيضا ﷺ قَالَ: لَمَّا فَتَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَيْبَرَ، أَصَبْنَا حُمُرًا خَارِجًا مِنَ الْقَرْيَةِ، فَطَبَخْنَا مِنْهَا، فَنَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللهِ ﷺ: «أَلَا إِنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ يَنْهَيَانِكُمْ عَنْهَا، فَإِنَّهَا رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ»، فَأُكْفِئَتِ الْقُدُورُ بِمَا فِيهَا، وَإِنَّهَا لَتَفُورُ بِمَا فِيهَا"[2]

وأخرج أبو داود –رحمه الله– عن جابر ﷺ قال: لما استوى رسول الله ﷺ يوم الجمعة قال: اجلسوا" فسمع ذلك ابن مسعود فجلس على باب المسجد فرآه رسول الله ﷺ فقال: تعَالَ يا عبدَ الله بنَ مسعود"[3]

تشديد الصحابة –رضي الله عنهم– على من لا يعظم السنة:

فمن ذلك: ما جاء عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ ﷺ: "أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا يَخْذِفُ، فَقَالَ لَهُ: لَا تَخْذِفْ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنِ الخَذْفِ، أَوْ كَانَ يَكْرَهُ الخَذْفَ وَقَالَ: "إِنَّهُ لَا يُصَادُ بِهِ صَيْدٌ وَلَا يُنْكَى بِهِ عَدُوٌّ، وَلَكِنَّهَا قَدْ تَكْسِرُ السِّنَّ، وَتَفْقَأُ العَيْنَ" ثُمَّ رَآهُ بَعْدَ ذَلِكَ يَخْذِفُ، فَقَالَ لَهُ: أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ نَهَى عَنِ الخَذْفِ أَوْ كَرِهَ الخَذْفَ، وَأَنْتَ تَخْذِفُ لَا أُكَلِّمُكَ كَذَا وَكَذَا"[4]

وأخرج ابن ماجة –رحمه الله– في باب: بَابُ تَعْظِيمِ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالتَّغْلِيظِ عَلَى مَنْ عَارَضَهُ

---

(1) متفق عليه أخرجه البخاري : (4617) واللفظ له، ومسلم: (1981/1980).

(2) أخرجه مسلم: (1940)

(3) أخرجه أبوداود: (1091) وصححه الشيخ الألباني، وابن خزيمة: (1780)، والحاكم في المستدرك: (1056).

(4) متفق عليه أخرجه البخاري: 5479)، ومسلم: (1954).

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تمنعوا إماء الله أن يصلين في المسجد، فقال ابن لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما والله، إنا لنمنعهن، قال: فسبّه سبًّا شديدًا وقال: نحدثك بالحديث عن النبيّ صلى الله عليه وسلم وتقول: إنّا لنمنّعهن"[1]

وعند مسلم –رحمه الله– أن أَبَا قَتَادَةَ ﷺ حَدَّثَ، قَالَ: "كُنَّا عِنْدَ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ فِي رَهْطٍ، وَفِينَا بُشَيْرُ بْنُ كَعْبٍ، فَحَدَّثَنَا عِمْرَانُ، يَوْمَئِذٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ" قَالَ: أَوْ قَالَ: "الْحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ" فَقَالَ بُشَيْرُ بْنُ كَعْبٍ: إِنَّا لَنَجِدُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ – أَوِ الْحِكْمَةِ – أَنَّ مِنْهُ سَكِينَةً وَوَقَارًا لِلَّهِ، وَمِنْهُ ضَعْفٌ، قَالَ: فَغَضِبَ عِمْرَانُ حَتَّى احْمَرَّتَا عَيْنَاهُ، وَقَالَ: أَلَا أَرَى أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَتُعَارِضُ فِيهِ، قَالَ: فَأَعَادَ عِمْرَانُ الْحَدِيثَ، قَالَ: فَأَعَادَ بُشَيْرٌ، فَغَضِبَ عِمْرَانُ، قَالَ: فَمَا زِلْنَا نَقُولُ فِيهِ إِنَّهُ مِنَّا يَا أَبَا نُجَيْدٍ، إِنَّهُ لَا بَأْسَ بِهِ"[2]

تعظيمهم شأن الحديث عنه:

فعَنْ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قُلْتُ لِلزُّبَيْرِ ﷺ: إِنِّي لَا أَسْمَعُكَ تُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَمَا يُحَدِّثُ فُلَانٌ وَفُلَانٌ؟ قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أُفَارِقْهُ، وَلَكِنْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: "مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"[3]

وبوَّب ابن ماجة –رحمه الله–: بَابُ التَّوَقِّي فِي الْحَدِيثِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثم روى عَنْ عَمْرو بن مَيْمُون قَالَ: اخْتَلَفْتُ إِلَى ابن مَسْعُودٍ سَنَةً، فَمَا سَمِعْتُهُ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إِلَّا أَنَّهُ حَدَّثَ يَوْمًا فَجَرَى عَلَى لِسَانِهِ قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ، ثُمَّ عَلَاهُ كَرْبٌ حَتَّى رَأَيْتُ العَرَقَ يَتَحَدَّرُ عَنْ جَبْهَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَكَذَا إِنْ شَاءَ اللَّه أَوْ فَوْقَ ذَا أَوْ مَا دُونَ ذَا أَوْ مَا هُوَ قَرِيبٌ من ذا، وَفِي رِوَايَة: فَتَرَبَّدَ وَجْهُهُ، وَفِي رِوَايَة: وَقَدْ تَغَرْغَرَتْ عَيْنَاهُ وانتفخت أَوْدَاجُهُ" [4]

---

(1) سنن ابن ماجة: (16) وهو في "المستخرج على مسلم" لأبي عوانة: (1481)

(2) أخرجه مسلم: (37) وغيره.

(3) أخرجه البخاري: (107)

(4) ابن ماجة: (23) ، والدرامي: (277).

فهذه بعض مظاهر تعظيم الصحابة رضي الله عنهم للنبي ﷺ ولسنته، فكانوا هم القدوة لمن جاء بعدهم في ذلك.

المطلب الثاني: منزلة السنة وصاحبها ﷺ عند السلف والصالحين بعد الصحابة رضي الله عنهم.

لقد سار التابعون ومن بعدهم من السَّلف على سَنن الصَّحابة قبلهم، في تعظيم النبيﷺ ومحبته وتوقير سنته، فبهم اقتدوا وتأسوا في تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم ومحبته وتوقيره، وتعظيم الحديث عنه، وتشديد النكير على من خالف السنة أو عارضها برأي أو قياس، فضلا عن المستهزئين بها.

صور مشرقة من تعظيم السلف للنبي ﷺ:

ودونكم صوراً مشرقة في ذلك:

يقول القاضي عياض –رحمه الله–: ... وَقَالَ مَالِك – وَقَدْ سُئِلَ عَنْ أيُوبَ السَّخْتِيَانِي – مَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ أحَدٍ إلَّا وَأيُّوبُ أفْضَلُ مِنْهُ، قَالَ وَحَجَّ حَجَّتَيْنِ فَكُنْتُ أرْمُقُهُ وَلَا اسْمَعُ مِنْهُ غيرا أنَّهُ كَانَ إذَا ذُكِرَ النَّبِيّ ﷺبَكى حَتَّى أرْحَمَهُ فَلَمّا رَأَيْتُ مِنْهُ مَا رَأَيْتُ وَإجْلَالَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ كَتَبْتُ عَنْهُ، وَقَالَ مُصْعَبُ بن عَبْد الله كَانَ مَالِكٌ إذَا ذُكِرَ النَّبِيّ ﷺ يَتَغَيَّرُ لَوْنُهُ وَيَنْحَنِي حَتَّى يَصْعُبَ ذَلِكَ عَلَى جُلَسَائِهِ فَقِيلَ لَهُ يَوْمًا فِي ذَلِكَ فَقَالَ لَوْ رَأيْتُمْ مَا رَأَيْتُ لَما أنْكَرْتُمْ عَليَّ مَا تَرَوْنَ وَلَقَدْ كُنْتُ أرَى مُحَمَّدَ بن الْمُنْكَدِرِ وَكَانَ سَيّدَ الْقُرّاءِ لَا نكاد سأله عَنْ حَدِيثٍ أبَدًا إلَّا يَبْكِي حَتَّى نَرْحَمَهُ وَلَقَدْ كُنْتُ أرَى جَعْفَرِ بن مُحَمَّدٍ وَكَانَ كَثِيرَ الدُّعَابَةِ وَالتَّبَسُّم فَإذَا ذُكِرَ عِنْدَهُ النَّبِيّ ﷺ اصْفَرَّ وَمَا رأته يُحَدَّثُ عَنْ رَسُول اللَّه ﷺ إلَّا عَلَى طَهَارَةٍ، وَلَقَد اخْتَلَفْتُ إلَيْهِ زَمَانًا فَمَا كُنْتُ أرَاهُ إلَّا عَلَى ثَلَاثِ خِصَال إمَّا مُصَلّيًا وإما صامتا وَإمَّا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَلَا يَتَكَلَّمُ فِيمَا لَا يعْنِيهِ وَكَانَ مِنَ الْعُلمَاءِ وَالْعُبّادِ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ، وَلَقَدْ كَانَ عَبْد الرَّحْمنِ بن الْقَاسِمِ يَذْكُرُ النَّبِيّ ﷺ فَيُنْظَرُ إلَى لَوْنِهِ كَأنَّهُ نُزِفَ مِنْهُ الدَّمُ وَقَدْ جَفَّ لِسَانُهُ فِي فَمِهِ هَيْبَةً مِنْهُ لِرَسُولِ اللَّه ﷺ وَلَقَدْ كُنْتُ آتي عَامِرَ بن عَبْد اللَّه بن الزُّبَيْرِ فَإذَا ذُكِرَ عِنْدَهُ النَّبِيّ ﷺ بَكى حَتَّى لَا يَبْقَى فِي عَيْنَيْه دُمُوعٌ، وَلَقَدْ رَأيْتُ الزُّهْرِيَّ وَكَانَ من أهْنَأ النَّاسِ وَأقْرَبِهِمْ فَإذَا ذُكِرَ عِنْدَهُ النَّبِيّ ﷺ فَكَأنَّهُ مَا عَرَفَكَ ولا عرفته، لقد كُنْتُ آتي صَفْوَانَ بن سُلَيْمٍ وَكَانَ مِنَ المتعبدين المجْتَهِدِينَ فَإذَا ذُكِرَ النَّبِيّ ﷺ بَكى فَلَا يَزَالُ يَبْكِي حَتَّى يَقُوم النَّاسُ عَنْهُ وَيَتْرُكُوهُ،

وَرُوِيَ عَنْ قَتَادَةَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا سَمِعَ الحديث أحذه العَوِيلُ وَالزَّوِيلُ ولما كَثُرَ عَلَى مَالِكٍ النَّاس قِيلَ لَهُ لو جَعَلْتَ مُسْتَمليًا يُسْمِعُهُمْ، فَقَالَ قَالَ الله تعالى (يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النبي) وَحُرْمَتُهُ حَيًّا وَمَيِّتًا سَوَاء، وَكَانَ ابن سِيرِينَ رُبَّمَا يَضْحَكُ فَإِذَا ذُكِرَ عِنْدَهُ حَدِيث النَّبِيّ ﷺ خَشَعَ وَكَانَ عَبْد الرَّحْمنِ بن مَهْدِيّ إِذَا قَرَأَ حَدِيثَ النَّبِيّ ﷺ أَمَرَهُمْ بِالسُّكُوتِ وَقَالَ (لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صوت النبي) وبتأول أنه يجيب لَهُ مِنَ الإِنْصَاتِ عِنْدَ قِرَاءةِ حَدِيثِهِ مَا يَجِبُ لَهُ عِنْدَ سِمَاع قَوْلِهِ.اهـ[1]

وكان نقل عن الإمام مالك –رحمه الله– مثل هاته الأحوال من تعظيمه للنبي ﷺ والحديث عنه غاية التعظيم، وكأن مالكا –رحمه الله– يشير إلى أنه إنما ورث هذه الأحوال عن هؤلاء الأئمة الأبدال، إلا أن القاضي نقل عنه في ذلك قصة غريبة حصلت له مع أبي جعفر المنصور وهو أنه لما نهاه عن رفع الصوت في مسجد النبي ﷺ سأله المنصور عن استقبال القبر عند الدعاء فقال له: (...وَلِم تَصْرِفْ وَجْهَكَ عَنْهُ وَهُوَ وَسِيلَتُكَ وَوَسِيلَةُ أَبِيكَ آدَمَ عيه السَّلَامُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ بَلِ اسْتَقْبِلْهُ واسْتَشْفِعْ بِهِ فَيُشَفِّعهُ اللَّهُ...) [2]، وهي رواية منكرة لا تثبت بحال يبطلها الثابت بيقين عن مالك نفسه ومن أخذ عنه من أئمة المالكية الأثبات فضلا عن ضعف إسنادها[3]،وإنما أردت

(1) "الشفا بتعريف حقوق المصطفى" للقاضي عياض (93/2)

(2) المصدر السابق: (93/2)

(3) وقد سود محققو الشفا في طبعة دار الفيحاء تعليقا عجيبا بعيدا عن المنهج العلمي الذي ينبغي للمسلم الناصح لدينه وأمته أن يسير عليه في مثل هذه القضايا العلمية، فقالوا تعليقا على هاته الحكاية: "وفي هذا الحديث رد على من قال: بأن استقبال القبر الشريف في الدعاء عند الزيارة أمر منكر لم يقل به أحد ولم يرو إلا في حكاية مفتراة على الامام مالك، –يعني هذه القصة– وقد أوردها المؤلف ولله الحمد بسندها الصحيح، وذكر أنه تلقاها عن عدة من ثقات مشايخه، فهذا مذهب مالك وأحمد والشافعي رضي الله عنهم استحباب استقبال القبر الشريف في السلام والدعاء وهو مسطر في كتبهم، وصرح به النووي في أذكاره وايضاحه.. وقال السبكي: (صرح أصحابنا بأنه يستحب أن يأتي القبر ويستقبله ويستدبر القبلة بعيدا من رأس القبر نحو أربع أذرع فيسلم عليه ﷺ ثم يتأخر ويسلم على أبي بكر رضي الله عنه ثم يتأخر ويسلم على عمر رضي الله عنه ثم يرجع لموقفه الأول مستقبلا للقبر ويدعو بما أراد..) وعن أبي حنيفة رضي الله عنه أنه يستقبله ﷺ في الزيارة ثم يستقبل القبلة بعده ويدعو كما ذكره السروجي".اهـ، ويأسفا...هكذا يتعامل بعض من ينسب للتحقيق والتخريج فيلقى الأحكام جزافا للعوام ومن لا يميز ولا يكلف نفسه جهدا للبحث عن مخارج مثل هذه الروايات الغريبة والله المستعان، وخلاصة الحكم على

الإشارة إليها هاهنا من باب تقرير الوسطية التي كان عليها الإمام مالك رحمه الله وأئمة السلف قبله وبعده في باب محبة النبي ﷺ، فلا غلو ولا جفاء، ولا تفريط ولا إفراط، والميزان ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم.

تشديد السلف النكير على من عارض السنة:

وفي ذلك أخبار مستفيضة:

قال الشافعي –رحمه الله–: "ولا أعلم من الصحابة ولا التابعين أحدا أخبر عن رسول الله ﷺ إلا قبل خبره وانتهى إليه وأثبت ذلك سنة. ثم أخرج عن سالم بن عبد الله: "أن عمر بن الخطاب نهى عن الطيب قبل زيارة البيت وبعد الجمرة، قال سالم: قالت عائشة: طيبت رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي لإحرامه قبل أن يحرم ولحله قبل أن يطوف بالبيت، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق" قال الشافعي: فترك سالم قول جده عمر في إمامته، وعمل بخبر عائشة. وأعلم من حدثه أنه سنة وأن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق، وذلك الذي يجب عليه. قال الشافعي: وصنع ذلك الذين بعد التابعين، والذين لقيناهم كلهم يثبت الأخبار ويجعلها سنة يحمد

هذه الرواية: أنها وردت من طريق محمد بن حميد الرازي وهو شديد الضعيف، كذبه أبو زرعة وابن واره، وقال صالح بن محمد الأسدي: ما رأيت أحدا أجرأ على الله منه وأحذق بالكذب منه، وضعفه يعقوب بن شيبة والنسائي وابن حبان، وهو مع ضعفه الشديد لم يدرك مالكا، وهذه القصة الغريبة عن أنفاس مالك انفرد بها رجل خراساني عن سائر أصحاب مالك المعروفين المشهورين الثقات من المدنيين والمصريين، قال شيخ الإسلام رحمه الله الفتاوى (353/1):"وهُوَ خِلَافُ الثَّابِتِ الْمَنْقُولِ عَنْهُ بِأَسَانِيدِ الثِّقَاتِ فِي كُتُبِ أَصْحَابِهِ كَمَا ذَكَرَهُ إسْمَاعِيلُ بْنُ إسْحَاقَ الْقَاضِي وَغَيْرُهُ مِثْلَ مَا ذَكَرُوا عَنْهُ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ أَقْوَامٍ يُطِيلُونَ الْقِيَامَ مُسْتَقْبِلِي الْحُجْرَةِ يَدْعُونَ لِأَنْفُسِهِمْ، فَأَنْكَرَ مَالِكٌ ذَلِكَ، وَذَكَرَ أَنَّهُ مِنْ الْبِدَعِ الَّتِي لَمْ يَفْعَلْهَا الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانِ وَقَالَ :لَا يُصْلِحُ آخِرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ إلَّا مَا أَصْلَحَ أَوَّلَهَا"، وقال أيضا:(230 – 1/229) "فَإِنَّ الْمَعْرُوفَ عَنْ مَالِكٍ وَغَيْرِهِ مِنْ الْأَئِمَّةِ، وَسَائِرِ السَّلَفِ مِنْ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ أَنَّ الدَّاعِيَ إذَا سَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ لِنَفْسِهِ، فَإِنَّهُ يَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ، وَيَدْعُو فِي مَسْجِدِهِ، وَلَا يَسْتَقْبِلُ الْقَبْرَ وَيَدْعُو لِنَفْسِهِ؛ بَلْ إنَّمَا يَسْتَقْبِلُ الْقَبْرَ عِنْدَ السَّلَامِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَالدُّعَاءِ لَهُ"اهـ. هذا ملخص ما يتعلق بهذه الحكاية المنكرة، نقلته بتصرف مما جمعه عَبْد اللَّه بن محمد زُقَيْل جزاه الله خيرا في: قصص لا تثبت عن أئمة المذاهب الأربعة، وقد نقل فيها ما تفرق من كلام شيخ الإسلام رحمه الله.

من تبعها ويعاب من خالفها، فمن فارق هذا المذهب كان عندنا مفارق سبيل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل العلم بعدهم إلى اليوم، وكان من أهل الجهالة".اهـ[1]

قال ابن عبد البر–رحمه الله–: "ليس أحد من علماء الأمة يثبت حديثا عن رسول الله ﷺ ثم يرده دون ادعاء نسخ ذلك بأثر مثله أو بإجماع أو بعمل يجب على أصله الانقياد إليه أو طعن في سنده، ولو فعل ذلك أحد سقطت عدالته فضلا عن أن يتخذ إماما ولزمه اسم الفسق ، ولقد عافاهم الله عز وجل من ذلك"[2]

ولنتأمل هذه المواقف عن بعض السلف في هذا الباب:

فعن قتادة –رحمه الله– قال: "حدَّث ابن سيرين رجلاً بحديث عن النبي ﷺفقال رجل: قال فلان كذا وكذا، فقال ابن سيرين: أحدِّثك عن النبي ﷺوتقول: قال فلان كذا وكذا؟!.. لا أكلمك أبدًا"(3)

وقال أبو السائب –رحمه الله– : "كنا عند وكيع، فقال لرجل عنده مِمَّن ينظر في الرأي: أشعر رسول الله ﷺ، ويقول أبو حنيفة "هو مُثلة" قال الرجل: فإنه قد رُوي عن إبراهيم النخعي أنه قال: "الإشعار مُثلة"، قال: فرأيت وكيعًا غضب غضبًا شديدًا وقال: أقول لك قال رسول الله ﷺ وتقول: قال إبراهيم؟!.. ما أحقّك بأن تُحبس ثم لا تخرج حتى تنزع عن قولك هذا".(4)

وعن خُرَّزَاذ العابد –رحمه الله– قال: "حديث أبو معاوية الضرير عند هارون الرشيد، بحديث "احتجَّ آدم وموسى" فقال: رجل شريف من وجوه قريش فأين لقيه؟.. فغضب هارون الرشيد

---

(1) مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة (ص35)، وانظر كتاب الباعث الحثيث على احترام الحديث، لشيخنا الدكتور أحمد بن علي القرني.

(2) جامع بيان العلم (1080/2)

(3) رواه الدارمي: (455)

(4) ذكر القصة الترمذي عند الحديث: (906)

وقال: النطع والسيف، زنديق يطعن في الحديث .. فما زال أبو معاوية يُسكنه ويقول: بادرة يا أمير المؤمنين ولم يفهم، حتى سكن"[1]

قال الحاكم -رحمه الله-: "سمعت الشيخ أبا بكر أحمد بن إسحاق الفقيه وهو يناظر رجلا، فقال: الشيخ: حدثنا فلان، فقال له الرجل: دعنا من حدثنا، إلى متى حدثنا، فقال له الشيخ: «قم يا كافر[2]، ولا يحل لك أن تدخل داري بعد هذا» ، ثم التفت إلينا، فقال: «ما قلت قط لأحد لا تدخل داري إلا لهذا"[3]

وروى أبو عبد الله المؤذن عن أَبِي مُحَمَّدٍ بنِ أَبِي شُرَيْحٍ أنه أتاه رجل فَقَالَ: إِنَّ امَرَأَتِي وَلَدَتْ لِستَّةِ أَشهرٍ، فَقَالَ: هُوَ وَلدُكَ، قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: "الوَلَدُ لِلْفِرَاشِ" فَعَاوَدَهُ، فَرَدَّ عَلَيْهِ كذَلِكَ، فَقَالَ الرَّجُلُ: أَنَا لَا أَقولُ بِهَذَا، فَقَالَ: هَذَا الغَزْوُ، وَسَلَّ عَلَيْهِ السَّيْفَ، فَأَكببنَا عَلَيْهِ وَقُلْنَا: جَاهلٌ لَا يَدْرِي

(1) ذكرها الذهبي في "سير أعلام النبلاء" (288/9)

(2) ولا ريب أن هذا التكفير للمعين يجري على قاعدة أهل السنة في أنه لابد من توفر شرط التكفير وانتفاع موانعه، يبين ذلك قول ابن حزم رحمه الله:"وقد ذكرنا محمد بن نصر المروزي أن إسحاق بن راهويه كان يقول: من بلغه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر يقر بصحته ثم رده بغير تقية فهو كافر ولم نحتج في هذا بإسحاق وإنما أوردناه لئلا يظن جاهل أننا منفردون بهذا القول" الإحكام في أصول الأحكام (99/1)، لكن القصد هنا بيان تشديد السلف على من ظهر منهم علامات رد السنة وإنكار الاحتجاج بها، قال السيوطي رحمه الله: "فاعلموا رحمكم الله أن من أنكر كون حديث النبي صلى الله عليه وسلم قولا كان أو فعلا بشرطه المعروف في الأصول حجة، كفر وخرج عن دائرة الإسلام وحشر مع اليهود والنصارى، أو مع من شاء الله من فرق الكفرة. روى الإمام الشافعي رضي الله عنه يوما حديثا وقال إنه صحيح فقال له قائل: أتقول به يا أبا عبد الله؟، فاضطرب وقال: "يا هذا أرأيتني نصرانيا؟ أرأيتني خارجا من كنيسة؟ أرأيت في وسطي زنارا؟ أروي حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أقول به"، وأصل هذا الرأي الفاسد أن الزنادقة وطائفة من غلاة الرافضة ذهبوا إلى إنكار الاحتجاج بالسنة والاقتصار على القرآن"

(3) ذكرها الحاكم في "معرفة علوم الحديث" (ص4)، وأوردها الذهبي في "السير" (485/15)، والسبكي في "طبقات الشافعية" (10/3)، وذكرها صاحب "الروض الباسم في ترجمة شيوخ الحاكم" أبو الطيب نايف بن صلاح بن علي المنصوري (ص188).

مَا يَقُوْلُ، قال الذهبي –رحمه الله–: قُلْتُ: كَانَ سَبِيلهُ أَنْ يوضِّحَ لَهُ وَيَقُوْلَ: لَكَ أَنْ تَنْتَفِيَ مِنْهُ بِاللِّعَانِ، وَلَكِنَّهُ احتمَى للسُّنَّةِ وَغَضِبَ لَهَا.[1]

وقال أبو الحسين الطبسي –رحمه الله–: "سمعت أبا سعيد الإصطخري يقول: ...وجاءه رجل وقال له: أيجوز الاستنجاء بالعظم؟ قال: لا قال: لِمْ؟ قال: لأنَّ رسول الله قال: «هو زاد إخوانكم من الجن»، فقال له: الإنس أفضل أم الجن؟ قال: بل الإنس، قال: فلِمَ يجوز الاستنجاء بالماء وهو زاد الإنس؟ قال: فنزا عليه وأخذ بحلقه وهو يقول: يا زنديق، تُعارض رسول الله؟.. وجعل يخنقه، فلولا أني أدركته لقتله، أو كما قال"[2]، والأخبار في ذلك كثيرة.

(1) "سير أعلام النبلاء" (527/16)

(2) انظر رسالة "تعظيم السنة وموقف السلف مع من عارضها أو استهزأ بشيء منها" لشيخنا عبد القيوم السحيباني.

المبحث الثالث: فضل السلف الصالح في الإسلام.

وفيه تمهيد ومطلبان:

المطلب الأول: فضل السلف –رضي الله عنهم–.

المطلب الثاني: بيان أن اختلاف السلف وتنازعهم لا يقدح في فضلهم وعدالتهم.

تمهيد: فضل السلف إجمالا وبيان أهمية إجماعهم وحكم اختلافهم، وتحديد المقصود بالسلف

إن الله تعالى ﷻ قد اصطفى أنبياءه ورسله من خيرة عباده، واختار لهم وزراء وحواريين وأصحابا، ليعزروهم ويوقروهم وينصروهم، ويبلغون عنهم مَن بعدهم، وكان من فضل الله على نبيه محمدﷺ، أن جعل أصحابه أفضل أصحاب نبي، وأكثرهم عددا، وأجلاهم سيرة، ولشرفهم ذكرهم في التوراة والإنجيل والقرآن قال ﷻ: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾[سورة الفتح: 29]، فكانوا خيرة عباد الله خلقا ودينا، وكانوا أصدق الناس لهجة، وأعظمهم إيمانا، ومنهم الصديقون والشهداء والصالحون، ومن نظر في سير الصحابة رضي الله عنهم، علم فضلهم وصدقهم وتضحياتهم، وعلو هممهم التي كان لها الأثر الجلي في قيام وقوة دولة الإسلام، التي بلغ عزها الآفاق، ووصل مجدها مشارق الأرض ومغاربها، ومما أكرم الله به أصحاب نبيهﷺ أن جعل قلوبهم مهيئة للعلم والإيمان وأوعية لحفظ السنن والأحكام.

ومن الضروري أن نشير هنا إلى حقيقة لا ريب فيها، وهي أن أهل السنة لا ينسبون العصمة للسلف، ولا يقولون إن أقوالهم واجتهاداتهم عندهم بمنزلة الوحي، فهذا لاشك باطل لا يقول به أحد ممن ينتسب إلى العلم من أهل السنة، بل إنهم يقررون خلاف ذلك تماما، فعندهم الأصلان المقدمان هما الكتاب والسنة، وهما في مرتبة واحدة إجمالا، وهي مرتبة الوحي، لكنهم يجعلون الإجماع المتحقق أصلا شرعيا، بدلالة الوحي على ذلك، فكيف إذا كان الإجماع إجماعَ الصحابة والسلف من بعدهم من خيرة القرون؟ وهم كذلك ينوهون بأقوال آحاد الصحابة، وخاصة إذا لم يعلم لهم مخالف، فقول الصحابي عنده مكانته لديهم، بناء على ما ثبت لهم من فضائل، وخاصة كبراؤهم من الخلفاء الأربعة، وعلماء الصحابة الذين خصوا بالثناء من النبي ﷺ رضي الله عنهم أجمعين، فما أجمعوا عليه هو حجة على الأمة يقينا، فمن المحال والممتنع شرعا وعقلا، أن يتفقوا على باطل أو ضلال، دل على ذلك الكتاب والسنة كقوله ﷻ : ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [سورة

النساء: 115] ، وصح عن النَّبِيَّ ﷺ أنه قال: "إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَجَارَ أُمَّتِي أَنْ تَجْتَمِعَ عَلَى ضَلَالَةٍ"[1]، وما اختلفوا فيه مما اجتهدوا فيه له ضوابطه وأحكامه التي تجري عليه، مما سار عليه أئمة الإسلام، الذين تلقوا عن الصحابة ومن بعدهم، وأهم ضابط في ذلك، ما دل عليه قوله ﷻ: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾[سورة النساء: 59].

قال ابن القيم –رحمه الله–: وَمِنْهَا: أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ﴾ نَكِرَةٌ فِي سِيَاقِ الشَّرْطِ تَعُمُّ كُلَّ مَا تَنَازَعَ فِيهِ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ مَسَائِلِ الدِّينِ دِقِّهِ وَجِلِّهِ، جَلِيِّهِ وَخَفِيِّهِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ بَيَانُ حُكْمِ مَا تَنَازَعُوا فِيهِ وَلَمْ يَكُنْ كَافِيًا لَمْ يَأْمُرْ بِالرَّدِّ إِلَيْهِ؛ إِذْ مِنْ الْمُمْتَنِعِ أَنْ يَأْمُرَ تَعَالَى بِالرَّدِّ عِنْدَ النِّزَاعِ إِلَى مَنْ لَا يُوجَدُ عِنْدَهُ فَصلُ النِّزَاعِ [2]

وليس القصد هنا الحديث عن مسالة حجية أقوال الصحابة رضي الله عنهم، وما يتعلق بذلك من مباحث، لكن المراد بيان فضل علم السلف إجمالا، مما كان له الأثر في حفظ الدين كتابا وسنة نقلا وفهما.

وقبل الشروع في المقصود نشير إلى المعنى اللغوي والاصطلاحي للفظة السلف:

أولا: معنى السلف لغة: قال ابن فارس –رحمه الله–: "السين واللام والفاء أصل يدل على تقدم وسبق، من ذلك السلف الذين مضوا، والقوم السُّلاف المتقدمون..."[3]

وكذا قال في اللسان: "والقومُ السُّلَّافُ: الْمُتَقَدِّمُونَ. وسَلَفُ الرَّجُلِ: آباؤُه الْمُتَقَدِّمُونَ"[4]

قال في القاموس: "السلف ...وكلُّ عمل صالح قدمته ، أو فرطٍ فرط لك وكل من تقدمك من آبائك وقرابتك"[5]

قال في الكليات: "السلف كل عمل صالح قدمته فهو فرط"[1]

---

(1) أخرجه ابن أبي عاصم في "السنة" (83) وصححه الألباني بمجموع طرقه انظر تخريجه في "الصحيحة" (1331)

(2) "إعلام الموقعين عن رب العالمين" (39/1)

(3) "معجم مقاييس اللغة" (95/3)

(4) "لسان العرب" لابن منظور (158/9)

(5) "القاموس المحيط" للفيروزآبادي (820/1)

ونخلص من هذا أن لفظة السلف تطلق على الأشخاص وعلى الأعمال، وغُلِّبت في الصالح منها.

ثانيا: معنى السلف اصطلاحا: من خلال المفهوم اللغوي لكلمة "سلف" يتبين لنا أنها متعلقة بشيء مضى وسبق؛ سواء من الأشخاص أو الأعمال، إلا أنه في الاصطلاح الشائع عند أهل العلم غلب على الأشخاص الذين مضوا في فترة زمنية محددة، بأوصاف مدحوا بها في نصوص الشرع.

جاء في كتاب التعريفات الفقهية: "السلف محركة اسم لكل من يُقَلَّد مذهبه ويتبع أثره كالإمام أبي حنيفة وغيرهم من الأئمة وأصحابهم رحمهم الله فإنهم سلف لنا، كالصحابة والتابعين فإنهم سلف لهم ويقابله الخلف، وقد يطلق السلف شاملا للمجتهدين كلهم، من الصحابة والتابعين وأتباعهم إلى المائة الرابعة، ومن كان بعد المائة الرابعة فهم خلف"[2]

ومن أفضل ما ذُكر في معنى السلف مايلي:

إذا أُطْلِقَ لفظ السلفُ عندَ علماءِ الاعتقادِ فإنَّما تدور كل تعريفاتهم حول الصحابة، أَو الصحابة والتابعين، أَو الصحابة والتابعين وتابعيهم من القرون المفضلة؛ من الأَئمَّةِ الأَعلامِ المشهودِ لهم بالإِمامةِ والفضلِ واتباعِ السنة والإِمامةِ فيها، واجتناب البدعةِ والحذر منها، وممن اتفقت الأُمّةُ على إِمامتهم وعظيم شأنهم في الدِّين، ولهذا سمي الصدرُ الأول بالسلَف الصالح[3].

ولا شك أن هذا المعنى مطابق لمن يتناولهم موضوع فضل السلف، الذين اعتنى أهل الحديث بآثارهم فيما سيذكر في الفصول والمباحث الآتية.

---

(1)"الكليات" لأبي البقاء الحنفي (ص 494)

(2) "التعريفات الفقهية" (ص 114)

(3) "الوجيز في عقيدة السلف الصالح"، لعبد الله بن عبد الحميد الأثري (ص27)

المطلب الأول: فضل السلف –رضي الله عنهم–.

الفرع الأول: فضل السلف من خلال نصوص الكتاب والسنة.

نذكر فيما يلي بعض ما ورد في الكتاب والسنة، مما يثبت فضل السلف من أهل القرون الأولى عمن جاء بعدهم، بل عن كل من سواهم إلا الأنبياء والرسل عليهم السلام، قال ﷻ: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس... ﴾[سورة آل عمران: 110]، فهم أولى الناس بهذا الوصف.

ومما لا يرتاب فيه مسلم متبع غير مبتدع، أن في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، نصوص صريحة في فضل السلف الصالح من أصحاب النبي ﷺ ومن جاء بعدهم، في تلك القرون الخيّرة، ومن سلم من الهوى في التعامل مع النصوص، تيقن فضلهم من خلال تلكم النصوص المحكمة:

أولا: فضل السلف من خلال نصوص القرآن:

قال الله ﷻ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[سورة التوبة: 100]

وجه الدلالة من هذه الآية:

قال ابن كثير –رحمه الله–: "يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ رِضَاهُ عَنِ السَّابِقَيْنِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَرِضَاهُمْ عَنْهُ بِمَا أعدَّ لَهُمْ مِنْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ"[1].

وقوله: {وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ} قال ابن عباس ﷺ: "والذين اتبعوهم على دينهم من أهل الإيمان إلى أن تقوم الساعة"[2].

---

(1) تفسير ابن كثير: (203/4)

(2) "الوسيط" للواحدي (521/2)، "وقال مقاتل بن سليمان: {والَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ} على دينهم الإسلام {بِإحْسانٍ}، وعن عِصْمة، قال: سألتُ سفيان عن التابعين. قال: هم الذين أدركوا أصحابَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، ولم يُدرِكوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم سألتُه عن الذين اتبعوهم بإحسان، قال: مَن يجيء بعدَهم. قلتُ: إلى يوم القيامة؟ قال: أرجُو، وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم –من طريق ابن وهب– في قوله: {والذين اتبعوهم بإحسان}، قال: مَن بقي مِن أهل الإسلام إلى أن تقوم الساعة". انظر "موسوعة التفسير المأثور" (601/10) (إعداد مركز الدراسات والمعلومات القرآنية)

فإذا كان الرضى عام لمن اتبع السابقين، فكيف بأول المتبعين لهم بإحسان ممن لقيهم وأخذ عنهم.

وقول ﷻ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ، وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ، وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[سورة الحشر:8،9،10]

فهذه الآيات ذكر فيها الأصناف الثلاثة، الذين يستحقون الذكر من هذه الأمة، وهم الأمة الناجية مثل ما ورد في آية التوبة، ففي هذه الآيات الثلاث ثناء على ثلاثة أصناف من الناس: المهاجرين والأنصار، وعلى من جاء من بعدهم، بالوصف المذكور، فمن لم يتصف بتلك الأوصاف، فلا حظ له من الثناء الذي تضمنته الآية.

وتَقَرَّرَ بها فضلُ السلف من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين ومن اتبعهم، وكل من جاء بعدهم، ممن اتصف بتلك الأوصاف ويجمعها:

- اتباعهم بإحسان.
- الدعاء لهم والاستغفار.
- عدم حمل الغل لهم.

وقال ﷻ: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[سورة الفتح: 18]

وفي هذه الآية إثبات لفضل الصحابة الذين بايعوا تحت الشجرة، وكان عددهم قرابة الأربعمائة والألف.

وقال ﷻ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ

وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة الفتح: 29]

وهذا من أجمع الثناء من الله على أصحاب النبي ﷺ، فزكاهم ظاهرا بكثرة السجود وباطنا بأنهم يبتغون رضوان الله، وبين أنهم ذكروا في التوراة والإنجيل، ثم بين ما أعد لهم من الثواب العظيم.

وقوله ﷻ: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[سورة الحديد: 10]

وفي هذه الآية تقرير لفضل السلف من الصحابة خاصة رضي الله عنهم ويدخل فيها من تأخر إسلامهم كمسلمة الفتح.

ثانيا: فضل السلف من صحيح السنة

ورد في صحيح السنة جملة من الأحاديث في فضائل الصحابة خاصة، وجاء في فضل من بعدهم من القرون التي بعدهم وهو ما يصطلح عليه أهل العلم القرون المفضلة، ولم يكن ذلك من أهل العلم تكلفا ولا محاباة لكنهم أخذوا ذلك من نصوص ثابتة صريحة صحيحة، ويكفي إيرادها وسردها لمن سلم من الهوى وكان قلبه طاهرا من الغل، وسأورد أمثلة على القسمين، مما ورد في فضائل الصحابة خاصة، وما ورد في فضلهم مع من بعدهم:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ"[1]

قال الخطابي –رحمه الله–: " والمعنى أن جهد المقل منهم، واليسير من النفقة الذي أنفقوه في سبيل الله، مع شدة العيش والضيق الذي كانوا فيه، أوفى عند الله وأزكى من الكثير الذي ينفقه من بعدهم"[2]

(1) أخرجه البخاري: (3673) عن أبي سعيد، ومسلم: (2540) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(2) "معالم السنن" (308/4).

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة، وإن أمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة"[1]

قال القسطلاني –رحمه الله–: "والجماعة التي أمر الشارع بلزومها جماعة أئمة العلماء لأن الله تعالى جعلهم حجة على خلقه وإليهم تفزع العامة في أمر دينها وهم المعنيون بقوله: "إن الله لن يجمع أمتي على ضلالة". وقال آخرون: هم جماعة الصحابة الذين قاموا بالدين وفرّقوا عماده، وثبتوا أوتاده..." [2].

يؤيد المعنى الثاني ماورد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ مِثْلًا بِمِثْلٍ حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، حَتَّى لَوْ كَانَ فِيهِمْ مَنْ نَكَحَ أُمَّهُ عَلَانِيَةً كَانَ فِي أُمَّتِي مِثْلَهُ، إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقُوا عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً" فَقِيلَ لَهُ: مَا الْوَاحِدَةُ؟ قَالَ: "مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي"[3]

---

(1) أخرجه ابن ماجة: (3993) بهذا اللفظ، والإمام أحمد: (12208) ولفظه "إلا فرقة"، وأخرج الإمام أحمد: (16937) عن أبي عامر عبد الله بن لحي، قال: حججنا مع معاوية بن أبي سفيان، فلما قدمنا مكة قام حين صلى صلاة الظهر، فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة – يعني: الأهواء –، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة، وإنه سيخرج في أمتي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه، لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله " والله يا معشر العرب لئن لم تقوموا بما جاء به نبيكم صلى الله عليه وسلم، لغيركم من الناس أحرى أن لا يقوم به" وحسنه محققوا المسند.

(2) "إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري" (184/10).

(3) أخرجه الترمذي : (2641)، والحاكم بهذا اللفظ: (444)، والطبراني في معاجمه الثلاثة، وابن وضاح: (250)، والمروزي في السنة: (59). والآجري في الشريعة: (24)، واللالكائي في شرح الاعتقاد: (147)، وصححه الألباني وغيره. قال الألباني في صحيح الترغيب: "أي: الصحابة كما في بعض الروايات، وفي أخرى: "هي ما أنا عليه وأصحابي". رواه الترمذي وغيره، وهو مخرج في المجلد الأول من "الصحيحة"، وإنّ مما يجب أنْ يعلم أن التمسك بما كانوا عليه هو الضمان الوحيد للمسلم أن لا يضل يميناً وشمالاً، وهو مما يغفل عنه كثير من الأحزاب الإسلامية اليوم، فضلاً عن الفرق الضالة" صحيح الترغيب والترهيب: (129/1).

وصح عن ابن مسعود وثوبان وابن عمر –رضي الله عنهم أجمعين– أن النبي ﷺ قال "إذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكر النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا"[1]

قَالَ: صَلَّيْنَا الْمَغْرِبَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قُلْنَا: لَوْ جَلَسْنَا حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَهُ الْعِشَاءَ قَالَ فَجَلَسْنَا، فَخَرَجَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: "مَا زِلْتُمْ هَاهُنَا؟" قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ صَلَّيْنَا مَعَكَ الْمَغْرِبَ، ثُمَّ قُلْنَا: نَجْلِسُ حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَكَ الْعِشَاءَ، قَالَ "أَحْسَنْتُمْ أَوْ أَصَبْتُمْ" قَالَ فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَكَانَ كَثِيرًا مِمَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: "النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ"[2]

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، يَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: فِيكُمْ مَنْ رَأَى رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: فِيكُمْ مَنْ رَأَى مَنْ صَحِبَ رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ رَأَى مَنْ صَحِبَ مَنْ صَحِبَ رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ فَيُفْتَحُ لَهُمْ "[3]

عَنْ عَبْدِ الله بن مسعودٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ يَلُونِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ"[4]

وفي لفظ قال ﷺ : "خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْقَرْنُ الَّذِينَ بُعِثْتُ فِيهِمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ"[5]

---

(1) أخرجه الطبراني في الكبير: (1427)و(10480)، وهو في الصحيحة: (34)

(2) أخرجه مسلم: (2531)، وترجم له النووي رحمه الله: بَابُ بَيَانِ أَنَّ بَقَاءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَانٌ لِأَصْحَابِهِ، وَبَقَاءَ أَصْحَابِهِ أَمَانٌ لِلْأُمَّةِ

(3) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(4) أخرجه مسلم: (2533)

(5) مسلم: (2535)

زَادَ فِي بعض طرقه قَالَ عبد الله: وَاللهُ أَعْلَمُ، أَذَكَرَ الثَّالِثَ أَمْ لَا ؟ لكن ورد عن عائشة مايؤكد ذكر الثالث فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ قَالَ: "الْقَرْنُ الَّذِي أَنَا فِيهِ، ثُمَّ الثَّانِي، ثُمَّ الثَّالِثُ"[1]

وفي الحديثين الأخيرين فوائد منها:

- تقرير الفضل من جهة إثبات الخيرية عمن يأت بعد النبي ﷺ بالترتيب وكلما قرب العهد بزمن النبوة كلما كان التفضيل أعظم.
- تقسيم القرون المفضلة إلى ثلاث طبقات وهم الصحابة والتابعون وأتباع التابعين.
- تزكية هؤلاء بصدقهم وورعهم من خلال ذكر ما يظهر عند انخرام عصرهم من التساهل في الشهادة واليمين حتى قال راو الحديث إِبْرَاهِيمُ النخعي : "وَكَانُوا يَضْرِبُونَنَا عَلَى الشَّهَادَةِ، وَالعَهْدِ" وهم صغار كما ثبت في البخاري لشدة تحرزهم من آفات اللسان فهم أصدق الناس لهجة وهذا من أعظم أسباب اصطفائهم.
- إذا كانت الرؤية واللقاء –مع الإسلام–يثبت بها الفضل فكيف إذا اجتمع معها العلم والجهاد وغير ذلك من الفضائل.

الفرع الثاني: فضل السلف من خلال الآثار وكلام الأئمة.

مما استفاض واشتهر عن السلف ومن بعدهم من الأئمة الأعلام، تفضيل السلف والتنويه بعلم السلف، والإقرار بعلو مكانتهم ومرتبتهم عند الله ﷻ، ولا ريب أن أعظم ثمرة ترجى من إثبات فضائلهم من خلال نصوص الوحي إنما هي تقديمهم في العلم والفهم والإمامة في الدين عمن أتى بعدهم، وهذا المعنى استقر عند أهل العلم وتناقلوه وما وجدوا مناسبة لذلك إلا ذكروه سواء في سياق إثبات حجية السنة من خلال عدالة نقلتها من جمهور الصحابة وتلاميذهم إلى أن دونت، أو في سياق رد فهوم أهل الكلام والأهواء التي أحدثوها فيبينون بطلانها بنصوص الكتاب والسنة وفهم السلف، وكون تلكم الأهواء غريبة إنما أحدثت بعد عصرهم، أو من خلال الكلام ابتداء عن

(1) مسلم: (2536)

فضل السلف فيذكرون فضل ما كانوا عليه من علم وخشية وورع وبُعدٍ عن التنطع والتكلف فضلا عن الكذب والقول على الله بغير علم.

وفيما يلي بعض الآثار والأخبار، التي طارت بها الأسفار في الأسفار، وسار بها الركبان في الأقطار، واشتهرت اشتهار الشمس في رابعة النهار، تبين مكانة علم السلف عند أهل العلم من عصر الصحابة إلى يوم الناس هذا، وسيبقى هذا المعنى مستقرا في نفوس أهل السنة والجماعة إلى يوم الدين، لأنه الحق لا يمتري فيه إلا جاهل أو معاند.

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ ﷺ: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُتَأَسِّيًا فَلْيَتَأَسَّ بِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَبَرَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ قُلُوبًا وَأَعْمَقَهَا عِلْمًا وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا وَأَقْوَمَهَا هَدْيًا وَأَحْسَنَهَا حَالًا، قَوْمًا اخْتَارَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ فَاعْرِفُوا لَهُمْ فَضْلَهُمْ وَاتَّبِعُوهُمْ فِي آثَارِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ»[1]

قال ابن رجب –رحمه الله– : "ولقد صدق ابن مسعود في قوله في الصحابة: "إنهم أبر الأمة قلوبًا، وأعمقها علومًا، وأقلها تكلفًا" ورُوي نحوه عن ابن عمر أيضاً ،وفي هذا إشارة إِلَى أن من بعدهم أقل علومًا وأكثر تكلفًا.

وقال ابن مسعود ﷺ: "لا يزال الناسُ بخير ما أتاهم العلمُ من أصحاب محمد ﷺ ومن أكابِرِهم، فإذا جاء العلم من قِبَلِ أصاغرهم هلكوا"[2]

وقال ابن مسعود أيضاً: "إنكم في زمان كثير علماؤه قليل خطباؤه، وسيأتي بعدكم زمان قليل علماؤه كثير خطباؤه" فمن كثر علمه وقل قوله فهو الممدوح، ومن كان بالعكس فهو مذموم"[3]

---

(1) رواه ابن عبد البر في "جامع بيان العلم وفضله" (1810) ورواه من كلام الحسن البصري: (1807) وكذلك رواه الآجري في "الشريعة" (1984) من قول الحسن.

(2) أورده ابن المبارك في "الزهد" (815) بهذا اللفظ ،ورواه عبد الرزاق في "المصنف" (21520)، ومعمر بن راشد في "جامعه" (20446) بلفظ: "لا يزال الناس صالحين متماسكين"

(3) "فضل علم السلف على الخلف" (ص23)

ومما امتاز به الصحابة خاصة أنهم أعلم الناس بلغة الوحي وهم المختصون إجمالا بشهود نزوله، فعلموا -في الجملة- الأسباب والأحداث والقرائن والملابسات والسياقات والتواريخ والمتأخر والمتقدم من النصوص، فلا جرم كانوا مقدمين في الفضل والعلم والفهم، لذا كانوا مبلغين للكتاب والسنة نصا وفقها وفهما.

قال ابن رجب -رحمه الله- أيضا: "وأما ما أُحدث بعد الصحابة من العلوم التي توسع فيها أهلها وسموها علومًا، وظنوا أن من لم يكن عالماً بها فهو جاهل أو ضال، فكلها بدعة، وهي من محدثات الأمور المنهي عنها، فمن ذلك ما أحدثته المعتزلة من الكلام في القدر وضرب الأمثال لله، وقد ورد النهي عن الخوض في القدر"اهـ[1].

وقال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: "العالمون بالله وكتابه ودينه، عرفوا سبيل المؤمنين معرفة تفصيلية، وسبيل المجرمين معرفة تفصيلية، فاستبانت لهم السبيلان، فهؤلاء أعلم الخلق وأنفعهم للناس، وأنصحهم لهم، وهم الأدلاء الهداة، وبذلك برز الصحابة على جميع من أتى بعدهم إلى يوم القيامة، فإنهم نشأوا في سبيل الضلال والكفر والشرك والسبل الموصلة إلى الهلاك وعرفوها مفصلة، ثم جاء الرسول ﷺ فأخرجهم من الظلمة الشديدة إلى النور التام، ومن الظلم إلى العدل، فعرفوا مقدار ما نالوه وظفروا به، ومقدار ما كانوا فيه، فإن الضد يظهر حسنه الضد، وإنما تتبين الأشياء بأضدادها، فازدادوا رغبة ومحبة فيما انتقلوا إليه، ونفرة وبغضاً لما انتقلوا عنه ... "اهـ[2].

وعَنْ صَالِحِ بْنِ جبير -رحمه الله- وقال: وَقَفَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى قَوْمٍ يَقُصُّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ فَضَلْتُمْ أَصْحَابَ محمَّد ﷺ عَلَنًا[3]، وَلَقَدِ ابْتَدَعْتُمْ بِدْعَةً ظُلْمًا اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا، وَاللَّهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ لَقَدْ سَبَقْتُمْ سَبْقًا بيِّنًا، وَلَئِنِ ابْتَدَعْتُمْ لَقَدْ ظُلِمْتُمْ ظُلْمًا بَعِيدًا، أَوْ قَالَ: ضَلَلْتُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا"[3].

---

(1) المصدر السابق: (ص14)

(2) "الفوائد" (ص158)

(3) أورده الحافظ بن حجر في "المطالب العالية بزوائد الثمانية" (2983)، وقال محققوه: "الأثر بطرقه صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه"

وورد عنه أيضا من طريق عطاء بن السائب –رحمه الله– عن أبي البختري والشعبي رحمهم الله قالا: قال عبد الله ﷺ: "عليكم بالطريق فلئن لزمتموه لقد سبقتم سبقا بعيدا، ولئن خالفتموه يمينا وشمالا لقد ضللتم ضلالا بعيدا" [1]

وورد نحوه عن حذيفة ﷺ، فعَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ: قَالَ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ: "اتَّبِعُوا سُبُلَنَا، وَلَئِنِ اتَّبَعْتُمُونَا لَقَدْ سُبِقْتُمْ سَبْقًا بَعِيدًا، وَلَئِنْ خَالَفْتُمُونَا لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا"[2].

وعن حذيفة أيضا قال: "كل عبادة لا يتعبدها أصحاب رسول الله ﷺ فلا تعبدوها فإن الأول لم يدع للآخر مقالا، فاتقوا الله يا معشر القراء وخذوا طريق من كان قبلكم"[3].

قال الأوزاعي –رحمه الله–: «الْعِلْمُ مَا جَاءَ عَنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَمَا لَمْ يَجِئْ عَنْ وَاحِدٍ، مِنْهُمْ فَلَيْسَ بِعِلْمٍ»"[4].

وكتب رجل إلى عمر بن عبد العزيز –رحمه الله– يسأله عن القدر، فكتب إليه جوابا عظيما قال فيه: " أما بعد، أوصيك بتقوى الله، والاقتصاد في أمره، واتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وترك ما أحدث المحدثون بعد ما جرت به سنته، وكفوا مؤنته، فعليك بلزوم السنة فإنها لك – بإذن الله – عصمة، ثم اعلم أنه لم يبتدع الناس بدعة إلا قد مضى قبلها ما هو دليل عليها أو عبرة فيها، فإن السنة إنما سنها من قد علم ما في خلافها – ولم يقل ابن كثير من قد علم من – الخطإ والزلل والحمق والتعمق، **فارض لنفسك ما رضي به القوم لأنفسهم، فإنهم على علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا، وهم على كشف الأمور كانوا أقوى، وبفضل ما كانوا فيه أولى، فإن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبقتموهم إليه ولئن قلتم إنما حدث بعدهم ما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم، فإنهم هم السابقون، فقد تكلموا فيه بما يكفي، ووصفوا منه ما**

---

(1) أخرجه ابن بطة في الإبانة: (187)

(2) أخرجه ابن وضاح في "البدع والنهي عنها" (ص38 رقم 15)، وهو عند البخاري:(7282) ولفظه: «يَا مَعْشَرَ الْقُرَّاءِ اسْتَقِيمُوا فَقَدْ سَبَقْتُمْ سَبْقًا بَعِيدًا، فَإِنْ أَخَذْتُمْ يَمِينًا وَشِمَالًا، لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا».

(3) "الإبانة" لابن بطة: (1245)، والبيهقي في "المدخل" (232).

(4) أورده ابن عبد البر في "جامع بيان العلم وفضله" (1421)

يشفي، فما دونهم من مقصر، وما فوقهم من محسر، وقد قصر قوم دونهم فجفوا، وطمح عنهم أقوام فغلوا، وإنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم، كتبت تسأل عن الإقرار بالقدر فعلى الخبير – بإذن الله – وقعت، ما أعلم ما أحدث الناس من محدثة، ولا ابتدعوا من بدعة هي أبين أثرا ولا أثبت أمرا من الإقرار بالقدر، لقد كان ذكره في الجاهلية الجهلاء يتكلمون به في كلامهم وفي شعرهم، يعزون به أنفسهم على ما فاتهم، ثم لم يزده الإسلام بعد إلا شدة، ولقد ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في غير حديث ولا حديثين، وقد سمعه منه المسلمون فتكلموا به في حياته وبعد وفاته، يقينا وتسليما لربهم، وتضعيفا لأنفسهم، أن يكون شيء لم يحط به علمه، ولم يحصه كتابه، ولم يمض فيه قدره، وإنه مع ذلك لفي محكم كتابه: منه اقتبسوه، ومنه تعلموه، ولئن قلتم لم أنزل الله آية كذا لم قال كذا لقد قرءوا منه ما قرأتم، وعلموا من تأويله ما جهلتم، وقالوا بعد ذلك: كله بكتاب وقدر، وكتبت الشقاوة، وما يقدر يكن، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا نملك لأنفسنا ضرا ولا نفعا، ثم رغبوا بعد ذلك ورهبوا"[1].

(1) أخرجه أبوداود (4612)

المطلب الثاني: بيان أن اختلاف السلف وتنازعهم لا يقدح في فضلهم وعدالتهم.

الفرع الأول: ما جرى بين الصحابة رضي الله عنهم.

مما ينبغي أن يعلم بين يدي هذا الموضوع، أنه كان ولا يزال طريقٌ مزلة مدحضة لكثير ممن لم تسلم طويته، ولم يُحْكِم العلمَ ويَحْكُم بالعدل، والذي مصدره الكتاب والسنة والإجماع، ذلك أن ما وقع بين الصحابة من نزاع واختلاف واجتهادا لابد أن ينظر فيه من نافذة شرعية محضة، لا دخل فيها للعواطف والأمزجة والعقول، وإلا هلك من خاض فيها عَرِياً عن العلم والورع، ومما يراعيه الناظر في هذه القضية ليسلم من المزالق ما يلي:

أولاً: أنه قد ثبتت عدالتهم إجمالا في كتاب الله ومن أصدق من الله قيلا، فهو الذي قال فيهم: "فعلم ما في قلوبهم" وقال: ﴿وكلا وعد الله الحسنى﴾ وقال: ﴿يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله﴾، وغير ذلك مما لا يمكن أن يكون مع تحققه سقوط عدالتهم، فضلا عن ردتهم والعياذ بالله.

ثانياً: أنه استقر شرعا وقدرا أنهم من جهة العصمة كغيرهم من الناس، فلا هم ادَّعُوها لأنفسهم رضي الله عنهم، ولا ادَّعاها لهم من بعدهم ومن يواليهم من الأمة الوسط أهل السنة والجماعة[1]، وإن هلك في ذلك طوائف بسبب ما ادعوه من العصمة لآل البيت كالرافضة أو الصالحين كالمتصوفة ونحو ذلك.

لذلك فإن مبدأ تعديل الصحابة عند أهل السنة مقترن باعتقاد عدم عصمتهم، ويثبتون مع ذلك تفاضلهم في المراتب[2]، واحتمال وقوعهم في الذنوب كبيرها وصغيرها سواء القتال فما دونه،

---

(1) إلا أنه ينبغي أن يعلم أن إجماعهم معصوم، فلا تجتمع هذه الأمة على ضلالة شرعا وعقلا، وهم داخلون دخولا أوليا في مدلول حديث لا تجتمع أمتي على ضلالة، بل هم خير أمة أخرجت للناس.

(2) ومسألة تفاضل الصحابة رضي الله عنهم ثابتة بالكتاب والسنة، قال تعالى: "لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى..." فالآية أثبتت التفاضل وسوت بينهم في

لكنهم يقطعون لهم برضى الله عنهم بالمآل الذي ثبت لهم في الكتاب والسنة، ولا يستثنون من ذلك سوى من ارتد ومات على غير الإسلام، فهم بهذا لا يقدسونهم تقديس عصمة، لكن يعتقدون بفضلهم على سائر الأمة وقوفا عند النصوص، لأن النصوص التي أثبتت عدم عصمتهم هي التي لم تنفي عنهم رضوان الله عز وجل الذي مرت الإشارة إليه في المبحث السابق، في فضل السلف، ومن تلكم النصوص التي يستدل بها على تقرير عدم العصمة المقترن بعدم سقوط العدالة ما يلي:

- ✓ قوله ﷻ: ﴿والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان... ﴾الآية[سورة الحشر: 10]

فإن فيها الإشارة إلى أنهم لا يسلمون من الذنوب، ومع ذلك أمرنا بالاستغفار لهم وعدم حمل الغل عليهم، فعجبا لقوم أمروا بالاستغفار لهم واتباعهم بإحسان فلعنوهم.

- ✓ وقوله ﷺ: "إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ المسْلِمِينَ"[1] ، فأثبت لهم صفة الإسلام مع حصول التقاتل
- ✓ وقوله لعمار ﷺ: "تقتله الفئة الباغية..." [2]، على قول من قال إن الفئة الباغية هي الطرف الذي فيه معاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهما[3]، وكان في الفئة الأخرى، ومعاوية ﷺ وقد ائتمنه النبي ﷺ على كتابة الوحي ودعا له فقال:

الوعد بالجنة، وثبت تفاضلهم بالسنة في أحاديث كثيرة، فأبو بكر أفضلهم ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم جميعا، والخلفاء الأربعة أفضل ، ثم بقية العشرة، وأهل بدر خير ...الخ

(1)أخرجه البخاري: (2704)

(2) أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد: (447)، ومسلم من حديث أم سلمة: (2916)

(3) وهذا قول لبعض السلف في تأويل حديث الفئة الباغية، وإلا فقد قال شيخ الإسلام رحمه الله: "ثُمَّ " إنَّ عَمَّارًا تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ " لَيْسَ نَصًّا فِي أَنَّ هَذَا اللَّفْظَ لِمُعَاوِيَةَ وَأَصْحَابِهِ؛ بَلْ يُمْكِنُ أَنَّهُ أُرِيدَ بِهِ تِلْكَ الْعِصَابَةُ الَّتِي حَمَلَتْ عَلَيْهِ حَتَّى قَتَلَتْهُ، وَهِيَ طَائِفَةٌ مِنْ الْعَسْكَرِ، وَمَنْ رَضِيَ بِقَتْلِ عَمَّارٍ كَانَ حُكْمُهُ حُكْمَهَا، وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّهُ كَانَ فِي الْمُعَسْكَرِ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِقَتْلِ عَمَّارٍ: كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، وَغَيْرِهِ؛ بَلْ كُلُّ النَّاسِ كَانُوا مُنْكِرِينَ لِقَتْلِ عَمَّارٍ، حَتَّى مُعَاوِيَةَ، وَعَمْرٍو" انظر مجموع الفتاوى: (458/3).

"اللهم علِّم معاوية الكتاب والحساب، وقِهِ العذاب" [1]، ودعا له أيضا: "اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ هادِيًا مَهْدِيًّا، وَاهْدِه، وَاهْدِ بِه"[2]، وعمرو بن العاص ﷺ الذي قال فيه: "أَسْلَمَ النَّاسُ وَآمَنَ عَمْرُو بْنُ العَاصِ"[3]، وقال فيه وفي هشام: "ابنا العاص مؤمنان هشام وعمرو"[4]

✓ وما وقع بين علي وطلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم أجمعين، وفيهم المبشر بالجنة والشهادة تخصيصا دليل على هذا المعنى، فقد وقع بينهم النزاع الذي آل أمره إلى الاقتتال اجتهادا واضطرار من غير اختيار له، ومع ذلك أثبتت النصوص لهم الرضوان ولبعضهم الشهادة ولبعضهم الجنة ونحو ذلك مما يقطع معه بعدالتهم فتأمل.

فالله ﷻ بسابق علمه علم ما في قلوبهم كما جاء في أهل بدر حيث قال الصادق المصدوق: "لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم قد غفرت لكم"[5]

والذي يؤكد هذا أنه ثبت عن كثير منهم بعد هذه الأحداث الكبار الندم وتمنى بعضهم أنه مات قبل هذا[6]، وترحموا على بعضهم وقال بعضهم إخواننا بغوا علينا، وحمدوا حال من اعتزلوا تلك الأحداث في أخبار مشهورة عنهم في ذلك، وهذا لعمري وحده كاف لبيان سلامة صدورهم،

---

(1) أورده الألباني في الصحيحة (3227) وقال: "روي من حديث العرباض بن سارية، وعبد الله بن عباس، وعبد الرحمن ابن أبي عمِيرةالمزني، ومسلمة بن مُخلَّد، ومرسل شُريح بن عُبيد، ومرسل حَرِيز بن عثمان". (687/7)

(2) هاتين الروايتين أخرجهما البخاري في التاريخ الكبير: (69/9 رقم: 10611)، وانظر "كتاب تخريج الأحاديث المرفوعة المسندة في كتاب التاريخ الكبير للبخاري" للدكتور محمد بن عبد الكريم بن عبيد (رقم817)

(3) انظر "صحيح الجامع" (971)

(4) أنظر "صحيح الجامع" (45)، والصحيحة: (156)

(5) متفق عليه من حديث علي رضي الله عنه.

(6) كما حصل لعلي رضي الله عنه لما رأى طلحة مقتولا جثى على الأرض ومسح عنه التراب وقال عزيز علي أبا محمد أن أراك مجدلا تحت نجوم السماء إلى الله أشكو عجري وبجري، وقال: ليتني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة، وبكى هو وأصحابه عليه.انظر "أسد الغابة" (471/2)، و"سير أعلام النبلاء" (36/1) وذكر الذهبي عن الأصمعي قال: عجري وبجري سَرَائِرِي وَأَحْزَانِي الَّتِي تَمُوجُ فِي جَوْفِي.

ورقة قلوبهم، وحسن مقاصدهم في نصرة دين الله، فكيف إذا انضاف إلى ذلك تزكية الوحي لهم فلا يبقى بعد ذلك غل إلا عند من لا يستحق النعت الذي زكى الله سبحانه به المذكورين في الآية بعد ذكر الأنصار والمهاجرين في قوله: ﴿والذين جاؤوا من بعدهم﴾ الآية [سورة الحشر: 10].

وما كان في نفوسهم على بعضهم فهذا لا يسلم منه بشر بعد الأنبياء، ومن حسن استدلال علي ﷺ فيما وقع بينه وبين طلحة والزبير رضي الله عنهما ما رواه أبو حبيبة قال: دخلت مع عمران بن طلحةَ على عليٍّ ﷺ حيثُ أتى الكُوفَة، فلما نظر إليه عليٌّ؛ قال: ادْنُ مني يا ابن أخي! فأدناه حتَّى جلس على سَريرِه، ثم قال: واللّهِ! إني لأرجو أن أكونَ أنا وأبوكَ ممَّن قال عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [سورة الحجر: 47]"[1]

ثالثا: أنه قد تسلط على الصحابة رضي الله عنهم في تلك المحنة أقوام من غير الصحابة أرادوا الفتنة وسعوا فيها وسارعوا فيها وأججوا الحماسة التي آلت إلى إراقة الدماء، كما حصل في صفين والجمل، وهذا معروف مشهور في الروايات الثابتة في تلك الوقائع، وهؤلاء هم الذين لمح شيخ الإسلام أنهم الفئة الباغية والله أعلم.

رابعا: أنه قد دخل في هذا الباب من الكذب والبهتان والافتراء مما روج له أعداء الصحابة ومن بعدهم أعداء الإسلام مما سود قلوب كثير من قليلي العلم أو من ساءت نياتهم ومقاصدهم واسودت قلوبهم من أهل الأهواء والبدع وانظر لذلك مثلا روايات أبي مخنف لوط بن يحي الرافضي الكذاب[2]

---

(1) أخرج ذلك سعيد بن منصور في "سننه" (1205) ، ورواها الحاكم في "المستدرك" بساق آخر: (3348)، وذكر أنه قال نفس المقولة لابنت عثمان بن عفان رضي الله عنه، روى ذلك سعيد بن منصور قبل رواية ابن طلحة من طريق عاصم بن بهدلة: (1204)، ولا يمنع أن يكون الأمر تكرر من علي رضي الله عنه مع أبناء الصحابة الذين وقع بينه وبينهم خلاف أو قتال باجتهاد.

(2) انظر لذلك كتاب "مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري"، ليحي إبراهيم اليحي.

وانظر بحثا جامعا نافعا فيما جمعه الشيخ عثمان الخميس في كتابه: "حقبة من التاريخ"، يبين هذا الجانب وخطورته في الجناية على الصحابة رضي الله عنهم والسلف، وذكر هناك ما يتعلق بروايات أبي مخنف وبين منهج الإمام الطبري في النقل عنه وعن

خامسا وأخيراً: أن الذي رضي بتحكيم الكتاب والسنة في كل أحواله وفي هذا الموضوع الحساس بالذات يعلم أن الذي يجب على المسلم فيما جرى بين الصحابة رضي الله عنهم ما يلي:

- ✓ الكف عما جرى بينهم يقول تعالى: ﴿تلك أمة قد خلت قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون﴾ [سورة البقرة: 141/134]، وقال ﷺ: "إذا ذكر أصحابي فأمسكوا"[1]

وقال عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيْزِ –رحمه الله– حِيْنَ سُئِلَ عَنِ القِتَالِ الَّذي حَصَلَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ فَقَالَ: "تِلْكَ دِمَاءٌ طَهَّرَ الله يَدِي مِنْهَا؛ أفَلا أُطَهِّرُ مِنْهَا لِسَانِي"[2]

وقال ابن أبي زيد القيرواني –رحمه الله–: "وأنْ لا يُذْكَرَ أحَدٌ مِنْ صَحَابَةِ الرَّسُوْلِﷺ إلَاّ بأحْسَنِ ذِكْرٍ، والإمْسَاكِ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُم، وأنَّهُم أحَقُّ النَّاسِ أنْ يُلْتَمَسَ لَهُم أحْسَنَ المخَارِجِ، ويُظَنُّ بِهِم أحْسَنَ المذَاهِبِ"[3]

- ✓ الاستغفار لهم وسؤال المسلم ربه عز وجل ألا يجعل في قلبه غلا لهم.
- ✓ الترضي عنهم جميعا.
- ✓ إذا تطرق الناظر لذكر ما وقع بينهم فلا يتعدى النصوص وما أجمعت عليه كلمة الأئمة والمحققين من أهل العلم في الحكم بينهم إن لزم الأمر.

وما أحسن كلمة الإمام الذهبي –رحمه الله– في ذلك في سياق ذكر كلام الأقران في بعضهم تجمع ما تفرق في الباب حيث قال –رحمه الله–: "كما تقرر عن الكف عن كثير مما شجر بين الصحابة وقتالهم رضي الله عنهم أجمعين، وما زال يمر بنا ذلك في الدواوين والكتب والأجزاء، ولكن أكثر ذلك منقطع وضعيف، وبعضه كذب، وهذا فيما بأيدينا وبين علمائنا، فينبغي طيه

أمثاله أنه أخرج تلك الرواة متبرأ من عهدتها بنسبتها لناقليها لتعرف مخارجها، فانظر ذلك في "حقبة من التاريخ" (ص31) وما بعدها.

(1) وقد مضى (ص65)

(2) أورده أبو نعيم في الحلية: (129/9) من طريق الإمام الشافعي وذكرها عنه البيهقي في مناقب الشافعي: (449/1)

(3) الرسالة: (ص9)

وإخفاؤه، بل إعدامه لتصفو القلوب، وتتوفر على حب الصحابة، والترضي عنهم، وكتمان ذلك متعين عن العامة وآحاد العلماء، وقد يرخص في مطالعة ذلك خلوة للعالم المنصف العري من الهوى، بشرط أن يستغفر لهم، كما علمنا الله تعالى حيث يقول: "والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا"[سورة الحشر: 10]"[1].

الفرع الثاني: اختلاف السلف بعد الصحابة رضي الله عنهم.

مما لا يرتاب فيه مطلع على التاريخ وجود الاختلاف فيمن بعد الصحابة رضي الله عنهم، بل قد يكون في بعض صوره امتداد لما وقع من قبل، كاختلاف بعضهم في تفضيل علي وعثمان ونحو ذلك.

ولا يدخل في ذلك مخالفةُ أهلِ البدع –كالخوارج والرافضة– أهلَ السنة في عدالة الصحابة ونحو ذلك مما لا يعذرون فيه بحال، لأنه في حقيقته للمتأمل مشاقة لله ورسوله ﷺ، فأولئك كان سببُ خلافِهم ما ابتدعوه من الفهوم لنصوص الوحي مما لم يسبقوا إليه، فاعتدوا بآرائهم وبدلوا وحرفوا، لكن الكلام ها هنا عن الأمة الوسط، تلاميذ الصحابة رضي الله عنهم، من التابعين ومن بعدهم، من الذين زكاهم النبي صلى الله عليه وسلم بصلتهم بالجيل الذي قبلهم، حتى يتصلوا بالنبي ﷺ، الذي ورثوا عنه ما كانوا عليه من الدين العتيق، الذي أجمعوا عليه ورضيه الله لهم ولنا من بعدهم دينا.

فهؤلاء اختلفوا وتناظروا ورد بعضهم على بعض، ووقع بينهم ما يقع بين سائر البشر، ومن ذلك بعض ما حصل بين آحادهم من كلام بعضهم في بعض، مما لم يلتفت إليه أهل العلم ولم يبنوا عليه تجريحا وطعنا في أحد الطرفين وهو ما اشتهر من مسألة كلام الأقران في بعضهم.

وقفة مع مسألة كلام الأقران بعضهم في بعض:

(1) "سير أعلام النبلاء" (92/10)

فهذه القضية كان منهج أهل العلم فيها مبنيا على ميزان الاعتدال، قائما على ما ذكرنا تأصيله سابقا، من عدم العصمة والتماس الأعذار لهم، والاستغفار لهم فيما لا يسلم منه بشر مما يكون بين الأقران، وإن روي ونقل فللتمثيل كما سيأتي ذكره في السياقات الآتية:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: «خُذُوا الْعِلْمَ حَيْثُ وَجَدْتُمْ وَلَا تَقْبَلُوا قَوْلَ الْفُقَهَاءِ بَعْضِهِمْ فِي بَعْضٍ؛ فَإِنَّهُمْ يَتَغَايَرُونَ تَغَايُرَ التُّيُوسِ فِي الزَّرِيبَةِ»[1] وورد نحوه عن مالك بن دينار.

وليس طرح كلام بعضهم في بعض أمرا مطردا، لكنه في الغالب، لكثرة التنافس بين الأقران المتعاصرين كما أشار إلى ذلك الذهبي –رحمه الله– فقال :"لا يُعتَدُّ غالبًا بكلام الأقران إذا كان بينهما منافسة"[2]

ولما تطرق في سير أعلام النبلاء إلى ترجمة قتادة رحمه الله وكان بينه وبين يحي بن أبي كثير –رحمه الله–وحشة، قال رحمه الله: "قلت: كلام الأقران يطوى ولا يروى، فإن ذكر تأمله المحدث، فإن وجد له متابعا، وإلا أعرض عنه"[3].

وما أحسن كلامه رحمه الله تعليقا عما وقع بين مكحول ورجاء بن حيوة رحمهما الله حيث قال: "كان ما بينهما فاسدًا، وما زال الأقران ينال بعضهم من بعض، ومكحول ورجاء إمامان، فلا يُلْتَفَتُ إلى قول واحدٍ منهما في الآخر"[4]

وقال أيضا: "كلام الأقران بعضهم في بعض لا يُعْبَأ به، لا سِيَّما إذا لاح لك أنه لعداوة، أو لمذهب، أو لحسد، وما ينجو منه إلا مَن عصمه الله عز وجل، وما علمتُ أن عصرًا من الأعصار سلِم أهله من ذلك، سوى الأنبياء والصدِّيقين، ولو شئتُ لسردتُ من ذلك كراريس، اللهم فلا تجعل في قلوبنا غِلًّا للذين آمنوا، ربَّنا إنك رؤوفٌ رحيم"[5]

---

(1) "جامع بيان العلم" لابن عبد البر: (2125)

(2) "سير أعلام النبلاء" (42/14)، و(28/11)

(3) المصدر السابق: (275/5)

(4) المصدر السابق: (558/4)

(5) المصدر السابق: (111/1)

ومثاله أيضا ما وقع بين مالك وابن إسحاق، ومالك وهشام بن عروة، وما وقع بين البخاري والذهلي رحم الله الجميع، وقد ذُكر شيء من ذلك في كتب التراجم.

وفي الجملة ينبغي أن يعلم أن ما ذكر هو كالقطرة في بحر محاسنهم، فلا يخفى على من يعرف سير السلف العطرة ما حباهم الله به من مقاصد عظيمة وأخلاق حسنة ونفوس كبيرة، فما وصل الذي جرى بينهم-غالبا- إلى تفرقهم، ولعن بعضهم بعضا، أو الطعن في مقاصدهم، فضلا عن أن يجعلوها للناس محنة من بعدهم، يوالون ويعادون عليها، كما حصل للأسف في الأعصار المتأخرة.

وسأسرد من الأمثلة المشرقة نماذج من أخبار سلفنا الصالح مطوية في كتب التراجم كحلية الأولياء وسير أعلام النبلاء وصفة الصفوة وغيرها، وهي تدل إجمالا على حفاوة بعضهم ببعض، وإجلالهم لبعضهم البعض، وذكرهم بالجميل، والذب عنهم والتأدب مع بعض، والدعاء لبعضهم وحزنهم لفقد بعضهم، ودونكم هذه الشذرات من أخبار السلف:

كان ابن عباس ﷺ إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه قال: "أليس فيكم ابن الدهماء؟ يعني: سعيد بن جبير"[1]

يقول سعيد بن جبير -رحمه الله-: "سأل رجل ابن عمر عن فريضة فقال: ائت سعيد بن جبير فإنه أعلم بالحساب مني"[2]

وسئل أبو وائل شقيق بن سلمة -رحمه الله- : " أنت أكبر أو الربيع بن خثيم؟، قال: أنا أكبر منه سنًّا، وهو أكبر مني عقلاً"[3]

ويقول سلمة بن كهيل -رحمه الله-: "ما اجتمع الشعبي وإبراهيم-يعني: إبراهيم النخعي- إلا سكت إبراهيم"[4]

---

(1) ذكره قوام السنة في "سير السلف الصالحين" (781/3)

(2) "الطبقات" لابن سعد (376/8)

(3) المصدر السابق: (223/6)

(4) "السير" (303/4)

وجاء عن الزهري –رحمه الله– وهو من صغار التابعين قال: "كنت أحسب أني قد أصبت من العلم، يقول: كنت أظن أن عندي علمًا حتى جالست عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، فكأنما كنت في شعب من الشعاب"[1]

عن عبيد الله بن عمر –رحمه الله– قال: "كان يحيى بن سعيد يحدثنا فيَسِحُّ علينا مثل اللؤلؤ، وإذا طلع ربيعة قطع حديثه إجلالاً لربيعة وإعظاماً"[2]

وبلغ الثوري وهو بمكة مقدم الأوزاعي رحمهم الله جميعا، فخرج حتى لقيه بذي طُوى[3]

وقال الأعمش –رحمه الله–: "كنت آتي مجاهداً فيقول: لو كنت أطيق المشي لأتيتك"[4]

كان الأوزاعي –رحمه الله– إذا سئل عن مسألة وسعيد بن عبد العزيز حاضر قال: "سلوا أبا محمد"[5]

عن أبي الحسن بن العطار –رحمه الله– قال: "رأيت أحمد بن حنبل يأخذ لداود بن عمرو بالركاب"[6]

وجاء محمد بن أبي بشر إلى الإمام أحمد رحمهم الله يسأله عن مسألة فقال: "ائت أبا عبيد –يعني: القاسم بن سلّام– فإن له بياناً لا تسمعه من غيره"، يقول: فأتيته فشفاني جوابه، فأخبرته بقول أحمد، فقال: "ذلك رجل من عمّال الله، نشر الله رداء عمله ، وذخر له عنده الزلفى، أما تراه محبباً مألوفاً؟ ما رأت عيني بالعراق رجلاً اجتمعت فيه خصال هي فيه، فبارك الله له فيما أعطاه من الحلم والعلم والفهم..." [7]

---

(1) "السير" (344/5)

(2) "المعرفة والتاريخ" لسفيان بن يعقوب الفسوي (648/1)، والسير: (472/5)

(3) ابن الوردي في "تاريخه" (190/1)

(4) "وفيات الأعيان" (401/2)

(5) "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم: (43/4)

(6) "تاريخ بغداد" (333/9)

(7) "مناقب الإمام أحمد" لابن الجوزي: (ص153) وذكره الذهبي في "السير" (200/11)

ويقول عبد الله بن محمد الوراق –رحمه الله–: "كنت في مجلس أحمد بن حنبل فقال: من أين أقبلتم؟، قلنا: من مجلس أبي كريب، فقال: اكتبوا عنه فإنه شيخ صالح، فقلنا: إنه يطعن عليك، فقال: فأيُّ شيء حيلتي؟ شيخ صالح بُلي بي"[1]

ويقول الخلال –رحمه الله–: "خرج أبو بكر المروذي إلى الغزو فشيعوه إلى سامراء، يعني من بغداد إلى سامراء، فجعل يردهم فلا يرجعون، قال: فحُزروا، الناس يعني حُزروا، فإذا هم بسامراء سوى من رجع نحو خمسين ألفاً. هؤلاء الذين خرجوا يشيعونه نحو خمسين ألفاً، فقيل له: يا أبا بكر، احمد الله فهذا علم قد نُشر لك، فبكى وقال: ليس هذا العلم لي إنما هو لأبي عبد الله أحمد"[2].

وبلغ إبراهيم الحربي –رحمه الله– أن قوما من الذين كانوا يجالسونه يفضلونه على أحمد بن حنبل، فوقفهم على ذلك، فأقروا به، فقال: ظلمتموني بتفضيلكم لي على رجل لا أشبهه، ولا ألحق به في حال من أحواله، فأقسم بالله، لا أسمعكم شيئا من العلم أبدا، فلا تأتوني بعد يومكم[3].

أما عذر بعضهم في بعض المسائل التي اجتهدوا فيها، فقد جاء عن الأعمش أنه قال: "أدركت أشياخنا–يقصد زر بن حبيش وأبا وائل–فمنهم مَن عثمان أحب إليه من عليٍّ، ومنهم مَن عليٌّ أحب إليه من عثمان، وكانوا أشد شيء تحابًّا وتوادًّا" [4]

وقال أبو بكر بن أبي عاصم –رحمه الله–: "كان أبو وائل عثمانيا، وكان زر بن حبيش علويا، وكان مصلاهما في مسجد واحد، ما رأيت واحدا منهما قط تكلم صاحبه في شيء مما هو

---

(1) "السير" (317/11)

(2) "السير" (174/13)

(3) نفس المصدر: (364/13)

(4) "التاريخ الكبير" لابن أبي خيثمة: (194/3رقم: 4456)

عليه حتى ماتا، وكان أبو وائل معظما لزر"، وقال في رواية أخرى: "كان زر أكبر من أبي وائل فكانا إذا جلسا جميعا لم يحدث أبو وائل مع زر"[1].

فالله المستعان على ما وصل إليه حالنا من التهاجر في مسائل دون هذه بمراحل.

أما اختلافهم في مسائل النظر العملية التي يسوغ فيها الاجتهاد، فمن باب أولى لا يقدح فيهم، لما ورد في النصوص من عذر أهل العلم في ذلك، وللأسباب التي تجعل الناظر يعذر من جانب الصواب في ذلك منهم، وقد ذكر شيخ الإسلام شيئا من ذلك في كتابه الفذ "رفع الملام عن الأئمة الأعلام"

ومن الأمثلة في جيل الصحابة رضي الله عنهم:

مخالفة عائشة للصحابة في مسائل اشتهرت عنها، ومن أحسن من اعتنى بذلك الإمام الزركشي في كتابه: "الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة"، وقد وقعت مسائل مشتهرة في الأحكام اختلفوا فيها وتناظروا، وكان بعضهم يخفى عليه الدليل فيوقفه عليه غيره، والأمثلة في ذلك كثيرة، وكذلك وقع عند من بعدهم مسائل اختلفوا فيها، وكلما بعدنا عن زمنهم توسع الخلاف لكثرة المسائل الحادثة، وقلة العلماء، ودروس السنن، مع ما ابتليت به الأمة من فرقة واختلاف، حتى بين المذاهب المنتسبة للسنة؛ وفي الجملة فالاختلاف في المسائل الاجتهادية لا

---

(1) ذكره المزي في "تهذيب الكمال" (338/9)، وأكثر هذه النقول استفدتها من شرح مسموع للشيخ الدكتور خالد بن عثمان السبت جزاه الله خيرا على رياض الصالحين باب: باب توقير العلماء والكبار وأهل الفضل وتقديمهم على غيرهم، ورفع مجالسهم، وإظهار مرتبتهم، وقمت بعزوها الى بعض مصادرها.

ومسألة التفضيل بين عثمان وعلي رضي الله عنهما حصل فيها خلاف عند بعض السلف، قال شيخ الإسلام قال : (فإن سفيان الثوري وطائفة من أهل الكوفة رجحوا عليًا على عثمان، ثم رجع عن ذلك سفيان وغيره، وبعض أهل المدينة توقَّف في عثمان وعلي وهي إحدى الروايتين عن مالك، لكن الرواية الأخرى عنه تقديم عثمان على علي كما هو مذهب سائر الأئمة كالشافعي وأبي حنيفة وأصحابه، وأحمد وأصحابه، وغير هؤلاء من أئمة الإسلام) ، لكن الأمر كما قال أيوب وأحمد بن حنبل والدارقطني: (من قَدَّم عليًا على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار، ويفسِّر شيخ الإسلام ذلك بأنه: (لو لم يكن عثمان أحق بالتقديم وقد قدموه كانوا إما جاهلين بفضله، وإما ظالمين بتقديم المفضول من غير ترجيح ديني، ومن نسبهم إلى الجهل والظلم فقد أزرى بهم). انظر الموسوعة العقدية في موقع الدرر السنية.

إنكار فيه، ما لم يظهر من بعض المختلفين تعصبا وتقليدا، وردا للنصوص الصحيحة الصريحة والله وحده الموفق.

الفصل الثاني: جهود المحدثين في العناية بالسنن والآثار.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: معالم وأساسات قامت عليها الرواية عند أهل الحديث.

المبحث الثاني: المصنفات التي أثمرتها جهود أهل الحديث.

المبحث الأول: معالم وأساسات قامت عليها الرواية عند أهل الحديث.

وفيه تمهيد وأربعة مطالب:

المطلب الأول: اعتبارهم السنة وحيا.

المطلب الثاني: عنايتهم بالتلقي والتحمل والحفظ، والأداء والبلاغ، والرحلة وطلب العلو وتكثير الطرق.

المطلب الثالث: عنايتهم بالسنن والآثار كتابة وتدوينا وتصنيفا.

المطلب الرابع: عنايتهم بعلم الرجال والجرح والتعديل.

تمهيد: بيان فضل أمة الإسلام بعناية المحدثين بالأسانيد

لقد خص الله هذه الأمة بخصائص كثيرة ميزتها وفضلتها عن سائر الأمم، ومن ذلك تميزها بالعناية بالأسانيد في نقل العلم الموروث عن النبي ﷺ، وهو شرف لهذه الأمة عامة وتشرف به أهل الحديث خاصة.

قال ابن الصلاح -رحمه الله-: "أصلُ الإسناد أولا خصيصةٌ فاضلة من خصائص هذه الأمة، وسُنَّةٌ بالِغةٌ من السنَنِ المؤكدة"[1]

أخرج الخطيب -رحمه الله- بسنده إلى أبي بكر محمد بن أحمد -رحمه الله-قال: "بلغني أن الله خص هذه الأمة بثلاثة أشياء لم يعطها مَنْ قبلها من الأمم: الإسناد والأنساب والإعراب"

وبإسناده إلى أبي العباس محمد بن عبد الرحمن الدغولي -رحمه الله- قال: سمعت محمد بن حاتم بن المظفر -رحمه الله- يقول: "إن الله أكرم هذه الأمة وشرفها وفضلها بالإسناد، وليس لأحد من الأمم كلها قديمهم وحديثهم إسناد، وإنما هي صحف في أيديهم، وقد خلطوا بكتبهم أخبارهم، وليس عندهم تمييز بين ما نزل من التوراة والإنجيل مما جاءهم به أنبياؤهم، وتمييز بين ما ألحقوه بكتبهم من الأخبار التي أخذوها عن غير الثقات..." [2]

وقال أبو عبد الله الحاكم -رحمه الله-: "فلولا الإسناد وطلب هذه الطائفة له وكثرة مواظبتهم على حفظه، لدرس منار الإسلام، ولتمكن أهل الإلحاد والبدع منه بوضع الأحاديث وقلب الأسانيد، فإن الأخبار إذا تعرَّت عن وجود الأسانيد فيها كانت بُتْراً"[3]

وقال شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية -رحمه الله-:

"وعِلمُ الإسناد والرواية مما خص الله به أمة محمد ﷺ، وجعله سلماً إلى الدراية، فأهل الكتاب لا إسناد لهم يأثرون به المنقولات، وهكذا المبتدعون من هذه الأمة أهل الضلالات، وإنما الإسناد لمن أعظم الله عليه المنة أهل الإسلام والسنة، يفرقون به بين الصحيح والسقيم، والمعوج والقويم"[1]

---

(1) "مقدمة ابن الصلاح" (ص437)، طبعة عائشة (بنت الشاطيء).

(2) "شرف أصحاب الحديث" (ص40)

(3) "معرفة علوم الحديث" (ص6)

وتبين ذلك جليا لما ظهرت البدع وتجارت الأهواء بأصحابها وكثر القيل والقال، حينها هَبَّ أهلُ الحديث وفزعوا فقالوا: "سموا لنا رجالكم"[2]، وقالوا: "لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء"[3]، وقالوا: "لولا المحابر لخطبت الزنادقة على المنابر"[4]، وقالوا: "لما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف"[5]، ونحو ذلك مما اتخذوه وسيلة احتياطا لسنة النبي ﷺ.

ولن تجد حجة قائمة بشيء من النقل إلا وهو معتمد أساسا على ما ورَّثه أهل الحديث من هذا الميراث العظيم من المرويات عن النبي صلى الله عليه وسلم أو عمن بعده، فهم الناقلون لذلك المحَكَّمون فيه المؤتَمَنُون عليه، وهم المميزون لغثه من السمين، وباطله من الحق المبين.

وترجموا لكل من انبرى وتصدى للرواية، فإن كان صالحا ثقة ثبتا وثقوه، وإن كان لينا يغلط ويهم وصفوه بما يستحقه، وإن كان ضعيفا ضعفوه، وإن كان لصا متخفيا كذابا وضاعا كانوا له بالمرصاد، ولا يحابون في ذلك أحدا، ولا يخافون في صيانة السنة لومة لائم.

يقول ابن حبان –رحمه الله– : "فقد اختار الله طائفةً لصفوته، وهداهم للزوم طاعته من اتباع سبل الأبرار في لزوم السنن والآثار فزيَّن قلوبهم بالإيمان، وأنطق ألسنتهم بالبيان من كشف أعلام دينه، واتِّباع سنن نبيه، بالدؤوب في الرحل والأسفار وفراق الأهل والأوطار، في جمع السنن ورفض الأهواء والتفقه فيها بترك الآراء، فتجرد القوم للحديث وطلبوه، ورحلوا فيه وكتبوه، وسألوا عنه وأحكموه وذاكروا به ونشروه، وتفقهوا فيه وأصَّلوه، وفرَّعوا عليه وبذلوه، وبيَّنوا المرسل من المتصل، والموقوف من المنفصل، والناسخ من المنسوخ، والمحكم من المفسوخ، والمفسَّر من المجمل، والمستعمل من المهمل، والغريب من المشهور، والعدول من المجروحين، والضعفاء من المتروكين، والكشف عن

---

(1) "مجموع الفتاوى" (9/1)

(2) الأثر المشهور عن ابن سيرين أخرجه مسلم في المقدمة: (15/1)، والعجلي في الثقات: (ص6) وغيرهما.

(3) الأثر المشهور عن ابن المبارك أخرجه: مسلم في المقدمة: (15/1)، وابن أبي حاتم: (16/2)، وابن حبان في المجروحين: (30/1)، والرامهرمزي في "المحدث الفاصل" (ص195) وغيرهم.

(4) قال الذهبي في "السير"(70/10) يروى عن الشافعي.

(5) الأثر المشهور عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو عند مسلم في المقدمة: (13/1).

المجهول، وما حُرِّف أو قُلِب من المنحول من مخايل التدليس وما فيه من التلبيس، حتى حفظ الله بهم الدِّين على المسلمين، وصانه عن ثلب القادحين، وجعلهم عند التنازع أئمة الهدى، وفي النوازل مصابيح الدُّجى، فَهُمْ ورثة الأنبياء ومأنس الأصفياء"اهـ[1].

فلولا لطف الله ورحمته ثم أهل الحديث وحملته، لدخل في السنة كثير مما ليس منها ولوجد الوضاعون الساحة متاحة للانتحال والكذب الذي حذر منه النبيﷺ بقوله: "من كذب علي متعمدا ..." [2]، وقوله ﷺ: "إن كذبا علي ليس ككذب على أحد..." [3]، وقوله ﷺ: "من حدَّثَ عنِّي حديثًا وَهوَ يرى أنَّهُ كذِبٌ فَهوَ أحدُ الكاذِبينَ"[4]، فقد استشرف الصحابة ومن بعدهم من هذا التهديد والوعيد أن الكذب عليه سيقع فأشفقوا من الرواية عنه خشية الزيادة والنقصان والتبديل، وقطعوا الطريق على من تساهل في الرواية، أو تجرأ على الكذب على النبي ﷺ بوسائل سنذكرها إن شاء الله في الأساسات والمعالم العظيمة لعناية أهل الحديث بالرواية.

وإن المتأمل لجهود أهل الحديث في خدمة السنة والاشتغال بالرواية عموما يجد أنهم بنوا منهجهم على أسس متينة، وقواعد راسخة جعلت صرح الرواية قائما على ركن شديد لا يمكن التشكيك في نجاعته، وهذه الأسس كانت بمثابة المعالم البارزة في نجاح منهج المحدثين، وحسبنا أن نسوق شهادات بعض المستشرقين من غير أهل الإسلام.

يقول الكاتب برنارد لويس [Bernard Lewis] المستشرق الإنجليزي: "في وقت مبكر أدرك علماء الإسلام، خطر الشهادات الكاذبة، والمذاهب الفاسدة، فوضعوا علماً لانتقاد الأحاديث والتراث، وهو (علم الحديث) كما كان يُدعى...وهو يختلف لاعتبارات كثيرة عن علم النقد التاريخي الحديث، ففي حين أثبتت الدراسات الحديثة اختلافاً دائماً في تقييم صحة ودقة السرد القديمة – أي في غير الإسلام–، نجد أن الفحص الدقيق له –أي لعلم الحديث– باعتنائه بسلاسل السند

(1) صحيح ابن حبان"الإحسان" (110/1)

(2) متفق عليه.

(3) متفق عليه.

(4) أخرجه مسلم في مقدمة الصحيح: (8/1)، والترمذي: (2662) واللفظ له، وابن ماجه: (41)، وأحمد: (18240)

والنقل وجمعها وحفظها الدقيق من المتغيرات في السرد المنقول، تعطي التاريخ العربي في القرون الوسطى احترافاً وتطوراً لم يسبق له مثيل في العصور القديمة، ودون حتى أن نجد له مثيلاً في الغرب في عصوره الوسطى في ذلك الوقت، والذي بمقارنته بالتاريخ المسيحي اللاتيني: يبدو الأخير فقيراً وهزيلا، بل وحتى طرق التاريخ الأكثر تقدماً وتعقيداً في العالم المسيحي اليوناني فلا تزال أقل من المؤلفات التاريخية للإسلام في مجموع تنوع وحجم وعمق التحليل"[1]

يقول المستشرق الألماني سبرنجر[Sprenger] :"إن الدنيا لم ترَ ولن ترى أمة مثل المسلمين، فقد درس بفضل علم الرجال الذي أوجدوه حياة نصف مليون رجل" [2].

ولا عجب أن يحقق أهل الحديث هذا النجاح، عبر قرون متطاولة مليئة بالأحداث التي لولا لطف الله ثم أهل الحديث لكانت كفيلة بتحريف وتبديل الموروث النبوي من السنة، وما تبعه من آثار سلف الأمة في صدرها الذي نقل إلينا غضا طريا كأنه رأي العين فلله الحمد والمنة؛ لذلك سأسوق في هذا المبحث ما يبين بعض الأساسات البارزة والمعالم الكبرى التي كانت سببا في نجاح منهج أهل الحديث في حفظ دين الله وهي: اعتبار السنة وحيا والحفظ والبلاغ ونحو ذلك والكتابة وما تبعها من التدوين والتصنيف والعناية بعلم الرجال الذي كان له الأثر الجلي في تصفية ما نقل عبر مراحل الرواية من المتون والأسانيد، فتميز الصحيح من الضعيف والمقبول من المردود، وكشف الضعفاء فضلا عن الكذابين والزنادقة.

(1) "الإسلام في التاريخ" (ص104- 105)

(2) ينظر كتاب "الإسناد من الدين"، للشيخ عبد الفتاح أبو غدة. وانظر مقدمة سبرنجر على كتاب "الإصابة في تمييز الصحابة" لابن حجر العسقلاني.

المطلب الأوَّل: اعتبارهم السنة وحيا.

قال تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾[سورة النجم: 3و4]

والوحي هنا يشمل الكتاب والسنة ولا وجه لتخصيصه بالقرآن لعدة وجوه:

الأول: عموم اللفظ في قوله "ينطق" من جهتين:

1. كلمة "ينطق" فى لسان العرب، تشمل كل ما يخرج من الشفتين قول أو لفظ[1].
2. جاءت الآيتان بأسلوب القصر عن طريق النفى والاستثناء، والفعل إذا وقع فى سياق النفى دل على العموم[2].

فالآية عامة في كل ما يصدر عن النبيﷺ ولم تخص ما صدر عنه مما تميز فيما بعد من القرآن.

قال الشيخ طاهر بن عاشور –رحمه الله– عند تفسير هذه الآية: " وإن كان النبي ﷺ ينطق بغير القرآن عن وحي، كما في حديث الحديبية في جوابه للذي سأله: ما يفعل المعتمر؟، وكقولهﷺ: "إن روح القدس نفث في روعي إن نفسا لن تموت حتى تستكمل أجلها"[3]، ومثل جميع الأحاديث القدسية التي فيها قال الله تعالى ونحوه"[4].

قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي –رحمه الله–: قوله تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ [سورة الحشر: 7].

قال الشيخ – رحمه الله تعالى – في المقدمة: "إن السنة كلها مندرجة تحت هذه الآية الكريمة، أي: أنها ملزمة للمسلمين العمل بالسنة النبوية، فيكون الأخذ بالسنة أخذا بكتاب الله، ومصداق ذلك قوله تعالى: وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

---

(1) انظر "القاموس المحيط" للفيروزأبادي (ص926)، و"تاج العروس" للزبيدي (422/26).

(2) انظر ص....من هذا البحث

(3) ستأتي الإشارة إليه.

(4) أنظر "التحرير والتنوير" (94/27)

وقد قال السيوطي –رحمه الله–: الوحي وحيان: وحي أمرنا بكتابته، وتعبدنا بتلاوته، وهو القرآن الكريم، ووحي لم نؤمر بكتابته، ولم نتعبد بتلاوته وهو السنة.

وقد عمل بذلك سلف الأمة وخلفها، كما جاء عن سعيد بن المسيب أنه قال في مجلسه بالمسجد النبوي: "لعن الله في كتابه الواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة"، فقالت امرأة قائمة عنده، وفي كتاب الله؟ قال: نعم، قالت: لقد قرأته من دفته إلى دفته، فلم أجد هذا الذي قلت، فقال لها: لو كنت قرأتيه لوجدتيه، أو لم تقرئي قوله تعالى: وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا، وقد لعن رسول الله ﷺ الواصلة والمستوصلة، ومن لعنها رسول الله فقد لعنها الله، فقالت له: لعل بعض أهلك يفعله؟ فقال لها: ادخلي وانظري فدخلت بيته، ثم خرجت ولم تقل شيئا، فقال لها: ما رأيت؟ قالت: خيرا، وانصرفت.

وجاء الشافعي وقام في أهل مكة، فقال: "سلوني يا أهل مكة عما شئتم أجبكم عنه من كتاب الله، فسأله رجل عن المحرم يقتل الزنبور ماذا عليه في كتاب الله؟ فقال: يقول الله تعالى: وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا، وقال ﷺ : «عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين» الحديث، وحدثني فلان عن فلان، وساق بسنده إلى عمر بن الخطاب، سئل: المحرم يقتل الزنبور ماذا عليه؟ فقال: لا شيء عليه".

فقد اعتبر سعيد بن المسيب السنة من كتاب الله، والشافعي اعتبر سنة الخلفاء الراشدين من سنة رسول الله ﷺ وسنة رسول الله ﷺ من القرآن، واعتبر كل منهما جوابه من كتاب الله بناء على هذه الآية الكريمة"[1].

الثاني: أن الحجة قامت على الناس بالشرع الذي جاء به النبي ﷺ من جهة كونه رسول يوحى إليه كما قال تعالى: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي﴾ [سورة الكهف: 110]، فلو لم تكن السنة وحيا لكان كلامه اجتهادا بشريا محضا، يتكلم صاحبه في الرضا والغضب يخطيء ويصيب،

(1) "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" (37/8)

وهذا المعنى عين ما غضب له النبي ﷺ حيث قال لعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: "أكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق" وأومأ بإصبعه إلى فيه ﷺ" [1].

الثالث: ما ورد من الأحاديث التي فيها إثبات مشابهة السنة في بعض الأوصاف لوحي القرآن منها :

عن المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: "ألا إني أوتيت الكتاب، ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السبع، ولا لقطة معاهد، إلا أن يستغني عنها صاحبها، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه فإن لم يقروه فله أن يعقبهم بمثل قراه"[2].

وعن صفوان بن يعلى بن أمية عن أبيه ﷺكان يقول: لعمر بن الخطاب ﷺ: "ليتني أرى النبي حين ينزل عليه، قال: فلما كان بالجعرانة وعلى رسول الله ﷺ ثوب قد أظل به معه ناس من أصحابه، منهم عمر، إذ جاءه رجل عليه جبة متضمخا بطيب، قال: فقال يا رسول الله، كيف ترى في رجل أحرم بعمرة في جبة بعد ما تضمخ بطيب؟ فنظر النبي صلى الله عليه وسلم ساعة ثم سكت، فجاءه الوحي فأشار عمر إلى يعلى أن تعال، فجاء يعلى، فأدخل رأسه، فإذا النبي ﷺ محمر الوجه يغط كذلك ساعة، ثم سري عنه، فقال: "أين الذي سألني عن العمرة آنفا؟ " فالتمس الرجل فأتي به، فقال النبي ﷺ " أما الطيب الذي بك، فاغسله ثلاث مرات، وأما الجبة فانزعها، ثم اصنع في عمرتك كما تصنع في حجتك"[3].

قال الزركشي –رحمه الله–: "وهو حديث صحيح وهو دليل قطعي على أن السنة كانت تنزل كما ينزل القرآن وهو أخذ نزول الوحي"[4]

---

(1) مضى (ص19)

(2) أخرجه أبو داود: (4604).

(3) أخرجه أحمد: (17948)، وابن خزيمة: (2672) وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(4) "البحر المحيط في أصول الفقه" لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (794هـ)

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ جلس ذات يوم على المنبر وجلسنا حوله، فقال: «إني مما أخاف عليكم من بعدي، ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها» فقال رجل: يا رسول الله، أويأتي الخير بالشر؟ فسكت النبي ﷺ، فقيل له: ما شأنك؟ تكلم النبي ﷺ ولا يكلمك؟ فرأينا أنه ينزل عليه؟ قال: فمسح عنه الرحضاء، فقال: "أين السائل؟" وكأنه حمده، فقال: "إنه لا يأتي الخير بالشر..." الحديث[1]،

عن عبادة بن الصامت ﷺ ، قال: "كان نبي الله ﷺ إذا أنزل عليه كرب لذلك، وتربد له وجهه قال: فأنزل عليه ذات يوم، فلقي كذلك، فلما سري عنه، قال: «خذوا عني، فقد جعل الله لهن سبيلا، الثيب بالثيب، والبكر بالبكر، الثيب جلد مائة، ثم رجم بالحجارة، والبكر جلد مائة، ثم نفي سنة"[2]

ففي هذه الأحاديث إثبات أنه قد يصيب النبي ﷺ من ثقل ما ينزل عليه من السنة ما يصيبه عند نزول القرآن.

وعن أبي قتادة ﷺ، يحدث عن رسول الله ﷺ، أنه قام فيهم فذكر لهم أن الجهاد في سبيل الله، والإيمان بالله أفضل الأعمال، فقام رجل، فقال: يا رسول الله، أرأيت إن قتلت في سبيل الله، تكفر عني خطاياي؟ فقال له رسول الله ﷺ: "نعم، إن قتلت في سبيل الله، وأنت صابر محتسب، مقبل غير مدبر"، ثم قال رسول الله ﷺ: "كيف قلت؟" قال: أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي؟ فقال رسول الله ﷺ: "نعم، وأنت صابر محتسب، مقبل غير مدبر، إلا الدين، فإن جبريل عليه السلام قال لي ذلك"[3].

---

(1) متفق عليه.

(2) أخرجه مسلم: (1690)

(3) أخرجه مسلم: (1885)، ومثله حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند أحمد في المسند: (8353) ولفظه: "نعم إلا الدين فإن جبريل ساريني بذلك". وهذه الأحاديث في مشابهة السنة للقرآن من جهة وصف النزول أوردها الحافظ ابن كثير رحمه الله في كتاب: "تحفة الطالب بمعرفة أحاديث مختصر ابن الحاجب" (ص348)

وعن أبي أمامة ﷺ أن النبي ﷺ قال: "إن روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله فإن الله تعالى لا ينال ما عنده إلا بطاعته"[1].

ففي الحديثين تأكيد أن جبريل يأتي للنبي ﷺ بالسنة كما يأتيه بالقرآن فتأمل.

الرابع: يؤكد ذلك ماجاء عن السلف والأئمة في تقرير هذا المعنى:

قال: عن حسان بن عطية -رَحِمَهُ اللهُ-، قال: "كان جبريل ينزل على رسول الله ﷺ بالسُّنّةِ كما ينزل بالقرآن، يعلّمُه إيَّاها كما يعلّمه القرآن"[2].

قال محمد بن نصر المروزي -رحمه الله-: "فعلى الناس تصديق النبي ﷺ، وقبول ذلك عنه، وأن يعلموا أن النبي ﷺ لم ينسخ ما أنزله الله في كتابه إلا بوحي من الله، وإن لم يكن قرآنا يتلى لقول الله عز وجل: ﴿والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾ [سورة النجم: 2] ولقوله: ﴿إن أتبع إلا ما يوحى إلي...﴾ [سورة الأنعام: 50] فمن الوحي ما هو قرآن، ومنه ما ليس بقرآن"[3]

ومن فقه الإمام البيهقي -رحمه الله- قوله في كتاب (الأسماء والصفات): "باب رواية النبي ﷺ قولَ الله عز وجل في الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، سوى ما في الكتاب قال الله عز وجل: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى﴾، وقال جل وعلا: ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك﴾[سورة مريم: 64]"[4].

قال ابن حزم -رحمه الله- : "فنقول وبالله تعالى التوفيق قال الله عز وجل عن نبيه ﷺ ﴿وما ينطق عن لهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾ وقال تعالى آمرا لنبيه عليه الصلاة والسلام أن يقول:

---

(1) أخرجه الطبراني في الكبير: (7694)، وأبو نعيم في الحلية: (26/10) وهو في صحيح الجامع: (2085)

(2) رواه عنه الدارمي: (608)، أبوداود في المراسيل: (536)، والمروزي في السنة: (102)، وغيرهم وانظر تخريجه في الصحيحة للألباني: (124)

(3) انظر السنة: (242)

(4) (524/1)

﴿قل ما كنت بدعا من الرسل ومآ أدري ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلي ومآ أنا إلا نذير مبين﴾، وقال تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا لذكر وإنا له لحافظون﴾[سورة الحجر:9]، وقال تعالى: ﴿بالبينات والزبر وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾[سورة النحل: 44]، فصح أن كلام رسول الله ﷺ كله في الدين وحي من عند الله عز وجل، لا شك في ذلك، ولا خلاف بين أحد من أهل اللغة والشريعة في أن كل وحي نزل من عند الله تعالى، فهو ذكر منزل، فالوحي كله محفوظ بحفظ الله تعالى له بيقين"[1]

(1) "الإحكام في أصول الأحكام" (121/1)

فائدة: أشار الزركشي في سياق الكلام عن هذه المسألة إلى أنه لا أثر لهذه المسألة من جهة حجية السنة فإنه يلزم طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم على كل حال فقال: وليس فيها كثير فائدة–أي كون السنة منزلة كالقرآن أو عدم ذلك– فإنه على كل حال يجب الأخذ بها وطاعتها كالقرآن. انظر البحر المحيط في أصول الفقه: (251/8)، قال ابن جزي رحمه الله: "فأما قوله صلى الله عليه وسلم فيحتج به كما يحتج بالقران، لأنه صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى" تقريب الوصول إلى علم الأصول: (ص177).

المطلب الثاني: عنايتهم بالتلقي والتحمل والحفظ، والأداء والبلاغ، والرحلة وطلب العلو وتكثير الطرق.

وسأبين ذلك من خلال ثلاثة عناصر:

العنصر الأول: التحمل بالسماع وغيره، والحفظ والبلاغ.

والتحمل هو أخذ الحديث عمن حدث به سواء النبي ﷺ أو من بعده.

وله طرق متعددة عند أهل الحديث يمكن حصرها في ثمانية طرق:

" **أولا:** السماع، وصورته :أن يقرأ الشيخ، ويسمع الطالب؛ سواء قرأ الشيخ من حفظه، أو كتابه، وسواء سمع التلميذ وكتب أو اكتفى بالسماع.

ثانيا: العرض، أو القراءة على الشيخ، صورتها :أن يقرأ الطالب، والشيخ يسمع؛ سواء قرأ الطالب، أو غيره وهو يسمع، وسواء من حفظ، أو من كتاب، وسواء كان الشيخ يتبع للقارئ من حفظه، أو أمسك كتابه هو، أو ثقةٌ غيرُهُ.

ثالثا: الإجازة، صورتها: أن يقول الشيخ لأحد طلابه مثل: أجزت لك أن تروي عني صحيح البخاري.

رابعا: المناولة، وصورتها أن يناول الشيخ تلميذه كتابه، وقد يقترن ذلك بإذنه له بروايته فيكون من الإجازة، وقد يكتفي بمجرد المناولة.

خامسا: الكتابة، صورتها :أن يكتب الشيخ مسموعه لحاضر، أو غائب، بخطه، أو أمره.

سادسا: الإعلام، صورته :أن يُعْلِم الشيخُ الطالبَ أن هذا الحديث أو هذا الكتاب سماعه.

سابعا: الوصية، صورتها :أن يوصي الشيخ عند موته، أو سفره لشخص بكتاب من كتبه التي يرويها.

ثامنا: الوجادة، صورتها :أن يجد الطالب أحاديث بخط شيخ يرويها، يعرف الطالب خطه، وليس له منه سماع، أو إجازة"[1]، وأفضلها السماع من لفظ الشيخ.

وأول من سن التحمل بالسماع والحفظ والبلاغ وحث عليه وأظهر مكانته النبي ﷺ، وذلك من خلال ما يلي:

أ. حثه على السماع منه والبلاغ عنه:

أما السماع منه فقد ثبت عن غير واحد من الصحابة رضي الله عنهم قوله ﷺ: "نضر الله امرءا سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامع"[2]

وقد جاء الحديث بألفاظ منها ما فيه الحث على السماع والحفظ كحديث زيد بن ثابت ﷺ أنه ﷺ قال : "نضر الله امرءا سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه إلى من هو أفقه ورب حامل فقه ليس بفقيه"[3]

وحديث زيد بن ثابت وابن مسعود وجبير بن مطعم رضي الله عنهم أنه ﷺ قال: "نضر الله عبدا سمع مقالتي فوعاها وحفظها ثم أداها إلى من لم يسمعها..." الحديث[4]

ب. حثه على السماع مطلقا:

ويدل على ذلك ما رواه عن بن عَبَّاسٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه قَالَ: "تَسْمَعُونَ وَيُسْمَعُ مِنْكُمْ وَيُسْمَعُ مِمَّنْ يَسْمَعُ مِنْكُمْ"[5]

أما حثه على الحفظ وترغيبه فيه، فيدل عليه ما جاء عن الأَعْرَجِ قال: أَخْبَرَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ، قَالَ: إِنَّكُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يُكْثِرُ الحَدِيثَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَاللَّهُ المَوْعِدُ إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مِسْكِينًا،

---

(1) ملخص من "تيسير مصطلح الحديث" لمحمود الطحان: (ص196)، وهذه الطرق ليست كلها معتبرة مقبولة، لكن منها ما توفرت فيه شروط القبول ومنا ما فيه تفصيل مما يطول شرحه، وإنما أردنا أن نبين صور التلقي إجمالا.

(2) أخرجه أحمد وغيره وهو في "صحيح الجامع" (6764).

(3) أخرجه الترمذي وهو في "الصحيحة" (403)، و"صحيح الجامع" (6736).

(4) "صحيح الجامع" (6766).

(5) أخرجه أحمد: (2945)، وأبوداود: (3659)، وابن حبان: (62) وغيرهم وهو في "الصحيحة" (1784).

أَلْزَمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى مِلْءِ بَطْنِي، وَكَانَ المهَاجِرُونَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالأَسْوَاقِ، وَكَانَتِ الأَنْصَارُ يَشْغَلُهُمُ القِيَامُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ، فَشَهِدْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، وَقَالَ: «مَنْ يَبْسُطْ رِدَاءَهُ حَتَّى أَقْضِيَ مَقَالَتِي، ثُمَّ يَقْبِضْهُ، فَلَنْ يَنْسَى شَيْئًا سَمِعَهُ مِنِّي» فَبَسَطْتُ بُرْدَةً كَانَتْ عَلَيَّ، فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالحَقِّ مَا نَسِيتُ شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْهُ"[1]

وقد مر حديث نضر الله امرأ، وفي بعض ألفاظه: "...فحفظه حتى يبلغه..."

وورد في الحث على البلاغ قوله ﷺ : "بلغوا عني ولو آية"[2]

ولقد كان حرص الصحابة على ذلك ظاهرا جليا، فما نقل من السنة لمن بعدهم كله مبني على جهودهم في السماع من النبي ﷺ والحفظ أو الكتابة ثم البلاغ

ومما يمثل به في ذلك ما جاء عن ابن عباس عن عمر رضي الله عنهم أنه قال :" كُنْتُ أنا وَجَارٌ لِي مِنَ الأنصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ، وَهُمْ مِنْ عَوَالِي المدِينَةِ، وَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزولَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَيَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا، فَإِذَا نَزَلتُ جِئْتُهُ بِمَا حَدَثَ مِنْ خَبَرِ ذَلِكَ اليَوْمِ مِنَ الوَحْيِ أَوْ غَيْرِهِ وإذا نزل فعل مثل ذلك..." [3]

وأمر أبي هريرة ﷺ في ذلك مشهور من حرصه على السماع والحفظ والتبليغ كما مر الإشارة إليه

العنصر الثاني: الرحلة للسماع والتثبت والعلو وتكثير الطرق

وهذا وحده كاف لبيان شرف أهل الحديث من الصحابة فمن بعدهم، ولبيان أن الله سخر أسبابا عظيمة لحفظ السنة، فقد كان الواحد من أصحاب النبي ﷺ ومن بعدهم ربما قطع المسافات التي تنقطع لها أعناق الإبل لأجل حديث واحد يسمعه أو يتثبت منه أو يعلو بإسناده فيه وحسبنا ذكر بعض الأمثلة في ذلك:

- رحلة جابر بن عبد الله رضي الله عنهما

---

(1) أخرجه البخاري: (7354)

(2) البخاري: (3461)

(3) متفق عليه من حديث ابن عباس رض الله عنهما.

فعن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما قَالَ: "بَلَغَنِي عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثٌ سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمْ أَسْمَعْهُ مِنْهُ قَالَ: فَابْتَعْتُ بَعِيرًا فَشَدَدْتُ عَلَيْهِ رَحْلِي فَسِرْتُ إِلَيْهِ شَهْرًا حَتَّى أَتَيْتُ الشَّامَ، فَإِذَا هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُنَيْسٍ الْأَنْصَارِيُّ، قَالَ: فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ أن جَابِرًا عَلَى الْبَابِ، قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيَّ الرَّسُولُ فَقَالَ: جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ؟، فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَرَجَعَ الرَّسُولُ إِلَيْهِ، فَخَرَجَ إِلَيَّ فَاعْتَنَقَنِي وَاعْتَنَقْتُهُ، قَالَ: قُلْتُ: حَدِيثٌ بَلَغَنِي أَنَّكَ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَظَالِمِ لَمْ أَسْمَعْهُ فَخَشِيتُ أَنْ أَمُوتُ أَوْ تَمُوتَ قَبْلَ أَنْ أَسْمَعَهُ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " يَحْشُرُ اللَّهُ الْعِبَادَ أَوْ قَالَ يَحْشُرُ اللَّهُ النَّاسَ قَالَ وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الشَّامِ عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا قُلْتُ: مَا بُهْمًا؟ قَالَ: لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، قَالَ: فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مِنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ: أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الدَّيَّانُ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارُ يَطْلُبُهُ بِمَظْلِمَةٍ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَدْخُلُ النَّارَ، وَأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَطْلُبُهُ بِمَظْلِمَةٍ حَتَّى اللَّطْمَةِ، قَالَ: قُلْنَا كَيْفَ هُوَ؟ وَإِنَّمَا نَأْتِي اللَّهَ تَعَالَى عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا قَالَ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ "[1]

➢ رحلة أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري رضي الله عنه

فعن عَطَاءَ بْنَ أَبِي رَبَاحٍ، قَالَ: "خَرَجَ أَبُو أَيُّوبَ إِلَى عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، وَهُوَ بِمِصْرَ يَسْأَلُهُ عَنْ حَدِيثٍ، سَمِعَهُ مِنْ، رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا قَدِمَ أَتَى مَنْزِلَ مَسْلَمَةَ بْنِ مَخْلَدٍ الْأَنْصَارِيِّ، وَهُوَ أَمِيرُ مِصْرَ فَأُخْبِرَ بِهِ فَعَجِلَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ فَعَانَقَهُ، وَقَالَ: مَا جَاءَ بِكَ يَا أَبَا أَيُّوبَ؟ قَالَ: حَدِيثٌ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ سَمِعَهُ غَيْرِي وَغَيْرُ عُقْبَةَ فَابْعَثْ مَنْ يَدُلُّنِي عَلَى مَنْزِلِهِ، قَالَ: فَبَعَثَ مَعَهُ مَنْ يَدُلُّهُ عَلَى مَنْزِلِ عُقْبَةَ، فَأُخْبِرَ عُقْبَةُ بِهِ فَعَجِلَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ فَعَانَقَهُ، وَقَالَ: مَا جَاءَ بِكَ يَا أَبَا أَيُّوبَ؟ فَقَالَ: حَدِيثٌ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ سَمِعَهُ غَيْرِي وَغَيْرُكَ فِي سِتْرِ الْمُؤْمِنِ. قَالَ: نَعَمْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "مَنْ سَتَرَ مُؤْمِنًا فِي الدُّنْيَا عَلَى خُرْبَةٍ[2] سَتَرَهُ

---

(1) "الأدب المفرد" للبخاري (970)، و"السنة" لابن أبي عاصم: (514)، "المستدرك" للحاكم(3638)، و"المسند"للروياني: (1492)، "الأوسط" للطبراني (14914)، "الرحلة" للخطيب (31) وغيرهم

(2) كذا في بعض المصادر "خربة" بالراء بعدها باء موحدة، وفي بعضها "خزية" بالزاي والياء التحتية من الخزي وهو الأقرب والله أعلم.

اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» فَقَالَ لَهُ أَبُو أَيُّوبَ: صَدَقْتَ، ثُمَّ انْصَرَفَ أَبُو أَيُّوبَ إِلَى رَاحِلَتِهِ فَرَكِبَهَا رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ، فَمَا أَدْرَكَتْهُ جَائِزَةُ مَسْلَمَةَ بْنِ مَخْلَدٍ إِلَّا بِعَرِيشِ مِصْرَ"[1]

أما بعد الصحابة رضي الله عنهم فقد انتشرت الرحلة انتشارا واسعا بسبب انتقال الصحابة رضي الله عنهم إلى بعض الأمصار، حيث صارت مدارس للرواية والفقه في كل مصر مدرسة، فكان على من رام جمع ما عندهم الرحلة إليهم وإلى تلاميذهم من بعدهم، ليظفر بالسماع والعلو وفقه الصحابة، وهذه بعض النماذج المشرقة:

قال مَالِك –رحمه الله–: قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ: "إِنْ كُنْتُ لَأَسِيرُ الْأَيَّامَ وَاللَّيَالِيَ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ الْوَاحِدِ"[2]

وبسنده إلى عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَدِيِّ بْنِ الْخِيَار –رحمه الله–: بَلَغَنِي حَدِيثٌ عَنْ عَلِيٍّ خِفْتُ إِنْ مَاتَ أَلَا أَجِدُهُ عِنْدَ غَيْرِهِ فَرَحَلْتُ حَتَّى قَدِمْتُ الْعِرَاقَ، فَسَأَلْتُهُ عَنِ الْحَدِيثِ فَحَدَّثَنِي..." [3]

وعن ابن الديلمي–الذي كان يسكن بيت المقدس – –رحمه الله– أنه مكث في طلب عبد الله بن عمرو بن العاص بالمدينة، فسأل عنه قالوا: قد سافر إلى مكة، فاتبعه فوجده قد سار إلى الطائف، فاتبعه، فوجده في مزرعة فسأله إن كان سمع من النبي ﷺ شيئا فيمن يشرب الخمر — وكان يعرض برجل كان مجلس ابن عمرو بلغه أنه كان يشربها – فقال: سمعت النبي ﷺ يقول : " لا يشرب الخمر رجل من أمتي فتقبل له صلاة أربعين صباحا " وسمع منه حديثا آخر في فضل بيت المقدس"[4]

---

(1) أخرجه أحمد: (17391)،عبد الرزاق في "المصنف" (20142)، والروياني في "مسنده" (159) ، وأوردها الخطيب في الرحلة: (34)، وانظر تخريجا مفيدا للحديث في الصحيحة: (2341).

(2) أورده البيهقي في "المدخل إلى السنن" (401)، وابن عبد البر في "جامع بيان العلم" (569)، والخطيب في "الرحلة" (41).

(3) الخطيب في "الرحلة" (45)

(4) أخرج الحديث مع ذكر(رحلة ابن الديلمي)، ابن خزيمة: (939)، والحاكم: (945).

ومما يبين قيمة الرحلة عندهم ما ورد أن رَجُلا جاء إِلَى الشَّعْبِيِّ فَقَالَ: "يَا أَبَا عَمْرٍو إِنَّ نَاسًا عِنْدَنَا يَقُولُونَ: إِذَا أَعْتَقَ الرَّجُلُ أَمَتَهُ، ثُمَّ تَزَوَّجَهَا، فَهُوَ كَالرَّاكِبِ بَدَنَتَهُ، قَالَ الشَّعْبِيُّ: حَدَّثَنِي أَبُو بُرْدَةَ بْنُ أَبِي مُوسَى عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: ثَلَاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ: الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ كَانَ مُؤْمِنًا قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَهُ أَجْرَانِ، وَرَجُلٌ كَانَتْ لَهُ جَارِيَةٌ، فَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا، وَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا ثُمَّ أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا، فَلَهُ أَجْرَانِ وَعَبْدٌ أَطَاعَ اللَّهَ، وَأَدَّى حَقَّ سَيِّدِهِ فَلَهُ أَجْرَانِ"، خُذْهَا بِغَيْرِ شَيْءٍ، فَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يَرْحَلُ فِي أَدْنَى مِنْهَا إِلَى الْمَدِينَةِ"[1]

عَنْ بُسْرِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ الْحَضْرَمِيِّ –رحمه الله–، قَالَ: "إِنْ كُنْتُ لَأَرْكَبُ إِلَى الْمِصْرِ مِنَ الْأَمْصَارِ فِي الْحَدِيثِ الْوَاحِدِ لِأَسْمَعَهُ"[2]

ورحل شعبة بن الحجاج –رحمه الله– في التثبت من حديث واحد إلى مكة ثم المدينة ثم البصرة وكشف ضعفه بسبب راو ضعيف[3].

ورحل المؤمل بن إسماعيل –رحمه الله– رحلة طويلة لكشف وضع حديث في فضائل سور القرآن يروى عن أبي بن كعب رضي الله عنه[4]

قال المعلمي –رحمه الله–:"لعلّ هذا الرجل قطع نحو ثلاثة أشهر مسافرًا لتحقيق رواية هذا الحديث الواحد"[5].

---

(1) البخاري: (97) و(5083)، ومسلم: (241).

(2) الدارمي: (582)، وابن عبد البر في "جامع بيان العلم" (576).

(3) وسيأتي ذكرها كاملة عند ذكر مظاهر جهود السلف وأهل الحديث في حفظ السنة (ص163)، وهي قصة عجيبة تبين فضل شعبة رحمه الله وحرصه على صيانة السنة حتى أنه بعد أن تبين له ضعف الحديث قال: "لو صح لي هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحب إلي من أهلي ومالي والناس أجمعين".اهـ أخرج القصة ابن حبان في "المجروحين" (32/1)، أبو نعيم في "الحلية" (148/7)، والبيهقي في "القراءة خلف الإمام": (443)، والخطيب في "الرحلة" (59).

(4) أوردها الخطيب في "الكفاية" (ص401)، وسيأتي ذكرها في مظاهر جهود السلف وأهل الحديث في حفظ السنة وتجديد الدين (ص164)

(5) "محاضرة في علم الرجال وأهميته"، ضمن "آثار المعلمي" (222/15)

فانظر –رحمك الله– إلى صدق القوم وجلدهم وشدة عنايتهم وصيانتهم لسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم، فما كان الواحد منهم يرى أنه يسعه القعود وهو يسمع الغريب فضلا عن المستشنع المردود، فرضي الله عنهم وأعلى درجاتهم في عليين، وجمعنا بهم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا[1].

العنصر الثالث: الحرص على العلو وتكثير الطرق

لقد حرص الأئمة على العلو في رواياتهم وذلك أمر لا غرابة فيه، خاصة إذا كان طلب القرب من النبي ﷺ فهو شرف عظيم[2].

والإسناد العالي: هو ما قل عددُ رجالِه فيه، والنازل: هو ما كثر عدد رجال إسناده

---

(1) ومن اطلع على أخبارهم في باب علو الهمة في العلم، من الرحلة والأسفار الطويلة والشاقة، والسهر، والتعرض للبرد والحر والمخاطر الكثيرة، فضلا عن التقلل من الدنيا وشدة العيش الذي كان الكثير منهم يعانيه، من اطلع على ذلك يرى العجائب في أخبارهم، حتى أن بعضهم كان يبول الدم من المشي على الرمضاء، وبعضهم بقي أياما يقتات على الحشيش أو فتات الخبز أو ما يلقيه الناس، وبعضهم فقد بصره من إدمان الكتابة بالليل كابن كثير، وبعضهم رحل عن أهله وعاد بعد خمسة وأربعين عاما كما حصل لابن وهب المصري، ومشى ابن أبي حاتم في رحلته للمشايخ قرابة الخمسة آلاف كلم بتقديرنا المعاصر، وغير ذلك من الأخبار العجيبة التي تدل على صدقهم وحبهم للنبي ﷺ وسنته وإلا لما استسهلوا تلك المصاعب ولا ركبوا تلك المراكب، رحمهم الله وجزاهم عن الإسلام خيرا.

(2) ومن أحسن ماقيل في فائدة العلو ماذكره القاضي عياض رحمه الله: "هذا هو طريق أهل الصنعة ومذهبهم، وهو غاية جهدهم وحرصهم، وبمقدار علو حديث الواحد منهم تكثُرُ الرحلةُ إليه، والأخذ عنه، مع أنَّ له فى طريق التحقيق والنظر وجهاً، وهو أن أخبار الآحاد وروايات الأفراد لا توجب– كما قدَّمنا– علماً، ولا يُقطع على مُغَيَّبِ صدقها، لجواز الغفلات، والأوهام، والكذب على آحاد الرواة، لكن لمعرفتهم بالصدق ظاهراً وشهرتهم بالعدالة والستر، غلب على الظن صحةُ حديثهم وصدق خبرهم، فكلفنا العمل به وقامت الحجة بذلك بظاهر الأوامر الشرعية، ومعلوم إجماع سلف [هذه] الأمة ومغيب أمر ذلك كله لله تعالى، وتجويز الوهم والغلط غير مستحيل فى كل راو ممن سمى فى [سند] الخبر، فإذا كثروا وطال السند كثرت مظان التجويز، وكلما قل العدد قلت، حتى إن من سمع الحديث من التابعى المشهور عن الصحابى عن النبى صلى الله عليه وسلم كان أقوى طمأنينة بصحة حديثه، ثم من سمعه من الصحابى كان أعلى درجة فى قوة الطمأنينة، وإن كان الوهم والنسيان جائزا على البشر، حتى إذا سمعه من النبى صلى الله عليه وسلم ارتفعت أسباب التجويز وانسدت أبواب احتمالات الوهم وغير ذلك، للقطع– أنه عليه السلام لا يجوز عليه شىء من ذلك فى باب التبليغ والخبر، وأن جميع ما يخبر به حق وصدق"إكمال المعلم بفوائد مسلم" (176/1)

قال ابن كثير –رحمه الله–: "وأشرف أنواع العلو ما كان قريباً إلى رسول الله ﷺ"[1]

قال العراقي –رحمه الله–: "روينا عن أحمدَ بنِ حنبلٍ، قالَ: طلبُ الإسنادِ العالي سُنَّةٌ عمَّنْ سلفَ"[2]

قال الحافظ ابن كثير –رحمه الله–: "ثم إن علو الإسناد أبعد من الخطأ والعلة من نزوله. وقال بعض المتكلمين: كلما طال الإسناد كان النظر في التراجم والجرح والتعديل أكثر فيكون الأجر على قدر المشقة"[3].

يشير رحمه الله إلى الخلاف في أيهما أفضل العلو أو النزول.

قال الخطيب –رحمه الله–: "ومذاهب الناس تختلف في ذلك، فمنهم من يكتفي بسماع الحديث نازلا مع وجود من يرويه عاليا، ومنهم من لا يقتنع بذلك، ولا يقتصر على النزول وهو يجد العلو، وأهل النظر أيضا مختلفون في ذلك" ثم قال: "والذي نستحبه طلب العالي؛ إذ في الاقتصار على النازل إبطال الرحلة وتركها، فقد رحل خلق من أهل العلم قديما وحديثا إلى الأقطار البعيدة، طلبا لعلو الإسناد"[4]

والعلو أقسام:

1. وهو أشرفها ويسمى العلو المطلق وهو القرب من رسول الله ﷺ من حيث العدد، والعبرة بصحة سنده

---

(1) "الباعث الحثيث إلى اختصار علوم الحديث" (ص161)

(2) "شرح التبصرة والتذكرة ألفية العراقي" (59/2) قال الشيخ الأثيوبي رحمه الله: "فيه حديث أنس رضي الله عنه، في مجيء ضمام بن ثعلبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، يسمع منه مشافهة ما سلف سماعه له من رسوله إليهم إذ لو كان العلو غير مستحب لأنكر عليه صلى الله عليه وسلم سؤاله عما أخبر به رسوله عنه وترك اقتصاره على إخباره له"، وقد رحل فيه العلماء قديماً وحديثاً إلى الأقطار البعيدة طلباً للعلو" شرح ألفية السيوطي المسمى "إسعاف ذوي الوَطَر بشرح نظم الدُّرَر في علم الأثر" (142/2)

(3) "الباعث الحثيث إلى اختصار علوم الحديث" (ص161)

(4) "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع" (115/1)

قال السيوطي –رحمه الله–: "بخلاف ما إذا كان مع ضعيف، فلا التفات إلى هذا العلو، لا سيما إن كان فيه بعض الكذابين المتأخرين، ممن ادعى سماعا من الصحابة، كابن هدبة، ودينار، وخراش، ونعيم بن سالم، ويعلى بن الأشدق، وأبي الدنيا الأشج، قال الذهبي: متى رأيت المحدث يفرح بعوالي هؤلاء فاعلم أنه عامي بعد"[1]

2. القرب من أحد أئمة الحديث، كالإمام مالك والأعمش وغيرهم.
3. "القرب بالنسبة إلى رواية أحد الكتب الستة، أو غيرها من الكتب المعتمدة: وهو ما كثر اعتناء المتأخرين به من الموافقة، والأبدال، والمساواة، والمصافحة"[2]
4. العلو بتقدم وفاة أحد الرواة في السند[3]
5. العلو بأقدمية السماع[4].

أما حرصهم على تكثير الطرق، فهذا من الأمور التي كان أئمة الحديث يولونه عناية فائقة لكثرة فوائده ونفعه، ومن ذلك، أن كثرة الطرق يستفاد منها في تقوية الأحاديث والترجيح عند التعارض، وقد يرد الحديث عمن اختلط بعد اختلاطه فيأتي طريق آخر ممن سمع منه قبل ذلك أو التصريح بالسماع للمدلس، وبيان المهم والمهمل من الرواة، وزيادة الألفاظ التي قد تزيل الإشكال وتوضح المشكل وغير ذلك من الفوائد.

---

(1) "تدريب الراوي" (607/2)

(2) انظر "تيسير علوم الحديث" لمحمود الطحان: (225)، وخلاصة ماذكره المؤلف: " فالموافقة: وهي الوصول إلى شيخ أحد المصنفين من غير طريقه بعدد أقل مما لو روى من طريقه عنه، البدل: هو الوصول إلى شيخ شيخ أحد المصنفين من غير طريقه، بعدد أقل مما لو روى من طريقه عنه، المساواة: هي استواء عدد الإسناد من الراوي إلى آخره، مع إسناد أحد المصنفين، المصافحة: هي استواء عدد الإسناد من الراوي إلى آخره، مع إسناد تلميذ أحد المصنفين"

(3) أوضح مثال له ماذكره السيوطي: "فما أرويه عن ثلاثة عن البيهقي عن الحاكم أعلى مما أرويه عن ثلاثة، عن أبي بكر بن خلف عن الحاكم؛ لتقدم وفاة البيهقي عن ابن خلف"، "تدريب الراوي" (614/2)

(4) "مثاله: أن يسمع شخصان من شيخ، وسماع أحدهما منذ ستين سنة مثلا، والآخر منذ أربعين سنة، وتساوى العدد إليهما، فالأول أعلى من الثاني، ويتأكد ذلك في حق من اختلط شيخه أو خرف" اختصار علوم الحديث" (ص227)

وما يمثل به في ذلك ما يتعلق بالمستخرجات، فإن من أظهر فوائدها زيادة الطرق لبعض الأحاديث، وهذا تحصل به كثير من الفوائد الآنفة الذكر.

مسألة مهمة: الرواية بالمعنى

لقد حرص حملة السنة على نقل الأحاديث النبوية بألفاظها، وكانوا أورع ما يكونون في ذلك، حتى إن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يشفقون من الرواية عن النبي ﷺ، ويخافون من الزيادة والنقص فيها.

قال القرطبي –رحمه الله–: "هابَ قومٌ من السلف الحديثَ عن رسولِ الله ﷺكعمر، والزبير بن العَوَّام، وأنس بن مالك، وابن هرمز رضي الله عنهم أجمعين؛ فإن هؤلاء سمعوا كثيرًا وحدَّثوا قليلًا؛ كما قد صرَّح الزبير – رضي الله تعالى عنه – بذلك؛ لما قال له ابنه عبد الله – رضي الله عنه –: إني لا أَسمَعُكَ تحدِّثُ عن رسول اللهِ ﷺ كما يُحَدِّثُ فلانٌ وفلان؟ فقال: أَمَا إنِّي لم أكن أفارقهُ، ولكني سمعته يقول: مَن كَذَبَ عليَّ، فليتبوَّأ مقعدَهُ من النار وقال أنس: إنَّه يمنعني أن أحدِّثَكُم حديثًا كثيرًا أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: من كَذَبَ عليَّ...الحديث، ومنهم: مَن سَمِعَ وسكت؛ كعبد الملك بن إياس، وكأنَّ هؤلاءِ تخوَّفوا مِن إكثار الحديث الوقوعَ في الكذب والغلط؛ فقلَّلوا، أو سَكَتوا"[1]

لذا كانوا يستدركون على أنفسهم بكلمات تدل على شدة عنايتهم بضبط كلامه ﷺ، فكان ابن مسعود يقول بعد تحديثه عنه أحيانا: "أو دون ذلك، أو فوق ذلك، أو قريبا من ذلك، أو شبيها بذلك"، وربما قال: "هكذا أو نحوه، هكذا أو نحوه" وعن ابن سيرين، قال: كان أنس بن مالك إذا حدث عن رسول الله ﷺ حديثا، ففرغ منه ، قال: «أو كما قال رسول الله ﷺ»، عن ابن أبي ليلى، قال: قلنا لزيد بن أرقم: حدثنا عن رسول الله ﷺ، قال: «كبرنا ونسينا، والحديث عن رسول الله ﷺشديد».

(1) "المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم" (113/1)

ثم إن الله سخر للسنة أئمة حفاظا لا يفوتهم شيء مما سمعوه كأبي هريرة رضي الله عنه[1] من الصحابة، وكالشعبي والزهري وقتادة ومن بعدهم، كالبخاري والترمذي وغيرهم[2] ممن نقل عنهم الأخبار العجيبة في ذلك، مما يدل على حفظ الله لسنة نبيه ﷺ بأمثال هؤلاء الحفظة.

ومع هذا فقد جوز طائفة من أهل العلم الرواية بالمعنى، مع اتفاقهم على تقديم الرواية باللفظ[3]

قال البيهقي –رحمه الله– : "قال الشافعي رضي الله عنه: قال بعض التابعين: لقيت أناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ، فاجتمعوا في المعنى واختلفوا عليّ في اللفظ، فقلت لبعضهم ذلك، فقال: لا بأس ما لم يُحِلْ معناه"[4]

فعن مكحول –رحمه الله– قال: سمعت واثلة بن الأسقع يقول: "حسبكم إذا جئناكم بالحديث على معناه"[5]

---

(1) روى الحاكم في "المستدرك" (6164): عن أبي الزعيزعة كاتب مروان بن الحكم،" أن مروان دعا أبا هريرة فأقعدني خلف السرير، وجعل يسأله، وجعلت أكتب حتى إذا كان عند رأس الحول دعا به، فأقعده وراء الحجاب، فجعل يسأله عن ذلك، فما زاد ولا نقص ولا قدم ولا أخر"

(2) قال الشعبي: "ما وضعت سوداء في بيضاء قط، ولا حدثني أحد بحديث فاحتجت إلي أن يعيده علي"، قال قتادة :"ما قلت لمحدث – قط :- اعد علي، وما سمعت أذناي – قط – شيئًا إلا وعاه قلبي"، وقال أحمد بن حنبل :"كان قتادة أحفظ أهل البصرة، لا يسمع شيئًا إلا حفظه، قرئ عليه صحيفة جابر مرة واحدة فحفظها"، وقال الزهري: وقال :"ما استعدت حديثًا قط، ولا شككت في حديث قط، إلا حديثا واحدا، فسألت صاحبي فإذا هو كما حفظت"، وحفظ البخاري وتلميذه الترمذي عجب العجاب رحمهم الله جميعا.انظر أخبارهم في رسالة لشيخنا عبد القيوم السحيباني: (الحفظ أهميته عجائبه طريقته أسبابه)

(3) اختلف أهل العلم في حكم الرواية للحديث النبوي بالمعنى ومحل النزاع رواية العالم المؤهل للحديث (الغير المتعبد بلفظه ولا هو من جوامع الكلم)، فمنع طائفة وشددوا، وأجازه الأئمة الأربعة وغيرهم لعالم مميز للألفاظ، وهذا هو الصحيح لإجماعهم على جواز نقل خبر النبي صلى الله عليه وسلم لمن علمه حتى بغير العربية، وينبغي أن يعلم أن هذا الخلاف كان في زمن الرواية، أما بعد أن استقرت السنة في المصنفات فالاتفاق شبه حاصل على وجوب إصابة اللفظ، إلا الترجمة إلى لغة أخرى والله أعلم. انظر "منهج النقد في علوم الحديث" للدكتور نور الدين عتر (ص227)

(4) "المدخل إلى علم السنن" (244/1)

(5) أخرجه الحاكم في "المستدرك" (6421)، والطبراني في "الكبير" (128)، وابن عبد البر في "جامع بيان العلم وفضله"(341/1)

وعن ابن سيرين –رحمه الله– قال: "كنت أسمع الحديث من عشرة، اللفظ مختلف والمعنى واحد"[1]

وعن الربيع بن صبيح، عن الحسن رحمهم الله قال: قلنا: يا أبا سعيد: "إنك تحدثنا بالحديث أنت أجود له سياقا منا قال: إذا كان المعنى واحدا فلا بأس"[2]

وعن ابن عون –رحمه الله–يقول: "أدركت ثلاثة يتشددون في الحروف، وثلاثة يرخصون في المعاني، فأما الذين يتشددون في الحروف فالقاسم، ورجاء، وابن سيرين، وكان أصحاب المعاني الحسن والشعبي وإبراهيم"[3]

فالحاصل أن الرواية بالمعنى جائزة بشروطها المعتبرة، مع العلم أن أولئك الذين نقلوا بالمعاني هم أهل علم باللسان والشرع وأهل فهم وورع، وإذا اعتبرنا القواعد التي اعتمد أهل الحديث في المقارنة بين الروايات وتمييز المحفوظ من الشاذ والتعليل وبيان الإدراج والوهم ونحو ذلك فإننا نوقن أن الله سبحانه هيأ لسنة نبيه ﷺ أسباب الصيانة حتى وإن وقع الوهم والخطأ واللحن على يد أولئك الجهابذة النقاد.

(1) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر: (344/1)

(2) المصدر السابق: (344/1)

(3) المصدر السابق: (347/1)

المطلب الثالث: عنايتهم بالسنن والآثار كتابة وتدوينا وتصنيفا.

مما اشتهر في المصنفات التي تناولت مسألة تدوين العلم مسألة حكم كتابة السنة وما ورد في ذلك من نصوص أوهمت من لم يحقق المسألة النهي عن الكتابة مطلقا كحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه:

أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "لَا تَكْتُبُوا عَنِّي، وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ..." والحديث أخرجه مسلم، وأعله غيره بالوقف[1]

فالحديث–على التسليم بصحته مرفوعا– يدل ظاهره على المنع من كتابة غير القرآن الذي أذن في كتابته[2]، وهذا المعنى صحيح لولا ما ورد في السنة من الإذن الصريح في الكتابة في أكثر من مناسبة قولا وتقريرا، فنورد ما صح في ذلك حتى لا يتعلق المشككون في منزلة السنة بهذا الحديث –مع أنه مختلف في صحته–:

- **أولا:**

ما أخرجه البخاري –رحمه الله– =وغيره أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: لَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ مَكَّةَ قَامَ فِي النَّاسِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الفِيلَ، وَسَلَّطَ عَلَيْهَا رَسُولَهُ وَالمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ كَانَ قَبْلِي، وَإِنَّهَا أُحِلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، وَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ بَعْدِي، فَلَا يُنَفَّرُ صَيْدُهَا، وَلَا يُخْتَلَى شَوْكُهَا، وَلَا تَحِلُّ سَاقِطَتُهَا إِلَّا لِمُنْشِدٍ، وَمَنْ قُتِلَ لَهُ قَتِيلٌ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ، إِمَّا أَنْ يُفْدَى وَإِمَّا أَنْ يُقِيدَ»، فَقَالَ العَبَّاسُ: إِلَّا الإِذْخِرَ، فَإِنَّا نَجْعَلُهُ لِقُبُورِنَا وَبُيُوتِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِلَّا الإِذْخِرَ» فَقَامَ أَبُو شَاهٍ – رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ اليَمَنِ – فَقَالَ: اكْتُبُوا لِي يَا

(1) أخرجه مسلم: (3004)، وأحمد: (11085)، والدارمي: (464)، لكن ضعفه البخاري وأبو داود والخطيب، مرفوعا، وصححوا الوقف على أبي سعيد، فهو وإن رواه مسلم مرفوعا، إلا أنه مقابل بتضعيف هؤلاء، يكون من المختلف فيه بين الأئمة.

(2) فقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم كتبة يكتبون عنه القرآن.

رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اكْتُبُوا لِأَبِي شَاهٍ»، قال الوليد بن مسلم راو الحديث قُلْتُ لِلْأَوْزَاعِيِّ: مَا قَوْلُهُ اكْتُبُوا لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: هَذِهِ الخُطْبَةَ الَّتِي سَمِعَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ "[1]

- **ثانيا:**

ما رواه أبوداود والدارمي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أُرِيدُ حِفْظَهُ، فَنَهَتْنِي قُرَيْشٌ، وَقَالُوا: تَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَشَرٌ يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا؟ فَأَمْسَكْتُ عَنِ الْكِتَابِ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَوْمَأَ بِإِصْبَعِهِ إِلَى فِيهِ، وَقَالَ: «اكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا خَرَجَ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ"[2]، يؤيده:

- **ثالثا:**

عن أبي قبيل –رحمه الله– قال: كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص وسئل أي المدينتين تفتح أولا القسطنطينية أو رومية؟ فدعا عبد الله بصندوق له حلق، قال: فأخرج منه كتابا قال: فقال عبد الله: بينما نحن حول رسول الله صلى الله عليه وسلم نكتب، إذ سئل رسول الله ﷺ: أي المدينتين تفتح أولا أقسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول الله ﷺ:" مدينة هرقل تفتح أولا، يعني قسطنطينية "[3]، فهذا إقرار من النبي ﷺللكتابة بين يديه، ويؤيده ما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : «مَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَحَدٌ أَكْثَرَ حَدِيثًا عَنْهُ مِنِّي، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ وَلَا أَكْتُبُ»[4]

- **رابعا:**

---

(1) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(2) أخرجه أبو داود: (3646)، أخرجه أحمد: (6510)، والدارمي: (501)

(3) أخرجه أحمد: (6645)، والدارمي: (503)، والحاكم: (8662).

(4) البخاري: (113)

ما ورد مرفوعا: "قيدوا العلم بالكتاب"[1].

وفي رفعه كلام، لكن قد يقوي هذه اللفظة عن النبي ﷺ- والله أعلم- أنها ثبتت من قول كثير من الصحابة رضي الله عنهم، منهم أنس وابن عباس وابن عمر وابن عمرو رضي الله عنهم أجمعين[2].

لذلك بوب البخاري -رحمه الله- بابا سماه: باب كتابة العلم وذكر فيه بعض ما استدل به على الإذن في الكتابة ومن ذلكم خبر علي رضي الله عنه في الصحيفة التي كانت عنده وفيها بعض الأحكام الشرعية[3]، وحديث أبي شاه الذي مضى وغيرها.

وبهذا يعلم أن حديث النهي إما يكون منسوخا، أو عاما أريد به معنى خاصا: إما النهي عن جمع السنة مع القرآن لئلا يلتبس القرآن بغيره، أو أن يكون النهي متوجها إلى من لا يميز بينهما، أو لئلا يعول على الكتابة ويهمل الحفظ، ولكُلٍّ توجيه من هاته التوجيهات قرائن تقويه والله أعلم[4].

---

(1) قال الألباني في "الصحيحة" (2026): روي من حديث أنس بن مالك وعبد الله بن عمرو وعبد الله بن العباس، وخلص بالحكم له بالصحة مرفوعا بمجموع الطرق والشواهد. انظر "الصحيحة" (44/5)

(2) كان أنس رضي الله عنه يقول لبنيه: "يا بني قيدوا هذا العلم"رواه الدارمي" (497)، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قيدوا هذا العلم بالكتاب رواه الدارمي أيضا: (505)، وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: "قَيِّدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ، مَنْ يَشْتَرِي مِنِّي عِلْمًا بِدِرْهَمٍ؟" ."كتاب العلم" لأبي خيثمة زهير بن حرب: (148)

(3) فعن الشعبي يقال: أَخْبَرَنِي أَبُو جُحَيْفَةَ قَالَ: " قُلْتُ لِعَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْءٌ سِوَى الْقُرْآنِ؟ قَالَ: «لَا، وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ إِلَّا أَنْ يُعْطِيَ اللَّهُ عَبْدًا فَهْمًا فِي كِتَابِهِ وَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ» قُلْتُ: وَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ؟ قَالَ: «الْعَقْلُ وَفِكَاكُ الْأَسِيرِ وَلَا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ» البخاري: (رقم 111)

(4) ولا يصح في الباب ما أخرج عبد الرزاق في "المصنف" (21558) عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، "أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ السُّنَنَ، فَاسْتَشَارَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فِي ذَلِكَ، فَأَشَارُوا عَلَيْهِ أَنْ يَكْتُبَهَا، فَطَفِقَ يَسْتَخِيرُ اللَّهَ فِيهَا شَهْرًا، ثُمَّ أَصْبَحَ يَوْمًا وَقَدْ عَزَمَ اللَّهُ لَهُ، فَقَالَ: إِنِّي كُنْتُ أُرِيدُ أَنْ أَكْتُبَ السُّنَنَ، وَإِنِّي ذَكَرْتُ قَوْمًا كَانُوا قَبْلَكُمْ كَتَبُوا كُتُبًا، فَأَكَبُّوا عَلَيْهَا وَتَرَكُوا كِتَابَ اللَّهِ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أَلْبِسُ كِتَابَ اللهِ بِشَيْءٍ أَبَدًا" فإن عروة لم يسمع من عمر رضي الله عنه.

قال البغوي –رحمه الله– : "وَالنَّهْيُ يُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ مُتَقَدِّمًا، ثُمَّ أَبَاحَهُ، وَأَذِنَ فِيهِ. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّمَا نُهِيَ عَنْ كِتْبَةِ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ فِي صَحِيفَةٍ وَاحِدَةٍ، لِئَلا يَخْتَلِطَ غَيْرُ الْقُرْآنِ بِالْقُرْآنِ، فَيَشْتَبِهَ عَلَى الْقَارِئِ، فَأَمَّا أَنْ يَكُونَ نَفْسُ الْكِتَابِ مَحْظُورًا، فَلا"[1]اهـ

ثم قال البغوي –رحمه الله– : "وَفِي الأَمْرِ بِالتَّبْلِيغِ إِبَاحَةُ الْكِتْبَةِ، وَالتَّقْيِيدُ، لأَنَّ النِّسْيَانَ مِنْ طَبْعِ أَكْثَرِ الْبَشَرِ، وَمَنِ اعْتَمَدَ عَلَى حِفْظِهِ لَا يُؤْمَنُ عَلَيْهِ الْغَلَطُ، فَتَرْكُ التَّقْيِيدِ يُؤَدِّي إِلَى سُقُوطِ أَكْثَرِ الْحَدِيثِ، وَتَعَذُّرِ التَّبْلِيغِ، وَحِرْمَانِ آخِرِ الأُمَّةِ عَنْ مُعْظَمِ الْعِلْمِ"[2].

ومما يؤكد أن إباحة كتابة العلم قد صارت محل اتفاق بعد ذلك ما ورد من الآثار المستفيضة عن السلف من أصحاب النبي ﷺ فمن بعدهم في الإذن بل الأمر والحث عند خشية تفلته وسوء حفظه وهذه بعض الآثار الصحيحة في ذلك:

فعَنْ بَشِيرِ بْنِ نَهِيكٍ –رحمه الله– ، قَالَ: " كُنْتُ أَكْتُبُ مَا أَسْمَعُ مِنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أُفَارِقَهُ، أَتَيْتُهُ بِكِتَابِهِ فَقَرَأْتُهُ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ لَهُ: هَذَا سَمِعْتُ مِنْكَ؟ قَالَ: نَعَمْ"[3]

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ –رحمه الله، قَالَ: "كُنْتُ أَسْمَعُ مِنْ ابْنِ عُمَرَ، وَابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، الْحَدِيثَ بِاللَّيْلِ، فَأَكْتُبُهُ فِي وَاسِطَةِ الرَّحْلِ"[4]

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَنَشٍ –رحمه الله–، قَالَ: "رَأَيْتُهُمْ يَكْتُبُونَ عِنْدَ الْبَرَاءِ بِأَطْرَافِ الْقَصَبِ عَلَى أَكُفِّهِمْ"[5]

عَنْ عُبَيْدٍ الْمُكْتِبِ –رحمه الله–، قَالَ: "رَأَيْتُهُمْ يَكْتُبُونَ التَّفْسِيرَ عِنْدَ مُجَاهِدٍ"[6]

بل قال معاوية بن قرة –رحمه الله– : "كنا لا نعد علم من لم يكتب علمه علماً"[7]

---

(1) "شرح السنة" (294/1)

(2) "شرح السنة" (1294)

(3) أخرجه الدارمي: (511)، وأبو خيثمة في "كتاب العلم" (137)، وابن عبد البر في "جامع بيان العلم" (403)

(4) الدارمي: (512)

(5) الدارمي: (520)، والبيهقي في "المدخل" (777)

(6) الدارمي: (519)

(7) "حلية الأولياء" (301/2)

وهذا قاله على سبيل المبالغة وإلا فقد ثبت عن بعض الأئمة أنه لم يكتب سوداء على بيضاء أو قلما كان يكتب وكانوا أئمة في العلم والحفظ حجة فيما نقلوا كالشعبي (104هـ)، وقتادة (117هـ) وغيرهما.

والآثار في باب كتابة السلف للعلم في الصدر الأول كثيرة يطول استيعابها.

ومما ينبغي أن يعلم، أن أئمة الحديث أنذاك لم يغفلوا جمع الآثار وكتابتها عن الصحابة، يدل على ذلك ما رواه عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ –رحمه الله–، قَالَ: "اجْتَمَعْتُ أَنَا وَابْنُ شِهَابٍ وَنَحْنُ نَطْلُبُ الْعِلْمَ، فَاجْتَمَعْنَا عَلَى أَنْ نَكْتُبَ السُّنَنَ، فَكَتَبْنَا كُلَّ شَيْءٍ سَمِعْنَاهُ عَنِ النَّبِيِّﷺ، ثُمَّ كَتَبْنَا أَيْضًا مَا جَاءَ عَنْ أَصْحَابِهِ فَقُلْتُ: لَا لَيْسَ بِسُنَّةٍ، وَقَالَ هُوَ: بَلَى هُوَ سُنَّةٌ، فَكَتَبَ وَلَمْ أَكْتُبْ، فَأَنْجَحَ وَضَيَّعْتُ"[1]

فهذا الأثر في الحرص على علم الصحابة عن ابن شهاب الزهري، كاف في تقرير أهمية ذلك[2]، وما تأسف عليه ابن كيسان يؤكد ذلك، وكفى بهما أسوة في ذلك الزمن الذي كانا فيه أئمة يقتدى بهما في العلم والعمل، مع ما كان عليه الزهري من جلالة القدر عند أمثال عمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد والإمام الزاهد[3].

---

(1) عبد الرزاق في "المصنف" (21561)، ومعمر بن راشد في "جامعه" (20487)، وابن سعد في "الطبقات" (388/2)، وابن أبي خيثمة في "التاريخ الكبير" (2705)، وأبو نعيم في "الحلية" (360/3)، ابن عبد البر في "جامع بيان العلم وفضله" (441) وغيرهم

(2) بل يقول الحافظ ابن رجب رحمه الله: "وفي زماننا يتعين كتابة كلام أئمة السلف المقتدى بهم إلى زمن الشافعي وأحمد وإسحاق وأبي عبيد، وليكن الإنسان على حذر مما حدث بعدهم، فإنه حدث بعدهم حوادث كثيرة، وحدث من انتسب إلى متابعة السنة والحديث من الظاهرية ونحوهم وهو أشد مخالفة لها لشذوذه عن (الأمة) وانفراده عنهم بفهم يفهمه، أو يأخذ ما لم يأخذ به الأئمة من قبله" فضل علم السلف على علم الخلف (ص24). وقد مضت الإشارة إلى أهمية علم السلف في الفصل الأول.

(3) قال الإمام أحمد بن حنبل: "الزهري أحسن الناس حديثا وأحسن الناس إسنادا"، ومما يذكر في حفظه أن سأله بعضُ الخلفاء أن يملي على بعض ولده، فدعا بكاتب، فأملى عليه أربع مائة حديث، ثمّ إنّ الخليفة قال للزهري بعد مدّة: إنّ ذلك الكتاب قد ضاع، فدعا الكاتب فأملاها عليه، ثمّ قابلوا الكتابَ الثاني على الكتاب الأوّل، فما غادر حرفًا. "المحدث الفاصل"

ثم صار علماء كل طبقة ينقلون علم وفقه أئمة السنة في الطبقة التي قبلهم، خاصة فيما يتعلق بمواقفهم في الفتن وردودهم على أهل الأهواء والبدع، لما في ذلك من علم كبير في فهم الكتاب والسنة، كما مضى معنا في تقرير فضل علم السلف.

بل إن باكورة المصنفات كانت كتبا جمعت السنن والآثار -كما سيأتي بيانه في المبحث الثاني- حيث كانت معظم هذه المصنفات والمجاميع تضم الحديث النبوي وفتاوى الصحابة والتابعين، كما هو الشأن في موطأ الإمام مالك -رحمه الله- (179هـ)، ثم رأى بعضهم أن تفرد أحاديث النبيﷺ في مؤلفات خاصة.

وهذه الكتابة التي وردت بها الآثار التي سبق ذكرها أول ما نتج عنها صحائف اشتهرت عن بعض الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم نذكر منها:

- صحيفة أبي بكر الصديق ﷺ فيها فرائض الصدقة.
- صحيفة علي بن أبي طالب ﷺ.
- صحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ، المعروفة بالصحيفة الصادقة.
- صحيفة عبد الله بن أبي أوفى ﷺ، ذكرها الإمام البخاري في كتاب الجهاد من "صحيحه" باب الصبر عند القتال.
- صحيفة أبي موسى الأشعري ﷺ.
- صحيفة جابر بن عبد الله ﷺ.
- الصحيفة الصحيحة التي يرويها همام عن أبي هريرة ﷺ من حديثه.

وفي عصر التابعين ظهرت صحائف أكثر اشتهر بها بعض الأئمة في تلك الحقبة منها:

- صحيفة أو صحف سعيد بن جبير تلميذ ابن عباس ﷺ.
- صحيفة بشير بن نهيك كتبها عن أبي هريرة وغيره.

---

(374)، وذكرها الفسوي في "المعرفة والتاريخ" (640/1)، وقد قال الزهري رحمه الله: مَا اسْتَوْدَعْتُ حِفْظِي شَيْئًا فَخَانَنِي. البخاري في "التاريخ الكبير" (582/1)

- صحف مجاهد بن جبر تلميذ ابن عباس، قال أبو يحيى الكناسي: "كان مجاهد يصعد بي إلى غرفته فيخرج إليَّ كتبه فأنسخ منها"[1].
- صحيفة أبي الزبير محمد بن مسلم بن تدرس المكي تلميذ جابر بن عبد الله، يروي نسخة عنه وعن غيره أيضاً.
- صحيفة زيد بن أبي أُنيسة الرُّهَاوي.
- صحيفة أبي قِلابة التي أوصى بها عند موته لأيوب السختياني.
- صحيفة أيوب بن أبي تميمة السختياني.
- صحيفة هشام بن عروة بن الزبير.

فكانت هذه الصحائف الأساس الأول واللبنة الأولى لمرحلة التدوين التي ظهرت فيها الدواوين والمصنفات وكتب السنة، والتي سنذكر شيئا منها تباعا في المبحث الثاني.

(1) الخطيب في "تقييد العلم" (ص105).

المطلب الرابع: عنايتهم بعلم الرجال والجرح والتعديل.

كان بدء الكلام في الرواة ونقدهم نتيجة للحاجة إلى صيانة العلم الموروث عن النبي ﷺ، ذلك أن الأصل في الكلام في المسلم تجريحا محرم لكنه أبيح أو كان واجبا لصيانة السنة من الوهم والخطأ والخلط فضلا عن الكذب والوضع.

لكن ينبغي أن يعلم أن أصل هذا الأمر مشروع من الكتاب والسنة، ومن أجمع وأوجز ما يذكر في التأريخ لأصل علم الرجال والجرح والتعديل قول المعلمي رحمه الله:

"أوّل من تكلّم في أحوال الرجال القرآن، ثمّ النبي ﷺ، ثم أصحابه، وأشهر ما جاء في هذا قوله تعالى: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾[سورة الحجرات: 6]، نزلت في رجل بِعَينه، كما هو معروف في موضعه[1]، وهي مع ذلك قاعدة عامّة.

وثبتت عن النبي ﷺ أحاديثُ كثيرة في الثناء على أصحابه جملةً، وعلى أفراد منهم معينين؛ معروفة في كتب الفضائل. وأخبارٌ أُخَر في ذمّ بعض الفِرَق إجمالًا؛ كالخوارج، وفي تعيين المنافقين وذم أفراد معينين؛ كعيينة بن حصن، والحَكَم بن أبي العاص.

وثبتت آثار كثيرة عن الصحابة في الثناء على بعض التابعين، وآثار في جرح أفراد منهم، وأمّا التابعون؛ فكلامهم في التعديل كثير، ولا يُروى عنهم من الجرح إلا القليل، وذلك لقرب العهد بالسراج المنير، عليه وعلى آله أفضل الصلاة والتسليم، فلم يكن أحدٌ من المسلمين يجترئ على الكذب على الله ورسوله.

وعامّة المضَعَّفين من التابعين إنّما ضُعّفوا للمذهب؛ كالخوارج أو لسوء الحفظ، أو للجهالة. ثمّ جاء عصر أتباع التابعين فما بعده، فكَثُر الضعفاء والمغَفَّلون، والآيات كثيرة في الثناء على الصحابة إجمالًا، وذم المنافقين إجمالًا، ووردت آياتٌ في الثناء على أفراد مُعَيَّنين من الصحابة-كما يُعلم من كتب الفضائل- وآيات في التنبيه على نفاق أفراد مُعَيَّنين، وعلى جرح أفراد آخرين.

---

(1) وهو الوليد بن عقبة بن أبي معيط وملخص القصة أنه بعثه النبي ﷺ إلى بني المصطلق، ليصدقهم، فتلقوه بالهدية فرجع إليه فقال: إن بني المصطلق جمعت لتقاتلك، والحديث صححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" (3088)

والكذّابون والزنادقة، فنهض الأئمة لتبيين أحوال الرواة وتزييف ما لا يثبت، فلم يكن مِصْرٌ من أمصار المسلمين إلَّا وفيه جماعة من الأئمة يمتحنون الرواة، ويختبرون أحوالهم وأحوال رواياتهم، ويتتبَّعون حركاتهم وسكناتهم، ويُعلنون للناس حكمهم عليهم.

واستمرّ ذلك إلى القرن العاشر، فلا تجد في كتب الحديث اسمَ راوٍ إلّا وجدت في كتب الرجال تحقيقَ حاله، وهذا مصداق الوعد الإلهي؛ قيل لابن المبارك: هذه الأحاديث المصنوعة؟! قال: تعيش لها الجهابذة، وتلا قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون﴾ [سورة الحجر: 9]، وكان نشاط الأئمة في ذلك آيةً من الآيات"اهـ[1]

وقال السيوطي –رحمه الله–: "وَقَالَ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي التَّعْدِيلِ: "إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ رَجُلٌ صَالِحٌ"[2] ، وَفِي الْجَرْحِ "بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ"[3]"[4]

ومما يذكر في احتراز الصحابة رضي الله عنهم في الحديث:

ما جاء عن عمر ﷺ في طلب الشهادة على رواية أبي موسى الأشعري ﷺ حديثَ الاستئذان وقال له بعد ذلك: "أما إني لم أتهمك، ولكني أردت أن لا يتجرأ الناس على الحديث عن رسول الله ﷺ"[5].

قال ابن حبان –رحمه الله–:"وتبع عمر على ذلك التثبت عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه باستحلاف من يحدثه عن رسول الله ﷺ، وإن كانوا ثقات مأمونين ليعلمهم توقي الكذب على رسول الله ﷺ"[6]

---

(1) انظر "محاضرة في علم الرجال وأهميته"، ضمن "آثار العلامة عبد الرحمن بن يحي المعلمي رحمه الله": (219/15)

(2) قالها في عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، والحديث عند البخاري: (3740).

(3) الحديث متفق عليه من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

(4) "تدريب الراوي" (891/2)

(5) أصل الحديث في الاستئذان متفق عليه، ومقولة عمر لأبي موسى رضي الله عنهم عند أبي داود: (5183)، ومالك في الموطأ: (2030).

(6) "المجروحين" (38/1)

وعن مجاهد –رحمه الله– قال: "جاء بشير بن كعب العدوي إلى ابن عباس ﷺ فجعل يحدث ويقول: قال رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ، فجعل لا يأذن لحديثه ولا ينظر إليه فقال يا ابن عباس مالي لا أراك تسمع لحديثي أحدثك عن رسول الله ﷺ، ولا تسمع، فقال: إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول: قال رسول الله ﷺ، ابتدرته أبصارنا وأصغينا إليه بآذاننا، فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف"[1].

ثم بعد الصحابة رضي الله عنهم، كان في التابعين وأتباع التابعين من اعتنى بهذا الباب

فقد قال الحافظ ابن رجب –رحمه الله–: "ابن سيرين (ت 110 هـ)رحمه الله هو أول من انتقد الرجال وميز الثقات من غيرهم ... "[2].

وقال الذهبي –رحمه الله–:

"فأول من زَكَّى وجرح عند انقراض عصر الصحابة: الشعبي (ت 103 هـ)، وابن سيرين (ت 110 هـ) ونحوهما، وحفظ عنهم توثيق أُناس وتضعيف آخرين[3]

قَالَ صالح بن محمد بن جزرة –رحمه الله–: "كَانَ شُعْبَةُ أَوَّلَ مَنْ تَكَلَّمَ فِي الرِّجَالِ وَتَبِعَهُ يَحْيَى الْقَطَّانُ ثُمَّ أَحْمَدُ وَابْنُ مَعِينٍ". يقصد الأول في طبقته"[4].

ثم استمر الأمر في ذلك طبقة عن طبقة، أخذوا عنهم هذا المسلك لصيانة الحديث.

وقد سلك علماء الحديث في الاحتراز في الرواية طرقا ناجعة دقيقة بديعة في النقد بالنظر في عدالة الراوي، بالبحث عن ديانته وخلقه وصيانة عرضه ومروءته حتى بالغوا في ذلك أحيانا، والنظر في حفظه وضبطه وعدم تغيره واختلاطه ومدى صيانته لكتابه إذا كان صاحب كتاب ونحو ذلك، ومما يذكر من الأخبار في ذلك:

---

(1) مسلم في "المقدمة" (12/1)، والدارمي: (440).

(2) "شرح علل الترمذي" (355/1)

(3) "ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل" (172)

(4) انظر في "مقدمة كتاب المجروحين" لابن حبان رحمه الله كلاما جامعا في أسماء الأئمة الذين برزوا في باب الجرح والتعديل تدريجا في الطبقات الأولى.

قال ابن أبي حاتم –رحمه الله–: "باب في الإخبار أنها–يعني الرواية–من الدين، والتحرز والتوقي فيه

ثم روى بأسانيده إلى محمد ابن سيرين –رحمه الله–(110هـ) مقولته المشهورة: "انظروا عمن تأخذون هذا الحديث فإنما هو دينكم".

وروى عن مغيرة عن إبراهيم –رحمه الله– قال: "كانوا إذا أرادوا أن يأخذوا عن الرجل نظروا إلى صلاته وإلى هيئته وإلى سمته"[1].

عن أبي العالية –رحمه الله– قال: "كنت أرحل إلى الرجل مسيرة أيام فأتفقد صلاته فإن أجده يحسنها ويقيمها أقمت عليه وكتبت عنه، وإن أجده يضيعها رحلت عنه، وقلت: هذا لغير الصلاة أضيع"[2].

وكان مالك بن أنس –رحمه الله– يقول: "لا يؤخذ العلم من أربع. ويؤخذ ممن سوى ذلك، لا يؤخذ من سفيه معلن بالسفه وإن كان أروى للحديث، ولا يؤخذ من كذاب في أحاديث الناس وإن كنت لا تتهمه انه يكذب على رسول الله ﷺ ولا يؤخذ من صاحب هوى يدعو إلى هوى. ولا من شيخ له فضل وعبادة إذا كان لا يعرف ما يحدث"[3].

وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل –رحمه الله– قال: "قلت لأبي. لِم لَم تكتب عن الوليد بن صالح ...؟ فقال: رأيته يصلى في المسجد الحرام يسئ صلاته"[4].

قال الحسن بن صالح بن حَيّ –رحمه الله–: "كنّا إذا أردنا أن نكتب عن الرجل سألنا عنه، حتّى يقال: أتريدون أن تزوجوه؟!"[5].

---

(1) "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم (16/2).

(2) "الكامل" لابن عدي (132/1).

(3) "تاريخ أسماء الضعفاء والكذابين"، لابن شاهين: (ص41).

(4) المصدر السابق

(5) "الكفاية" للخطيب (ص93)، إكمال تهذيب الكمال" (9/1)

وجعلوا وسائل كثيرة لامتحان الرواة واختبار صدقهم وضبطهم وكشف ما خفي من أمرهم سواء بالاختبار لضبط الرواي أو صدقه بالتواريخ والوفيات ونحو ذلك ومما يذكر في ذلك:

ما جاء عن سفيان الثوري –رحمه الله– أنه قال: "لَمَّا اسْتَعْمَلَ الرُّوَاةُ الكَذِبَ اسْتَعْمَلْنَا لَهُمْ التّارِيخَ"[1]، فجعل علماء الحديث هذه الوسيلة أداة لكشف صدق الرواة في لقاء الشيوخ والسماع منهم".

ذكر مسلم –رحمه الله– في المقدمة قال: قال المعلى بن عرفان: حدثنا أبو وائل قال خرج علينا ابن مسعود بصفين، فقال أبو نعيم: أتراه بعث بعد الموت"[2]

وروى ابن أبي حاتم عن شعبة –رحمه الله–قال: "روى الحسن بن عمارة عن الحكم عن يحيى بن الجزار عن علي سبعة أحاديث فلقيت الحكم فسألته عنها فقال: ما حدثت بشيء منها" [3].

جاء عن عُفَير بن مَعْدان –رحمه الله–: "أنّ عمر بن موسى بن وجيه حدّث عن خالد بن مَعْدان، قال عُفير: فقلت له: في أيّ سنة لقيته؟ قال: في سنة ثمان وخمسين ومائة، في غزاة إرْمِينِيَّة. قلت: اتق الله يا شيخ، لا تكذب! مات خالد سنة أربع وخمسين ومائة، أزيدك أنّه لم يغز إرْمِينية!" [4]

وكانوا في ذلك أورع ما يكون وأصدقه، في تجردٍ وقولٍ بالحق ولو على أنفسهم أو الوالدين والأقربين ومن أمثلة ذلك:

قال ابن عدي –رحمه الله–: سمعت عبدان سمعت أصحابنا يقولون حدث علي بن المديني، عن أبيه ثم قال وفي حديث الشيخ ما فيه أو قال فيه شيء"[5].

---

(1) "الكفاية" (119)

(2) مسلم "مقدمة الصحيح" (1/ 26)، ومعنى ذلك أنه زعم وجود ابن مسعود يوم صفين التي حدثت سنة 37هـ وابن مسعود رضي الله عنه توفي عام 32 أو 33هـ

(3) "الجرح والتعديل" (138/1)

(4) المصدر السابق: (133/6)، و"الكفاية" (ص119) مع اختلاف الروايات في سنة وفاة خالد بن معدان.

(5) "الكامل في ضعفاء الرجال" (290/5)، وابن الجوزي في "الضعفاء والمتروكون" (118/2)

وكان وكيع بن الجَرَّاح –رحمه الله– لكون والده على بيت المال يقرن معه آخر إذا روى عنه[1].

وقال محمد بن محمد الباغندي –رحمه الله–: "لا تكتبوا عن أبي فإنه يكذب"[2]

وقال زيد بن أبي أُنَيسة –رحمه الله–: "أخي يحيى يكذب"[3].

قال يحيى بن المغيرة –رحمه الله–: "سألت جريراً عن أخيه أنس بن عبد الحميد؟ فقال: "قد سمع من هشام بن عروة، ولكنه يكذب في أحاديث الناس"[4].

وقال أبو داود –رحمه الله–صاحب السنن في ابنه عبد الله: كذّاب[5].

وكان الإمام أبو بكر الصِّبْغي –رحمه الله– ينهى عن السماع من أخيه محمد بن إسحاق[6].

---

(1) "فتح المغيث" للسخاوي: (356/4)، و"شرح الإثيوبي على ألفية السيوطي" (367/2)

(2) انظر "سؤالات السهمي" للداراقطني: (ص132 رقم: 108)، وانظر الإمام أبو الحسن الداراقطني وآثاره العلمية لعبد الله الرحيلي: (ص121)

(3) "الجرح والتعديل" (130/9)، و"المجروحين" (110/3)، و"الكامل في الضعفاء" (3/9)

(4) "الضعفاء" لأبي زرعة الرازي في أجوبته على أسئلة البرذعي: (564/2)

(5) هو أبو بكر عبد الله بن أبي داود أنظر ترجمة له في "لسان الميزان" (490/4)، قال فيه ابن عدي: هو مقبول عند أصحاب الحديث، وأما كلام أبيه فما أدري أيش تبين له منه.اهـ الكامل في ضعفاء الرجال:(437/5)

(6) هو محمد بن إسحاق الصبغي ترجمته في "لسان الميزان" (رقم: 6474)، قال الحاكم: كان أخوه ينهانا عن السماع منه لما يتعاطاه، انظر "لسان الميزان" (553/6).

المبحث الثاني: المصنفات التي أثمرتها جهود المحدثين.

وفيه توطئة ومطلبان:

المطلب الأول: المصنفات في المتون.

المطلب الثاني: المصنفات في علم الرجال.

توطئة: نشأة تدوين الحديث.

مضت الإشارة إلى المراحل الأولى لكتابة الحديث، وما نتج عن ذلك من بعض الصحف التي كانت متداولة عند الصحابة والتابعين، وبقي أن نشير إلى المرحلة المهمة التي تلت هذه الحقبة، وهو ما كان من قضية التدوين الكبرى التي كانت مبادرتها على يد الخليفة الأموي الراشد عمر بن عبد العزيز –رحمه الله–في نهاية القرن الأول.

"والتدوين: هو تقييد المتفرق المشتت، وجمعه في ديوان أو كتاب تجمع فيه الصحف...أما التصنيف: فهو أدق من التدوين إذ هو ترتيب ما دُوِّنَ في فصول محدودة وأبواب مميزة"[1]، فالتصنيف هو ثمرة التدوين وستأتي الإشارة إلى المصنفات.

والتدوين بهذه الصورة الشاملة الواسعة، هو الذي يحمل عليه كلام الإمام مالك رحمه الله: "أول ما دون العلم: ابن شهاب الزهري"[2]

ففي صحيح البخاري: "وكتب عمر بن عبد العزيز –رحمه الله–(101هـ) إلى أبي بكر بن حزم –رحمه الله–(120هـ): انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه؛ فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء"[3]

وكان الزهري (124هـ) –رحمه الله– أول من استجاب لهذا، لهذا قال الزهري –رحمه الله–: "لم يدون هذا العلم أحد قبل تدويني"[4]

قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله–: "يستفاد منه ابتداء تدوين الحديث النبوي، وكانوا قبل ذلك يعتمدون على الحفظ، فلما خاف عمر بن عبد العزيز –رحمه الله– وكان على رأس المائة الأولى من ذهاب العلم بموت العلماء، رأى أن في تدوينه ضبطا له وإبقاء"[1]

---

(1) "تدوين السنة" للزهراني (ص74)

(2) "جامع بيان العلم وفضله" (رقم: 437)، وأورده أيضا عن عبد العزيز بن محمد الدراوردي (رقم: 415)

(3) "الجامع الصحيح": باب كيف يقبض العلم (31/1)

(4) "الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة" (ص4)، وعزاه الدكتور مرزوق بن هياس الزهراني في كتابه "عش مع الخلفاء والملوك لتاريخ الطبري" (ص34) ولم أقف عليه فيه.

قال السيوطي –رحمه الله–: "وَأَمَّا ابْتِدَاءُ تَدْوِينِ الحَدِيثِ فَإِنَّهُ وَقَعَ عَلَى رَأْسِ المِائَةِ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ"[2]

ونشير هنا أيضا أن من أوائل من نسب إليه التصنيف في العلم، ما أشار إليه عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل قال قلت لأبي أول من صنف من هُوَ؟ قَالَ بن جريج –رحمه الله–(150هـ) وَابْن أَبِي عرُوبَة –رحمه الله– (156هـ) وَقَالَ بن جريج مَا صنف أحد الْعلم تصنيفي[3].

وفي العصر الذهبي لتدوين العلم في أواخر دولة بني أمية وبدء دولة بني العباس، شمل ذلك التدوين علم التفسير، فضمَّن بعض أئمة الحديث مصنفاتهم أبوابا في التفسير المأثور، وظهرت مصنفات خاصة بالتفسير لجماعة من أئمة السنة والحديث كما سيأتي ذكره.

كذلك ظهر التصنيف في علم الرجال متأخرا بعد ذلك، للحاجة إلى تمييز المنقول من المتون، وسنذكر في المطلبين التاليين نماذج للمصنفات في المتون، ونماذج للمصنفات في علم الرجال، وهو ثمرة تلك الجهود العظيمة التي مرت الإشارة إليها.

ومما يبين قيمة جهود أهل الحديث في مصنفاتهم المتنوعة في المتون والرجال والعلل، براعة الابتكار في التصنيف والتراجم عندهم على طرائق مختلفة على حسب حاجة الأمة، مما كان له الأثر في تقريب العلم وتيسيره لمن جاء بعدهم، وهذا من مظاهر حفظ الله لدينه بأهل الحديث الذين أبدعوا في وسائل نشر العلم الموروث عن النبي ﷺ والسلف الصالح، رواية وتصنيفا وشرحا واختصارا وجمعا وتبويبا ونحو ذلك مما سنقف عليه في المطالب التالية.

---

(1) "فتح الباري" (194/1)

(2) "تدريب الراوي" (94/1)، وانظر "تدوين السنة" للزهراني، و"السنة قبل التدوين" لمحمد عجاج الخطيب، "تدوين السنة النبوية في القرنين الثاني والثالث للهجرة" لمحمد بن صادق بنكيران، "تدوين السنة ومنزلتها" لعبد المنعم السيد نجم.

(3) "العلل ومعرفة الرجال" (ج2/ص311)، وممن صنف كذلك: محمد بن إسحاق (151هـ)، الأوزاعي (156هـ)، ابن أبي ذئب (158هـ)، شعبة بن الحجاج (160هـ) وغيرهم. انظر "تدوين السنة" للزهراني (ص90)

المطلب الأول: المصنفات في المتون:

وسأذكر إن شاء الله الأنواع التي ظهرت في خدمة السنة وجمع المتون، من بدء التصنيف في عصر الرواية وإلى عصرنا هذا، في عدة أنواع من غير استيعاب للكتب المصنفة في كل نوع خشية الطول، لكن حسبي أن أمثل لكل نوع ببعض المصنفات فيه، لبيان مظهر من مظاهر جهود المحدثين في حفظ السنة وهو الابتكار في التصنيف بطرائق متعددة لتقريب السنة وتيسير الانتفاع بها، وأذكرها إن شاء الله تحت فرعين: الأول المصنفات المسندة، والثاني: المصنفات المجردة عن الأسانيد:

الفرع الأول: المصنفات الحديثية المسندة:

ويمكننا حصرها باعتبار موضوعها إلى نوعين:

النوع الأول: المصنفات المسندة التي جردت المتون أصالة:

ونعني بكتب المتون في هذا الباب الكتب التي اعتنى أصحابها -في الغالب-برواية السنن المرفوعة أصالة، وكان قصدهم في الأساس ذلك، وقد لا تخلو من الموقوف والمقطوع وفتاوى الأئمة في القرون الأولى.

وجعلتها الأولى في هذا التفريع لأنها كانت المتقدمة في الظهور كما مر الإشارة إلى ذلك، ولبيان أهميتها وأنها مسالك الأولين المتقدمين من أئمة الحديث المصنفين للعلم، وهذا يبين القيمة العلمية لديهم لفقه وعلم السلف خاصة أصحاب النبي ﷺ، ولم يؤد بهم ما كانوا عليه حقا من تعظيم الكتاب والسنة وتقديمهما على قول كل أحد، إلى إهمال علم السلف كما وقع فيه الظاهرية ومن تأثر بهم[1]، بل ساقوا آثارهم في العلم والعمل، وأسندوها ورواها بعضهم عن بعض مقرونة بالسنن وفقهها، وفي تفسير كتاب الله تعالى، لأن من نسبت إليهم هم أعلم بالكتاب والسنة وبكلام

(1) انظر في ذلك بحثا قيما بعنوان: "موقف المدرسة الظاهرية من الحديث الموقوف(دراسة تحليلية نقدية)" للدكتور صالح بن سعيد عومار.

العرب، وبأسباب النزول، وأسباب ورود الأحاديث، ونحو ذلك مما اختصوا به، فإجماعهم حجة بنص الكتاب والسنة، وإن اختلفوا فالعلم محصور في أقوالهم والله أعلم.[1]

وهذا النوع من المصنفات كثير بحمد الله، اشتهرت بأسماء صارت أنواعا مشتهرة عند أهل الحديث تواردوا على التصنيف فيها ومن أشهرها: الجوامع والصحاح والسنن والموطآت والمصنفات وغيرها[2]، وهذا ذكر لبعض الأنواع منها مع التمثيل:

---

(1) قال ابن عبد البر رحمه الله: "وَأَمَّا الْإِجْمَاعُ فَمَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ} [النساء: 115] الْآيَةَ لِأَنَّ الِاخْتِلَافَ لَا يَصِحُّ مَعَهُ هَذَا الظَّاهِرُ " وَقَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ» وَعِنْدِي أَنَّ إِجْمَاعَ الصَّحَابَةِ لَا يَجُوزُ خِلَافُهُمْ؛ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ عَلَى جَمِيعِهِمْ جَهْلُ التَّأْوِيلِ، وَفِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} [البقرة: 143] دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ جَمَاعَتَهُمْ إِذَا اجْتَمَعُوا حُجَّةٌ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ كَمَا أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُجَّةٌ عَلَى جَمِيعِهِمْ، وَدَلَائِلُ الْإِجْمَاعِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ كَثِيرَةٌ لَيْسَ كِتَابُنَا هَذَا مَوْضِعًا لِتَقَصِّيهَا وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ" وروى بإسناده إلى "بَقِيَّةُ بْنُ الْوَلِيدِ قَالَ: قَالَ لِي الْأَوْزَاعِيُّ: " يَا بَقِيَّةُ، الْعِلْمُ مَا جَاءَ عَنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا لَمْ يَجِئْ عَنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَيْسَ بِعِلْمٍ..."، وروى بإسناده أيضا عن عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ قَالَ: سَمِعْتُ الْأَوْزَاعِيَّ، يُحَدِّثُ عَنِ ابْنِ الْمُسَيِّبِ، أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ، فَقَالَ: «اخْتَلَفَ فِيهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا رَأْيَ لِي مَعَهُمْ» قَالَ ابْنُ وَضَّاحٍ: "هَذَا هُوَ الْحَقُّ". قَالَ أَبُو عُمَرَ: "مَعْنَاهُ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ أَنْ يَأْتِيَ بِقَوْلٍ يُخَالِفُهُمْ جَمِيعًا بِهِ"، وروى عن مجاهد قَالَ: «الْعُلَمَاءُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»..." أوردته بتصرف واختصار من كتاب "جامع بيان العلم وفضله" (ج1/ص759)، ومن كلمات الشاطبي العظيمة في كتابه "الموافقات" (289/3): " يَجِبُ عَلَى كُلِّ نَاظِرٍ فِي الدَّلِيلِ الشَّرْعِيِّ مُرَاعَاةُ مَا فَهِمَ مِنْهُ الْأَوَّلُونَ، وَمَا كَانُوا عَلَيْهِ فِي الْعَمَلِ بِهِ؛ فَهُوَ أَحْرَى بِالصَّوَابِ، وَأَقْوَمُ فِي الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ"اهـ

(2) وهذه المصنفات مرتبة على الأبواب وهي طريقة سلكها عدد كبير من أئمة الحديث، بأن تجمع الأحاديث التي يجمعها معنى معين في كتاب جامع نحو ثم توزع تلك الأحاديث في ذلك الكتاب تحت أبواب وتراجم مناسبة نحو قول البخاري رحمه الله: "كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء"، ويذكر تحت تلك الترجمة حديثا أو أكثر يدلل بها على ما أراد.

وهذه المصنفات لها ميزة تجمعها وهي أن الباحث عن حديث في موضوع معين، يجد مفتاح الوقوف على الحديث في أسماء الكتب والأبواب، لكن قد يعسر عليه الوقوف على الحديث أحيانا ذلك أن بعض الأئمة يضع الحديث في ترجمة غامضة خفية لا يتفطن لها الباحث كما هو الحال أحيانا في تراجم البخاري رحمه الله، وهذه الكتب المصنفة على الأبواب تتفاوت في عدد النصوص والمواضيع التي تتناولها ولكلٍ ميزته، فالجوامع تتميز بمواضيع وكتب زائدة لا توجد في السنن، والصحاح أقل أحاديثا في الجملة من المصنفات الأخرى، بسبب الانتقاء للصحيح دونما سواه، والسنن والجوامع تستوعب في أبوابها كل الأحاديث في الباب أو أغلبها بينما لاتجد ذلك في الصحاح، فمثلا الترمذي في جامعه توسع فأخرج كل حديث عمل به الفقهاء، والمستخرجات يجد فيها زيادات الألفاظ والفوائد المتعلقة بالأسانيد وأسماء الرواة ونحو ذلك، والموطأ والمصنفات تجد في تراجمها

1.الجوامع:

هي كتب الحديث المرتبة على الأبواب التي يوجد فيها أحاديث في جميع موضوعات الدين وأبوابه، وهي ثمانية أبواب رئيسية: العقائد و الأحكام، والسير، والآداب، والتفسير، والفتن، وأشراط الساعة، والمناقب ، ومن أشهرها:

- الجامع الصحيح لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (256هـ)
- صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (261هـ) [1]
- الجامع المعروف بالسنن لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (279هـ)، إلا أنه معدود عند أهل العلم في الجوامع فهو أشبه بها.

2.الصحاح:

وهي الكتب التي اشترط أصحابها ألا يخرجوا إلا حديثا صحيحا باعتبار شروطهم، وقد يوفي المصنف بشرطه وقد يخرج أحيانا، ومن أشهر الكتب في ذلك الصحيحين البخاري ومسلم والموطأ وقد وفى صاحباهما بشرط الصحة إلا في أحاديث يسيرة والموطأ دونهما في مرتبة الصحيح، ومن أشهر الكتب في الباب:

- صحيح ابن خزيمة[2] وهو أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري (311هـ)

فقه وفتاوى السلف من الصحابة ومن بعدهم إلى جانب الأحاديث المرفوعة، هكذا لكل نوع ميزته، وهذا من بركة جهود أهل الحديث فيما راعوه من حاجة الناس وما يقتضيه تقريب السنة وتيسير العلم، والله أعلم.

(1) وللحافظ ابن حجر رحمه الله كتبا سماه: "الوقوف على الموقوف من صحيح مسلم" ذكر فيه قرابة 192 رواية من الموقوف على الصحابة رضي الله عنهم في صحيح مسلم.

قال رحمه الله: "وكان الحامل على جمع هذه الأحاديث أنه يقع في بعض مجالس الحديث قول أبي عمرو بن الصلاح في (علوم الحديث) أنه ليس في صحيح مسلم بعد الخطبة والمقدمة إلا الحديث المرفوع الصرف غير ممزوج بالموقوفات".اهـ "الوقوف على الموقوف على صحيح مسلم" (ص27)

(2) وقال الحافظ ابن حجر: "وسمى ابن خزيمة كتابه: المسند الصحيح المتصل بنقل العدل عن العدل من غير قطع في السند، ولا جرح في النقلة". "النكت" (1 / 291)، وقال الدكتور محمد مصطفى الأعظمي- محقق الجزء الموجود من ابن خزيمة – أن

- صحيح ابن حبان[1] وهو أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البُستي (354هـ)

3.السنن:

وهي الكتب التي جمعت أحاديث الأحكام والحلال والحرام في أبواب الفقه مسندة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ومن أشهرها:

- السنن لأبي داوود سليمان بن الأشعث الازدي السجستاني (275هـ).
- السنن للإمام النسائي وهو أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي(303هـ) [2].
- السنن لابن ماجة وهو أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (273هـ).

4.المصنفات والموطآت:

وهي الكتب التي جمع أصحابها أحاديث الأحكام أي أبواب الفقه في الحلال والحرام ككتب السنن، إلا أن الموطآت والمصنفات تخرج الموقوفات إلى جانب المرفوع أصالة، بينما السنن تخرجها تبعا على قلة[3]، ومن أشهر الموطآت:

اسمه كما وضعه مؤلفه: مختصر المختصر من المسند الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه مختصر من كتابه "المسند الصحيح".انظر: "مقدمة صحيح ابن خزيمة" (16/1 – 17) بقلم المحقق.و"انظر تدوين السنة" للزهراني: (ص149)

(1) وسماه مصنفه: "المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع من غير وجود قطع في سندها ولا ثبوت جرح في ناقليها"، وقد رتبه الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (739هـ) وسماه: "الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان"، فسهل الله الانتفاع به وكتب له القبول عند الناس أكثر من أصله.

قال ابن حجر رحمه الله: "...لأن ابن حبان تابع لابن خزيمة مغترف من بحره ناسج على منواله". "النكت" (291/1)

(2) وللإمام النسائي السنن الكبرى والصغرى(أو المجتبى) والأخير هو المعدود في الكتب الستة والسنن الأربعة المشهورة.

(3) هكذا أفادنا شيخنا الدكتور نور الدين تومي.

- موطأ الإمام مالك، فهو أول كتاب جمع الحديث الصحيح مع آثار الصحابة والتابعين وفتاويهم، وفي هذا الكتاب علم غزير عن السلف ومن اجتهادات مالك رحمه الله.

ومن أشهر المصنفات:

- المصنف لعبد الرزاق بن همام الصنعاني (211 هـ)[1].
- المصنف لأبي بكر بن أبي شيبة عبد الله بن محمد العبسي (235 هـ)[2].

ويعد من الكتب القيمة في هذا النوع:

- السنن لسعيد بن منصور (227هـ)[3].

---

(1) جاء في "مقدمة تحقيق مصنف عبد الرزاق"، مركز البحوث وتقنية المعلومات – دار التأصيل: (18/1): "ويعد كتاب "المصنف" للإمام عبد الرزاق بن همام الصنعاني من أهم وأقدم أصول السُّنن والآثار المعتبرة عند العلماء، ويُعدُّ نموذجًا جليًّا لما مَنَّ به اللَّه عز وجل على أهل العلم، في مجال كتابة أخبار النبي–صلى الله عليه وسلم–وجمع آثار الصحابة الذين كانوا أعلام الدين، فقاموا على حفظ وفقه هذه السنن والآثار حتى أورثوها مَنْ جاء بعدهم، فتحَمَّلها بعضهم عن بعض إلى أن وصلت إلينا نقية صافية، وللَّه الحمد" ، وقد بلغ عدد زوائده على الكتب الستة : 1750حديثا مرفوعا منه الصحيح وما دونه، في إحصاء الباحث: الدكتور عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن الخريصي في بحثه: "زوائد مصنف عبد الرزاق على الكتب الستة من الأحاديث المرفوعة من أول كتاب الجهاد إلى نهاية الكتاب". وقد ذكر الإحصاء للمصنَّف كله.

(2) وهناك رسالة علمية بعنوان: زوائد مصنف الحافظ أبي بكر بن أبي شيبة على الكتب الستة من الأحاديث المرفوعة من أول المصنف إلى آخر كتاب الأيمان والنذور، لحسين عبد الحميد النقيب، قدمها في جامعة أم القرى عام 1409هـ، ورسالة أخرى ليوسف محمد علمي في زوائد المصنف من المرفوع من بداية كتاب الإيمان إلى نهاية كتاب الزهد، في رسالة عام: 1422هـ في جامعة أم القرى أيضا.

(3) وهو كتاب حافل بالسنن المرفوعة والآثار عن السلف، وبلغت زوائده من المرفوع على الكتب الستة: 348 حديثا مابين صحيح ودون ذلك من حسن وضعيف، وانظر "زوائد سنن سعيد بن منصور على الكتب الستة من الأحاديث المرفوعة"، لأحمد صالح أحمد الغامدي.

فائدة وتنبيه: مما يحسن التنبيه عليه هاهنا وهو يظهر أهمية العناية بالآثار أن من الموقوفات عن الصحابة رضي الله عنهم – التي لم تثبت مرفوعة من جهة أخرى– ما قد يحكم له الأئمة بالرفع بقرائن ترجح أنه مما لم يصدر عن الصحابة ابتداء بل علموه من النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينشطوا لإسناده وتبنوه وأخبروا به مجردا عن النسبة إليه كالأمور الغيبية وما يتعلق بصفات الله

5.المستخرجات:

وفي تعريفها يقول الشيخ أحمد بن الصديق الغماري رحمه الله: وأما الاستخراج، فهو أن يقصد الحافظ إلي مصنف مسند لغيره، فيخرج أحاديثه بأسانيد نفسه، من غير طريق صاحب الكتاب، فيجتمع معه في شيخه، أو شيخ شيخه، وهكذا إلي صحابي الحديث، بشرط ألا أن لايورد الحديث المذكور من حديث صحابي آخر بل لابد أن يكون من حديث ذلك الصحابي نفسه، وبشرط أن لا يصل إلى شيخ أبعد حتى يفقد طريقا يوصله إلى الشيخ الأقرب من صاحب الأصل إلا لعذر من علو أو زيادة مهمة"[1].

وهناك مستخرجات كثيرة على الصحيحين منفردين أو هما معا مثل:

- المستخرج على الصحيحين": للإمام الحافظ المتقن الحجة، أبي عبد الله محمد بن يعقوب بن يوسف الشيباني النيسابوري، المعروف بابن الأخرم، ويعرف قديما بابن الكرماني (344هـ).
- "المستخرج على صحيح البخاري": للإمام الحافظ أبي العباس محمد بن أحمد بن حمدان بن علي الحيري النيسابوري (360هـ).
- "المستخرج على صحيح مسلم": للإمام الحافظ أبي عوانة، يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن يزيد النيسابوري الأصل، الأسفراييني (316هـ)، مطبوع.

وهناك مستخرجات على بعض السنن المشهورة وغيرها مثل:

- "المستخرج على سنن أبي داود": للإمام الحافظ العلامة محدث الأندلس، أبي محمد، قاسم بن أصبغ بن محمد القرطبي (340هـ).

والفتن وأشراط الساعة ونحو ذلك، فتكلموا به كأنه من قولهم وهم إنما علموه من النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة أو بواسطة بعضهم عن بعض. انظر كتاب (ما له حكم الرفع من أقوال الصحابة وأفعالهم)، لشيخنا محمد بن مطر الزهراني رحمه الله.

(1) انظر "حصول التفريج بأصول التخريج" (ص15)، وللمستخرجات فوائد عظيمة منها: علو الإسناد، زيادات الثقات، فقه الحديث، شرح الغريب، تقوية الحديث، بيان المبهم والمهمل وغير ذلك من الفوائد، وأنظر لمزيد فوائد المستخرجات رسالة: "فوائد المستخرجات من خلال مسند أبي عوانة" لنايف بن ناصر المنصور (ص44)

- "المستخرج على جامع الترمذي": للإمام الحافظ المجود، أبي علي، الحسن بن علي، الطوسي، المعروف بمكردش (312هـ)، وهناك مستخرجات أخرى كثيرة[1].

6.المستدركات:

"هو أن يأتي عالم من العلماء إلى كتاب اشترط فيه صاحبه شرطا معينا فيستدرك عليه أحاديث على شرطه لم يخرجها"[2]، والمصنفات في ذلك قليل ومن أشهرها:

- "المستدرك على الصحيحين" للحاكم وهو أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بابن البيِّع الحاكم النيسابوري (405هـ).

وهو مرتب أيضا على الأبواب.

7.المسانيد:

"وهي التي تخرج الأحاديث مرتبة على أسماء الصحابة رضي الله عنهم، وضم أحاديث كل واحد من الصحابة بعضها إلى بعض"[3]، ومن أشهرها:

---

(1) ومن المستخرجات "المستخرج على الصحيحين": للإمام الحافظ، العلامة الثقة، شيخ الفقهاء والمحدثين، أبي بكر، أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب، الخوارزمي، ثم البرقاني (425هـ)، "المستخرج على البخاري": للإمام الحافظ، الثقة العلامة، أبي نعيم، أحمد بن عبد الله بن إسحاق المهراني، الأصبهاني (430هـ)، "المستخرج على صحيح مسلم": للإمام الحافظ أبي بكر، محمد بن محمد بن رجاء الأسفراييني (286هـ)، وهناك مستخرجات على غير الكتب الستة مثل: "المنتقى": للإمام القرطبي (340هـ)، قال الكتاني: "وكتاب "المنتقى" لأبي محمد قاسم بن أصبغ، وكان قد فاته السماع منه-يعني ابن خزيمة- ووجده قد مات، فألفه على أبواب كتابه بأحاديث خرجها عن شيوخه"، "المستخرج على المستدرك للحاكم النيسابوري": للإمام أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي (806هـ)، "الأموال":لأبي أحمد حميد بن مخلد الأزدي النسائي، المعروف بابن زنجويه، وهو لقب أبيه. وكتابه كالمستخرج على كتاب "الأموال" لأبي عبيد، "المستخرج على كتاب التوحيد لابن خزيمة": للإمام الحافظ، الثقة العلامة، أبي نعيم، أحمد بن عبد الله بن إسحاق المهراني، الأصبهاني. انظر الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة: (ص25).

(2) كما أفادنا شيخنا الدكتور تومي في "محاضرات أحاديث الأحكام".

(3) "تدوين السنة للزهراني" (ص99)، وقال رحمه الله: "للعلماء في ذلك ثلاث طرق:

- مسند الطيالسي، وهو أبو داود سليمان بن داود الطيالسي البصرى (204هـ)، وهو أول ما عُلم تصنيفه في الباب[1].
- مسند بن أبي شيبة، وهو أبو بكر عبد الله بن محمد العبسي ((235 هـ).
- مسند أحمد، وهو الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الذهلي الشيباني (241هـ).

8.المعاجم:

والمعاجم: وهي"تلك الكتب التي تعنى بذكر شيوخ إمام من الأئمة أو عالم من العلماء ممن لقيهم وأخذ عنهم أو أجازوا له"[2]

وترتيب الأحاديث فيها على حروف المعجم من أسماء الشيوخ، وهو مثل المسند باعتبار ترتيب الأحاديث على الأسماء ويفارقه من جهة أن المسند مرتب على أسماء الصحابة رضي الله عنهم[3]، ومن أشهر المعاجم:

- المعجم الصغير والأوسط للطبراني: وهو أبو القاسم سليمان بن أحمد اللخمي الطبراني(360هـ).

9.المشيخات:

الأولى: ترتيب أسماء الصحابة على حروف المعجم من أوائل الأسماء، فيبدأ – مثلاً – بأُبيّ بن كعب، ثم أسامة بن زيد، ثم أنس بن مالك وهكذا، إلى آخر الحروف.

الثانية: الترتيب على القبائل فيبدأ ببني هاشم، ثم الأقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النسب، ثم مَنْ يليهم.

الثالثة: الترتيب على قدر سوابق الصحابة في الإسلام ومحله في الدين، فيبدأ بالعشرة – رضوان الله عليهم –، ثم المقدمين من أهل بدر، ثم يلونهم أهل بيعة الرضوان بالحديبية ... وهكذا..

قال الخطيب البغدادي: "وهذه الطريقة – الأخيرة – أحب إلينا في تخريج المسند" ". تدوين السنة: (ص100)

(1) المصدر السابق: (ص100).

(2) "علم الرجال نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع" (ص221).

(3) لذلك كان "المعجم الكبير" للطبراني معدود في المسانيد لأنه رتب الأحاديث على أسماء الصحابة رضي الله عنهم.

ومثل المعاجم المشيخات[1]، سميت بذلك لأن المصنف يرتب أحاديث الباب على أسماء الشيوخ وفي الغالب يخرج لكل شيخ حديثا واحدا، ومن أمثلتها:

- مشيخة ابن طهمان لأبي سعيد إبراهيم بن طهمان الخراسانى الهروي (168هـ).
- مشيخة يعقوب بن سفيان الفسوي، لأبي يوسف يعقوب بن سفيان (277هـ).
- المشيخة البغدادية لأبي طاهر أحمد بن محمد السِّلَفي الأصبهاني (576هـ).

10.الأمالي:

والأمالي من الإملاء: وهو تلفظ ما في الحفظ أو الكتاب ليكتبه السامع، وهي طريقة كان يجري عليها أهل العلم قديما في كثير من العلوم سواء الحديث أو الجرح والتعديل أوالتفسير أو الفقه وغيرها، والقصد هنا كتب الأمالي في الأحاديث المسندة وهي أن يعقد المحدث مجلسا يملي فيه جملة من الأحاديث على طلابه سواء في مجلس واحد أو مجالس متفرقة وهو الغالب، ومن أمثلتها:

---

(1) ومما يلحق بالمشيخات الأثبات والفهارس:

والأثبات مفردها ثَبَت بفتح الباء وهي أيضا مصنفات ترتب باعتبار أسماء الشيوخ، لكنها قليلة الأحاديث باعتبار المعاجم، لأنها وضعت أصالة لتراجم الشيوخ، فقد يخرج له حديثا واحدا وقد لايخرج له شيئا، ومن فوائدها ذكر الكتب والمصنفات لمن يترجم لهم، وعامتها متأخرة عن عصور الرواية المتقدمة، وأسانيدها نازلة، وإنما ذكرناها لارتباطها بمعنى المعاجم ونحوها، ومن أمثلتها:

- ثبت أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي آشي (938هـ).

واصطلاح الثبت شائع عند المشارقة وهو عند المغاربة باسم:

البرامج أو الفهارس أوالفهرست:

ومن أمثلة هذا النوع:

- فهرسة ابن خير لأبو بكر محمد بن خير اللمتوني الأموي الإشبيلي (575هـ).
- فهرسة ابن عطية لأبي محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي المحاربي (542هـ)
- برنامج التجيبي للقاسم بن يوسف التجيبي البلنسي السبتي (730هـ).

- الأمالي في آثار الصحابة لأبي بكر عبد الرزاق بن همام اليماني الصنعاني صاحب المصنف (211هـ)، مطبوع [1].
- أمالي الباغندي لأبي بكر محمد بن سليمان الواسطي الباغَندي (283هـ)، مطبوع[2]
- أمالي المحاملي لأبي عبد الله الحسين بن إسماعيل الضبي المحاملي البغدادي (330هـ).

11.الأجزاء الحديثية:

قال الكتاني رحمه الله:"والجزء عندهم تأليف الأحاديث المروية عن رجل واحد من الصحابة أو من بعدهم، وقد يختارون من المطالب المذكورة في صفة الجامع مطلبا جزئيا يصنفون فيه مبسوطا، وفوائد حديثية أيضا، ووحدانيات وثنائيات إلى العشاريات وأربعونيات وثمانونيات والمائة والمائتان وما أشبه ذلك وهي كثيرة جدا"[3]، ومما هو في هذا النوع كتب الفوائد وكتب العوالي، ومن أمثلتها[4]:

(1) وهو مرتب على أبواب فقهية من غير ارتباط بعضها ببعض، فتجد حديثا في التوسيع على المكروب ثم حديثا في أحكام الأطعمة وحديثا في أحكام النساء ثم حديثا في الأطعمة ثم يعود لأحكام النساء وهكذا من غير ترتيب فقهي فهي أمالي متفرقة.

(2) وهو خمسة مجالس.

(3) "الرسالة المستطرفة" (ص86)، ولم يذكر كل الأنواع ويمكن تلخيص أنواعها إجمالا فمنها: ما يجمع أحاديث راو معين كأحاديث شعبة، أو موضوع معين في الفقه أو الزهد أو غيرها، أو الكلام على حديث معين سندا ومتنا كحديث إنما الأعمال بالنيات، أو ما ينتخبه المحدث لمعنى يراه كالأربعين حديثا، ويعد من الأجزاء كتب العوالي وكتب الفوائد.أفاده شيخنا الدكتور نور الدين تومي.

(4) وهناك مجموع نافع في الباب مطبوع باسم: "جمهرة الأجزاء الحديثية" فيه 19 جزءاً حديثياً نادراً، قدم له المحدث عبد القادر الأرناؤوط باعتناء وتخريج: محمد زياد عمر تكلة.

- جزء بكر بن بكار، لأبي عمرو بكر بن بكار القيسي البصري (207هـ)، مطبوع[1].
- جزء القراءة خلف الإمام، الإمام لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (256هـ)، مطبوع[2].
- عوالي مالك، لهشام بن عمار السُّلمي، ويقال: الظفري، أبو الوليد الدمشقي المقرئ (245هـ)، مطبوع[3].
- فوائد الفريابي، لأبي بكر جعفر بن محمد الفِرْيابِي (301هـ)، مطبوع[4].

النوع الثاني: المصنفات المسندة التي صنفت لأغراض أخرى.

وهي كثيرة أيضا وصنفت بالأسانيد لأغراض متعددة من فنون الشريعة من أشهرها: التفسير بالمأثور، والعقيدة المسندة، والمغازي والسير، وعلوم الحديث، وشروح الحديث، والفقه، والغريب، والزهد والرقائق، وفي علم الرجال: كتب العلل، والجرح والتعديل، والتواريخ، والسؤالات، والطبقات، ومعرفة الصحابة، وهذه نبذة عن تلك الأنواع مع التمثيل ببعض المصنفات فيها:

1. كتب التفسير بالمأثور وعلوم القرآن:

فقد صنف بعض أئمة الحديث في التفسير المسند أو ما يعرف بالتفسير بالمأثور[1]:

---

(1) وترتيبه باعتبار أسماء الشيوخ من غير مراعاة لترتيب حروف المعجم، فابتدأ بأحاديث الجراح بن منهال ثم أحاديث مسعر بن كدام وهكذا.

(2) وفيه خمسة أبواب في فقه القراءة خلف الإمام تحت كل باب جملة أحاديث.

(3) لم يراع ترتيبا معينا وأحاديثه قليلة.

(4) ابتدأه بذكر بعض المنهيات عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم أحاديث في أبواب متفرقة.

ومن الأجزاء الحديثية أيضا: جزء فيه أحاديث الحسن بن موسى الأشيب، لأبي علي الحسن بن موسى الأَشيَب البغدادي، القاضي (209هـ) وهو مطبوع، وجزء فيه حديث المصيصي لوين، لأبي جعفر محمد بن سليمان الأسدي المصيصي المعروف بلوين (245هـ)، مطبوع، كتاب الأربعين في فضائل ذكر رب العالمين، لمسافر بن محمد الدمشقي (420هـ)، مطبوع

فائدة: ولبيان أهمية عناية طالب لعلم بهذه المصنفات من الأجزاء والمشيخات والفوائد ونحوها ينظر مثلا كتاب: "الإيماء إلى زوائد الأمالي والأجزاء" و"زوائد الأمالي والفوائد والمعاجم والمشيخات على الكتب الستة والموطأ ومسند الإمام أحمد"، لنبيل سعد الدين سَليم جَرَّار.

فصنف في التفسير كل من:

- ابن ماجة صاحب السنن (273هـ).
- ابن جرير الطبري (310هـ) [2].
- أبو بكر بن المنذر النيسابوري صاحب الإجماع والأوسط (319هـ) [3].

ويعد من المصنفات في هذا الباب بعض ما صنف في علوم القرآن ومن أمثلته:

- كتاب المصاحف، لأبي بكر بن أبي داود، عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (316هـ) صاحب كتاب البعث ابن أبي داود صاحب السنن، وكتابه المصاحف مطبوع.

---

(1) ذكر الأستاذ الدكتور خالد بن عثمان السبت أن أقدم من نسب إليه التصنيف في التفسير هو التابعي الجليل سعيد بن جبير المتوفى (94 أو 95هـ) وذكر أيضا أنه إذا نظرت إلى كثير من الكتب ككتب الجرح والتعديل، وطبقات القراء، وطبقات المفسرين، وكتب التواريخ عموماً كتاريخ بغداد، وتراجم الأعلام كالسير للذهبي، والمعارف لابن قتيبة، وتذكرة الحفاظ، وما شابه هذا، تجدهم ينسبون إلى عدد من السلف كتباً في التفسير مثل مجاهد بن جبر المتوفى(104هـ)، الضحاك بن مزاحم المتوفى (105هـ)، عكرمة مولى ابن عباس (107هـ)، محمد بن كعب القرضي (108هـ). وقيل غير ذلك، الحسن البصري (110هـ)، عطاء بن أبي رباح(114هـ)، وهب بن منبه (114هـ أو 110هـ)، قتادة السدوسي (117هـ)، عطاء بن دينار (126هـ)، إسماعيل السدي (127هـ)، عطاء الخرساني (133هـ)، الربيع بن أنس (134هـ)، زيد بن الأسلم (136هـ)، شبل بن عباس (148هـ)، مقاتل بن حيان (150هـ). سلسلة محاضرات "نظرات في كتب التفسير". للدكتور السبت.

(2) وهو التفسير المقدم المبجل عند أهل العلم، قال الذهبي في "لسان الميزان" (100/5): "محمد بن جرير بن يزيد الطبري الإمام الجليل المفسر أبو جعفر صاحب التصانيف الباهرة "، وقال أبو حامد الإسفراييني الشافعي : "لو سافر رجل إلى الصين حتى يُحصِّل تفسير ابن جرير لم يكن كثيراً " ، وقال النووي: "أجمعت الأمة على أنه لم يُصنف مثل تفسير الطبري"، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأما التفاسير التي في أيدي الناس فأصحها تفسير ابن جرير الطبري، فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة، وليس فيه بدعة، ولا ينقل عن المتهمين".انظر تقريظ الشيخ عبد الله بن عبد المحسن التركي لتحقيق تفسير ابن المنذر.

(3) وهو تفسير قيم لكنه غير مكتمل وقد طبع منه جزء في مجلدين جمعه الدكتور سعد محمد السعد.

وصنف التفسير من الأئمة أيضا كل من: ابن أبي حاتم صاحب كتاب "الجرح والتعديل" (327هـ) وهو مطبوع، أبو الشيخ بن حيان صاحب كتاب "العظمة" (369 هـ)، والحاكم أبو عبد الله النيسابوري صاحب "المستدرك" (405 هـ)، وأبو بكر أحمد بن موسى المعروف بابن مردويه (410 هـ).

- الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن، لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (224هـ)، مطبوع.
- القطع والائتناف[1]،لأبي جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحوي (338هـ)، مطبوع.

ومن اطلع على ما وجد بين أيدينا من هذه التصانيف يعلم أنها حوت في تفسير كتاب الله، وعلوم القرآن على ما وردت به السنة وما جاء عن السلف من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم خاصة التابعين منهم[2].

2.كتب العقيدة المسندة:

وهي الكتب التي جمعت مسائل الإعتقاد وأصول الدين ومسائل الإيمان بالأسانيد إلى النبي صلى الله عليه وسلم مع أقوال السلف في تلك الأبواب[3].

---

(1) ذكر فيه ما يتعلق بالوقف والابتداء في القراءة، وفيه شيء من فضائل القرآن وغير ذلك من الفوائد في علوم القرآن.

(2) ومما صنف كذلك في علوم القرآن من الكتب المسندة: فضائل القرآن، لأبي عبيد أيضا، مطبوع، أحكام القرآن، للقاضي أبي إسحاق إسماعيل بن إسحاق الأزدي البصري ثم البغدادي المالكي الجهضمي (282هـ)، مطبوع، الناسخ والمنسوخ، لأبي جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحوي (338هـ)، مطبوع، أخلاق أهل القرآن، لأبي بكر محمد بن الحسين الآجُرِّيُّ البغدادي (360هـ)، مطبوع.أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (468هـ)، مطبوع.

(3) وإذا أردنا التأريخ لظهور التصنيف في العقيدة المسندة يمكننا القول بأنه مر بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة التدوين العام، ويقصد بها مرحلة تدوين العلم التي مضى الإشارة إليها عموما ومن ذلك مثلا الصحف التي نقلت عن الصحابة ومن بعدهم والتي جمعت العلم من العقائد والأحكام وغيرها من غير تبويب ولا تصنيف.

المرحلة الثانية: والتي تميز فيها العلم بالتبويب والتصنيف الموضوعي أو ترتيب المسانيد بحسب رواة الأحاديث، وشمل ذلك أبواب الاعتقاد كما هو الحال في الجوامع والصحاح والسنن، فتجد فيها أبوابا خاصة بمسائل الاعتقاد كالأسماء والصفات والإيمان والبعث والنشور وغيرها.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "إن كتب الصحاح والسنن والمسانيد هي المشتملة على أحاديث الصفات، بل قد بوب فيها أبواب، مثل كتاب التوحيد والرد على الزنادقة والجهمية، الذي هو آخر كتاب صحيح البخاري، ومثل كتاب الرد على الجهمية في سنن أبي داود، وكتاب النعوت في سنن النسائي، فإن هذه مفردة لجميع أحاديث الصفات، وكذلك قد تضمن كتاب السنة من سنن ابن ماجه ما تضمنه، وكذلك تضمن صحيح مسلم، وجامع الترمذي ، وموطأ مالك، ومسند الشافعي، ومسند أحمد

وقام بعض المحققين بإحصاء كتب العقيدة المسندة التي صنفت حتى نهاية القرن السابع الهجري فبلغ بها قرابة: 330 مصنفا منها الموجود ومنها المفقود[1].

ومن هاته المصنفات المطبوعة:

- رسالة في القدر، للحسن بن أبي الحسن البصري (110هـ).
- القدر وما ورد في ذلك من الآثار، عبد الله بن وهب المصري (179هـ).
- أصول السنة، عبد الله بن زبير الحميدي (219هـ).
- الإيمان ومعالمه وسننه واستكماله ودرجاته، لأبي عبيد القاسم بن سلام (224هـ).
- فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل (241هـ).
- خلق أفعال العباد، محمد بن إسماعيل البخاري (256هـ)[1].

بن حنبل"، ذكر هذا رحمه الله في الأوجه التي ذكرها في سياق رده على من أنكر عليه الكلام في باب الأسماء والصفات في المحنة التي وقعت له رحمه الله حيث ذكر حوالي تسعين وجها في الرد عليهم ومنها الوجه الرابع وهو أن كتب الأئمة عامرة بتلك الأبواب وذكر عددا كبيرا منها وهو مايدل على سعة اطلاعه ومعرفته بالسنة ومصنفاتها.انظر التسعينية: (149/1)

المرحلة الثالثة: وهي مرحلة التصنيف الخاص في العقيدة بإفراد كتبا أو أجزاءً في أبواب الاعتقاد، ومن أوائل من نسب إليه التصنيف في ذلك –سوى الحسن البصري– حماد بن سلمة رحمه الله (167هـ) حيث روى إبراهيم الختلي في كتاب العظمة كان أول من خرج هذه الأحاديث أحاديث الرؤية، وجمعها من البصريين حماد بن سلمة، فقال له بعض إخوانه: يا أبا سلمة لقد سبقت إخوانك بجمع هذه الأحاديث في الوصف، قال: إنه والله ما دعتني نفسي إلى إخراج ذلك إلا أني رأيت العلم يُخْرَج رأيت العلم يُخرج رأيت العلم يُخرج، يقولها ثلاثا وهو ينفض كفه، فأحببت إحياءه وبثه في العامة لئلا يطمع في خروجه أهل الأهواء رواه ابن المحب الصامت في كتاب (صفات رب العالمين): (رقم: 321) وقال: أخرجه أحمد بن الجنيد الختلي في كتاب العظمة بإسناده (وكتاب العظمة مفقود) ، وانظر إبطال التأويلات للقاضي أبي يعلى:(ص50 رقم:20)، وذكره أبو القاسم الأصبهاني المعروف بقوام السنة في كتاب الحجة وبيان المحجة: (476/1).

(1) وهو الشيخ عبد السلام البرجس رحمه الله في كتابه (تدوين العقيدة السلفية). وانظر : مدخل إلى كتب العقيدة المسندة الدكتور احمد بن عبد الرحمن القاضي أستاذ العقيدة بجامعة الإمام محمد بن سعود، وهي دورة علمية مرئية استفدت منها في هذا الباب، الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=Ec2xhLeoZvE، بتاريخ: 2016/04/22.

والمطلع على هاته الكتب في الغالب يجدها جمعت في تقرير المعتقد الصحيح الأحاديث المرفوعة والآثار عن الصحابة وأئمة السنة في القرون الأولى مما حوى علما كثيرا كان الأثر في حفظ المعتقد السليم وبقاءه على مر عصور الأمة رغم المحن والفتن ومحاولات التبديل والتحريف من أهل الأهواء والبدع.

3. كتب المغازي والسير

ويمكن تعريفه بأنه: " هو عَلَم على فن من فنون علم التاريخ من حيث أنه يؤرخ لحياة النبيﷺ ابتداء من إرهاصات بعثته، وأحوال العرب الذين بعث فيهم، وأحداث مولده، وأحوال نشأته، وقصة بعثته، وأخبار دعوته في مكة، وهجرته إلى المدينة، وإقامته للدولة فيها، وغزواته وسيرته، وسياسته مع المسلمين والمحاربين والمعاهدين إلى وفاته ﷺ "[2]

---

(1) ومما صنف من كتب العقيدة المسندة: وصف الفردوس، لعبد الملك بن حبيب السلمي القرطبي (238هـ)، والرد على من يقول القرآن مخلوق، لأحمد بن سليمان النجاد (248هـ)، وما روي في الحوض والكوثر، لبقي بن مخلد (276هـ)، وكتاب الرد على الجهمية، وكتاب النقض على بشر المريسي، لعثمان بن سعيد الدارمي (280هـ)، وكثير من مصنفات ابن أبي الدنيا (281هـ) كالأهوال ، والبعث، وصفة الجنة، وصفة النار وغيرها، والسنة، لعبد الله بن أحمد بن حنبل (290هـ)، والعرش، لمحمد بن عثمان بن أبي شيبة (ت 297هـ)، النعوت، لأحمد بن علي بن شعيب النسائي صاحب السنن (303هـ)، والتوحيد، لإمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة (311هـ)، كتاب الشريعة، وكتاب التصديق بالنظر إلى الله في الآخرة، لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري (360هـ)، والعظمة، لأبي الشيخ الأصبهاني (369هـ)، الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، لعبيد الله بن محمد بن بطة العكبري (378هـ)، أصول السنة، لابن أبي زمنين المالكي (399هـ)، وغيرها الكثير وإنما مثلنا باليسير منها على مدى أربعة قرون وقد مثلت لها أكثر من الأنواع الآنفة الذكر لأهميتها في موضوع البحث.

(2) أنظر "المغازي والسير علماؤها وطبقاتهم" د. حاكم المطيري بحث محكم بمجلة قطاع أصول الدين جامعة الأزهر . القاهرة.
ولأهميته جعله الإمام أبو عبد الله الحاكم فرعا من فروع علم الحديث فقال: "النوع الثامن والأربعون : معرفة مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه وبعوثه وكتبه: هذه النوع من هذه العلوم معرفة مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه وبعوثه، وكتبه إلى ملوك المشركين، وكيف قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم، وكيف أقام الحدود في الغلول، وهذه أنواع من العلوم التي لا يستغني عنها عالم"
وكانت العناية به مبكرة لدى السلف حتى قال ابن عباس رضي الله عنهما: "كنت ألزم الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار فأسألهم عن مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نزل من القرآن في ذلك"

وإذا أردنا التأريخ للتصنيف في هذا الباب فإنه قد بدأ مبكرا في زمن التابعين، وسأسرد أسماء بعض الأئمة الذين اعتنوا بهذا الباب مع ذكر أول من صنف في ذلك:

عروة بن الزبير -رحمه الله- (93هـ) وهو أوَّل من صنف كتاباً في مغازي النبي ﷺ.

قال ابن كثير -رحمه الله-: "كان عروةَ فقيهًا عالِمًا حافظًا ثبتًا حجةً عالِمًا بالسير، وهو أول من صنف في المغازي"[1].

وكان عكرمة مولى ابن عباس -رحمه الله-(105هـ)، من أئمة هذا الشأن ولم يُذكر عنه تصنيف في الباب، قال الطحاوي عنه وعن الزهري: "وعليهما يدور أكثر أخبار المغازي"

وممن صنف فيه أيضا: أبان بن عثمان بن عفان-رحمه الله-(105هـ)، والشعبي-رحمه الله- (103هـ)، ومحمد بن شهاب الزهري -رحمه الله- (123هـ)، موسى بن عقبة -رحمه الله- (141هـ).

ومن مهمات الكتب المطبوعة في هذا الباب:

- سيرة ابن إسحاق (أو كتاب السير والمغازي) لمحمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء المدني (151هـ)
- السيرة النبوية لأبي محمد عبد الملك بن هشام الحميري المعافري (213هـ)
- الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (279هـ)
- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (458هـ)، وفيه يقول الذهبي -رحمه الله-: "عليك به فإنه كله هدى ونور"[1].

وقال علي بن الحسين زين العابدين رحمه الله: "كنا نُعلَّم مغازي النبي صلى الله عليه وسلم كما نعلم السورة من القرآن"

وقال إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص: "كان أبي يعلمنا مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعدها علينا، ويقول: هذه مآثر آبائكم فلا تضيعوا ذكرها"، وقال الزهري: "في علم المغازي علم الآخرة والدنيا"

(1) "البداية والنهاية" (476/12)، وكذلك قال الذهبي أنه أول من صنف في الباب انظر "تاريخ الإسلام" (1139/2)

4. كتب علوم الحديث:

وهي الكتب المصنفة في معرفة علوم الحديث أو ما يعرف بالمصطلح، وكتاب المحدث الفاصل بين الراوي والواعي لأبي محمد الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي الفارسي (360هـ)، وهو أول ماصنف في الباب، وقد جمع مادته مما تفرق في كتب الأئمة قبله مثل تواريخ البخاري الثلاثة والتمييز والمقدمة لمسلم والرسالة والأم للشافعي وغيرها.

- معرفة علوم الحديث، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري المعروف بابن البيع (405هـ)
- الكفاية في علم الرواية.
- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع.

كلاهما لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (463)[2]

والقصد في هذا المبحث الإشارة إلى بعض الكتب التي صنفت في الباب مما أورد فيها أصحابها روايات بأسانيدهم إلى النبي صلى الله علي وسلم ومن بعده[3]

5. كتب شروح الحديث ومختلف الحديث ومشكله:

وشروح الحديث هي شروح السنة المعروفة

---

(1) انظر "الرسالة المستطرفة" (ص105).

(2) قال أبو بكر ابن نقطة (629هـ): "ولا شبهة عند كل لبيب أن المتأخرين من أصحاب الحديث عيال على أبي بكر الخطيب" انظر مقدمة عبد الباري فتح الله السلفي في تحقيق إرشاد طلاب الحقائق إلى معرفة سنن خير الخلائق صلى الله عليه وسلم (56/1)، وقال ابن حجر في "نزهة النظر"(ص48): "قل فن من فنون الحديث إلا وقد صنف فيه كتاباً مفرداً"

(3) وممن صنف في هذا العلم القاضي عياض(544هـ)، والميانجي(580هـ)، وغيرهم حتى جاء الحافظ ابن صلاح أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري المعروف بابن الصلاح (643هـ) في كتابه معرفة أنواع علوم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح، والذي يعد فاصلا بين من قبله ومن بعده ممن صنف في هذا الفن فجمع ما تفرق وحرر أنواع هذا الفن وكل من جاء بعد ذلك إما شارح لكتابه أو ناظم أو معلق أو منكت، كالحافظ ابن حجر وشيخه العراقي وابن كثير والنووي والسيوطي وغيرهم كثير. انظر مقدمة تحقيق كتاب "إرشاد طلاب الحقائق إلى معرفة سنن خير الخلائق صلى الله عليه وسلم" للإمام النووي رحمه الله. تحقيق: عبد الباري فتح الله السلفي.(57/1)

ومشكل الحديث هو: ما لم يظهر المراد منه لمعارضته مع دليل آخر(سواء من القرآن أو السنة أو قياس)، أو مع العقل، ومختلف الحديث هو ما تعارض فيه حديثان-أو أكثر-في الظاهر[1]، ومن الكتب المطبوعة في الباب:

- "اختلاف الحديث"[2]، لأبي عبد الله محمد بن إدريس المطلبي القرشي المكي(203هـ).
- "التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد" و"الاستذكار في معرفة مذاهب علماء الأمصار" كلاهما لأبي عمر عمر يوسف النمري القرطبي المشهور بابن عبد البر(463هـ).
- "شرح مشكل الآثار"، لأبي جعفر أحمد بن محمد الأزدي المصري المعروف بالطحاوي (321هـ)

6. كتب الفقه:

وهي الكتب التي صنفها بعض الأئمة في أبواب الفقه ودعموا ذلك بروايات بأسانيدهم، ومن هذه الكتب:

- كتاب الخراج، لأبي زكرياء يحيى بن آدم بن سليمان القرشي مولاهم، الكوفي الأحول (203هـ)[3].
- الأم للإمام الشافعي أبي عبد الله محمد بن إدريس (204هـ)
- المدونة عن مالك بن أنس الأصبحي المدني (179هـ) لسحنون بن سعيد التنوخي (240هـ)

---

(1) لأنه لا يوجد تعارض حقيقي بين ما هو ثابت محكم من نصوص الوحي قال تعالى: ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾ [سورة النساء: 82].

(2) وقد طبع ملحقا بكتاب "الأم".

(3) وهو مطبوع بتحقيق العلامة أحمد شاكر رحمه الله، صححه وشرحه ووضع فهارسه، وصدر عن المطبعة السلفية بالقاهرة، بعد سنة 1374هـ.

- الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف، لأبي بكر محمد بن إبراهيم النيسابوري المعروف بابن المنذر (319هـ)
- المحلى بالآثار، لأبي محمد بن حزم وهو علي بن أحمد الأندلسي القرطبي الظاهري (456هـ)، وكلها مطبوعة.

7. كتب غريب الحديث:

ومما صنف في ذلك:

- غريب الحديث، لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم الهروي البغدادي (224هـ).
- غريب الحديث، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (276هـ).
- غريب الحديث، لإبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق (285هـ).

8. كتب الزهد والرقائق والآداب والفضائل والأذكار:

مثل:

- مصنفات ابن أبي الدنيا (281هـ) مثل: الزهد، وصفة الجنة، وذم البغي، وقصر الأمل، والتهجد وقيام الليل وغيرها وهي كثيرة.
- الزهد لوكيع بن الجراح (197هـ)، مطبوع.
- فضائل الصحابة، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني(241هـ)، مطبوع.
- روضة العقلاء ونزهة الفضلا، لأبي حاتم بن حبان، صاحب الصحيح(354هـ)، مطبوع.
- أخلاق العلماء، لأبي بكر محمد بن الحسين الآجُرِّيُّ البغدادي(360هـ)، مطبوع.[1]

(1) ومنها "الزهد" لأحمد بن حنبل (241هـ)، مطبوع، و"الزهد" لابن المبارك، و"الزهد" الكبير للبيهقي (458هـ)، مطبوع.

9.فضائل البلدان:

- أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار، لأبي الوليد محمد بن عبد الله الغساني المكي المعروف بالأزرقي (250هـ)، مطبوع.
- تاريخ المدينة لابن شبة، لعمر بن شبة (واسمه زيد) بن عبيدة أبي زيد النميري البصري(262هـ)، مطبوع.
- فضائل المدينة، أبو سعيد المفضل بن محمد بن إبراهيم بن مفضل بن سعيد بن عامر بن شراحيل الشعبي الكوفي ثم الجندي المقرئ (308هـ).
- فضائل البيت المقدس، لأبي بكر محمد بن أحمد بن محمد الواسطي (410هـ).

10.كتب العلل والجرح والتعديل والطبقات والتأريخ:

إذ فيها كثير من الروايات المسندة[1]، لكن أخرت ذكر كتب الطبقات والجرح والتعديل والعلل ونحوها إلى المطلب الثاني وهو كتب الرجال والعلل لأن ذكرها فيه أنسب، باعتبار أنها بنيت في الأساس على سؤالات في العلل والرجال أو لبيان الطبقات والتواريخ ونحو ذلك، وإلا فيمكن ذكرها في هذا الموضع وهو النوع الثاني من الكتب التي تضمنت كثير من الروايات المسندة–خاصة كتب العلل– مع أنها صنفت لمقاصد أخرى، فلما كانت كتب علم الرجال والعلل مطلبا مستقلا في هذا البحث، كان ذكرها فيه أولى والله أعلم.

الفرع الثاني: المصنفات الحديثية الغير المسندة:

لقد تنوعت جهود أهل الحديث بعد عصور الرواية، فكانت لهم جهود عظيمة في خدمة السنة، وابتكروا أنواعا أخرى وطرائق للتصنيف في السنة كان لها الأثر العظيم في تقريب السنة وانتفاع الناس بها، ومن تلك الأنواع:

(1) انظر مثلا "التاريخ الكبير" للبخاري، والعلل الكبير لتلميذه الترمذي رحم الله الجميع، فهذين الكتابين فيهما روايات كثيرة مروية بأسانيدها.

1. كتب الزوائد:

هي الكتب التي يجمع فيها مؤلفوها ما زاد من الأحاديث في بعض الكتب عن أحاديث كتب أخرى، مع ترك الأحاديث المشتركة بين المجموعتين، وهي كثيرة، منها:

- لأبي العباس أحمد بن محمد البوصيري (840هـ) كتابين عظيمين في هذا الباب وهما:

"مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه"، ضمنه زوائد سنن ابن ماجه على الأصول الخمسة.

"إتحاف السادة المهرة بزوائد المسانيد العشرة"، ضمنه ما زاد على الكتب الستة، في هذه العشرة، وهي: (مسند أبي داود الطيالسي، ومسند الحميدي، ومسند مسدد بن مسرهد، ومسند محمد بن يحيى العدني، ومسند إسحاق بن راهويه، ومسند أبي بكر بن أبي شيبة، ومسند أحمد بن منيع، ومسند عبد بن حميد، ومسند الحارث بن محمد بن أبي أسامة ومسند أبي يعلى الموصلي).

- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، للحافظ ابن حجر (852هـ)، ضمنه ما زاد على الكتب الستة في ثمانية مسانيد هي: العشرة السابقة عدا مسندي أبي يعلى وابن راهويه.

وهذه المصنفات رتبت فيها الأحاديث على الأبواب.

2. كتب التخريج:

وهي الكتب التي تعتني بعزو أحاديث كتاب معين إلى مصادره الأصلية من كتب السنة مع بيان درجتها عند الحاجة.

ومن أشهرها:

- نصب الراية لأحاديث الهداية للمرغيناني، ألفه عبد الله بن يوسف الزيلعي (762هـ).
- البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير للرافعي، تأليف عمر بن علي بن الملقن (804هـ).

- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث شرح الوجيز الكبير للرافعي، تأليف الحافظ ابن حجر (852هـ).

وهي مرتبة على الأبواب.

3. كتب الأطراف:

سميت بذلك لأنها جمعت أطراف الأحاديث، وطرف الحديث هو الجزء الدال على بقيته أو العبارة المختصرة الدالة عليه، وهي مرتبة على مسانيد الصحابة رضي الله عنهم، ويقتصر أصحابها على ذكر طرف الحديث الذي يميزه عن غيره، ثم ذكر أسانيده في المصادر التي ترويه بالإسناد، ولا يلتزم المصنف بذكر متن الحديث كله[1].

ومن أشهر كتب الأطراف:

- تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، للحافظ أبي الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي (742هـ). (يشتمل على أطراف الكتب الستة ، ولواحقها وهي: مقدمة صحيح مسلم ، والمراسيل لأبي داود السجستاني، والعلل الصغير والشمائل للترمذي، وعمل اليوم والليلة للنسائي) [2].
- ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الحديث، للشيخ عبد الغني النابلسي (1143هـ)،

---

(1) ومن فوائد كتب الأطراف" جمع أسانيد الحديث في موضع واحد ، مما يساعد على بحثه ودراسته والحكم عليه، معرفة مصادر الحديث الأصلية ومواضعه فيها، معرفة عدد أحاديث الصحابي في الكتب التي ضمنها صاحب الأطراف في كتابه.

(2) وهو مرتب على أسماء الصحابة بحسب حروف المعجم، وإذا كثرت مرويات الصحابي فإنه يرتبها بحسب من روى عنه من التابعين على حروف المعجم أيضاً، وبلغت مسانيد الصحابة فيه 905، وبلغت المراسيل المنسوبة إلى أئمة التابعين ومن بعدهم 400؛ وقد جعل رحمه الله رموزا للكتب التي يعزو إليها الحديث وهي: خ: للبخاري، م: لمسلم، د: لأبي داود، س: للنسائي، تَ: للترمذي، ق: لابن ماجة، خت: لما رواه البخاري تعليقا، مد: أبو داود في المراسيل، تم: للترمذي في الشمائل، سي: للنسائي في عمل اليوم والليلة، زَ: لما زاده المصنف من الكلام على الأحاديث، ك: لما استدركه على ابن عساكر، عَ: لما رواه أصحاب الكتب الستة.

جمع فيه أطراف الكتب الستة وموطأ مالك[1].

وكلا الكتابين مرتب على مسانيد الصحابة بحسب حروف المعجم.

4.المجامع الحديثية:

وهي مصنفات جمعت أحاديث مصادر حديثية متعددة في مصنف مستقل، ومن أشهر ما رتبت أحاديثه على الأبواب:

- الجمع بين الأصول الستة [2] المسمى "التجريد للصحاح والسنن" لأبي الحسن رزين بن معاوية الأندلسي العبدري (535هـ).
- جامع الأصول من أحاديث الرسول لابن الأثير المبارك بن محمد الجزري (606هـ)، جمع فيه أحاديث الصحيحين والموطأ، وسنن أبي داود والترمذي والنسائي.

الجمع بين الصحيحين المسمى: "مشارق الأنوار النبوية من صحاح الأخبار المصطفوية"، للحسن بن محمد الصاغاني(650هـ).

- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للشيخ على بن حسام المتقي الهندي (975هـ)، وقد جمع أحاديث 93 من كتب السنة ولواحقها.

جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد لمحمد بن محمد بن سليمان المغربي (1094هـ)، جمع فيه أحاديث أربعة عشر مصنفاً، هي: الصحيحان والموطأ

---

(1) وكتابه هذا مقسم على سبعة أبواب تيسيراً لوصول إلى فوائده: مسانيد الرجال من الصحابة، ومسانيد من اشتهر منهم بالكنية، ومسانيد المبهمين من الرجال، مسانيد الصحابيات، من اشتهر منهن بالكنية، المبهمات من الصحابيات، والمراسيل.

(2) وهي الصحيحان وسنن أبي داود والنسائي والترمذي والموطأ، وقد اختلف أهل العلم في سادس الكتب الستة فمنهم من جعل الموطأ لعلو أسانيده وجلالة قدره وعلى ذلك جرى عمل رزين العبدري وابن الأثير، وهناك من قدم الدارمي كالعلائي ومغلطاي، والأغلب جعلوا سنن ابن ماجة لكثرة زوائده وأول من جعله السادس أبو الفضل ابن طاهر المقدسي في شروط الأئمة الستة وتبعه على ذلك كثير من الأئمة.

والسنن الأربعة ومسند الدارمي ومسند أحمد ومسند أبي يعلى ومسند البزار ومعاجم الطبراني الثلاثة.

ومنها ما رتب على حروف المعجم من أوائل الأحاديث:

- الجامع الكبير أو جمع الجوامع، للإمام السيوطي (911هـ)، وهو أصل كتاب كنز العمال المتقدم قريباً.
- الجامع الصغير لأحاديث البشير النذير للسيوطي أيضاً، اقتبسه من الجامع الكبير، وضمنه 10031 حديثاً[1].
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي الأشقودري الألباني (1420هـ).

5. كتب الأحاديث المشتهرة:

وهي التي تعنى بجمع ما اشتهر عند فئة من الناس، كالفقهاء وأهل اللغة والعامة وغيرهم، وليس المقصود الشهرة بالمعنى الاصطلاحي في علوم الحديث، ومن أشهرها:

- اللآلي المنثورة في الأحاديث المشهورة مما ألفه الطبع وليس له أصل في الشرع للحافظ ابن حجر (852هـ)، مطبوع.
- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي (902هـ)، مطبوع وهو من أفضل كتب الباب.
- الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة، للسيوطي (911هـ)، مطبوع.
- التذكرة في الأحاديث المشتهرة، لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي(974هـ)
- إتقان ما يحسن من الأحاديث الدائرة على الألسن لنجم الدين محمد بن محمد الغزي(985هـ)، مطبوع.

(1) وهو الذي قام بتخريجه وتمييز صحيحه من ضعيفه الشيخ الألباني رحمه الله، فاشتهر الكتاب وكثر الانتفاع به.

- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، لإسماعيل ابن محمد العجلوني (1162هـ)، مطبوع وهو من أفضلها.

6. كتب الأحاديث الموضوعة والضعيفة:

- الموضوعات، لجمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (597هـ)
- اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، لجلال الدين السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر (911هـ)
- تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة، لابن عرَّاق نور الدين، علي بن محمد الكناني (963هـ)
- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (1420هـ)

7. كتب أحاديث الأحكام:

والمقصود بها الكتب التي جمعت أحاديث الأحكام التي ألفها أصحابُها محذوفةَ الأسانيد بعد عصر الرِّواية مرتبة على أبواب الفِقه[1].

وهي كثيرة جدا، ومن أشهرها:

- الأحكام الوسطى، للحافظ أبي محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الأزدي الإشبيلي البجائي، ويعرف بابن الخراط(581هـ).

---

(1) مما أفدناه من"محاضرات أحاديث الأحكام" لشيخنا الدكتور نور الدين تومي-حفظه الله ونفع به-، ومنها: "المنتقى من أخبار المصطفى"، أو"منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار" للعلامة مُد الدين أبي البركات عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحراني الحنبلي(592هـ)، "المحرر في الحديث" للحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامة المقدسي الحنبلي(744هـ)، و"السُّنن والأحكام عن المصطفى عليه السَّلام"، ويُعرف :ب"أحكام الضياء"، للإمام الحافظ ضياء الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الواحد السعدي المقدسي الجماعيلي الحنبلي(543هـ).

وقد أفادنا شيخنا الدكتور تومي أن المصنفات في أحاديث الأحكام الغير مسندة منها ما جرد أحاديث الأحكام كالمنتقى للمجد والعمدة للمقدسي، ومنها ما أدخل معها أبوابا أخرى مثل العقائد والزهد وغيرها مثل الأحكام الكبرى والوسطى والصغرى للاشبيلي.

- عمدة الأحكام الصُّغرى، وعمدة الأحكام الكبرى، كلاهما للحافظ تقي الدين أبي محمد عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي(600هـ).
- الإلمام بأحاديث الأحكام، للحافظ تقي الدين أبي الفتح محمد بن علي المعروف بابن دقيق العيد المالكي الشافعي(712هـ).
- بلوغ المرام في أحاديث الأحكام، للحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني(852هـ).

8.كتب أسباب ورود الحديث:

- اللمع في أسباب ورود الحديث، للسيوطي (911هـ).
- البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف، لإبراهيم بن محمد برهان الدين ابن حَمْزَة الحُسَيْني الحنفي الدمشقيّ (1120هـ).

9.كتب جردت آثار السلف:

وقد وُجدت في عصرنا هذا جهود طيبة نافعة في مصنفات اعتنت بتجريد آثار السلف من الصحابة فمن بعدهم، وتصنيفها باعتبارات مختلفة، إما باعتبار موضوعها، أو منسوبة لبعض أئمة السلف، أو من خلال بعض الأئمة المصنفين المكثرين من روايتها ومن أمثلة ذلك:

- سلسلة الآثار الصحيحة أو الصحيح المسند من أقوال الصحابة والتابعين، لأبي عبد الله الداني بن منير آل زهوي.
- الآثار المروية في صفة المعية، محمد بن خليفة بن علي التميمي.
- ما صح من آثار الصحابة في الفقه، زكريا بن غلام قادر الباكستاني.
- الآثار المروية عن أئمة السلف في العقيدة من خلال كتب ابن أبي الدنيا (جمعًا ودراسة)، للدكتور حميد بن أحمد نعيجات.
- الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة، حياة بن محمد بن جبريل.

المطلب الثاني: المصنفات في علم الرجال.

قال الشيخ محمد بن مطر الزهراني –رحمه الله–: "وكان ظهور علم الرجال نتيجة لتطور استعمال الإسناد وانتشاره وكثرة السؤال عنه، وكلما تقادم الزمن كثرت الوسائط في الأسانيد وطالت، احتيج إلى بيان أحوال تلك الوسائط والتمييز بينها ولاسيما مع ظهور البدع والأهواء وكثرة أصحابها، لذلك نشأ علم الرجال الذي هو ميزة لهذه الأمة على سائر الأمم.

وقد جاء التأليف فيه متأخر عن تدوين الأحاديث ولم تظهر كتب الرجال–فيما وقفت عليه– إلا من بعد منتصف القرن الثاني الهجري، وأقدم ما وقفت على ذكره من هذه الكتب: كتاب "التأريخ" تأليف الليث بن سعد(175هـ)، و "التأريخ" للإمام عبد الله بن المبارك (181هـ)، وذكر الإمام الذهبي: أن للوليد بن مسلم (195هـ) كتاباً في تاريخ الرجال ، ثم تتابع التأليف في ذلك"[1].

قال العلامة المعلمي –رحمه الله–: "فأمّا التأليف في أحوال الرجال؛ فإنّه تأخر قليلًا، وقد ذكر ابن النديم، أنّ لِلَّيث بن سعد (175هـ) "تاريخًا"، وأنّ لابن المبارك (181هـ) "تاريخًا"، وقال الذهبي في ترجمة الوليد بن مسلم الدّمشقي (195هـ): "صنّف التصانيف والتواريخ.

ثمّ ألّف ابن معين وابن المديني وغيرهما؛ واتّسع التأليف جدًّا.

ولكن في القرن العاشر وهَلُمّ جرًّا تقاصرت الهمم، وهُجِرَ علم الرجال، فقلَّ من بقي يعتني بقراءة كتب الرجال أو نسخها أو نشرها"[2].

ومن أنواع المصنفات في علم الرجال: كتب الطبقات والتراجم وكتب العلل وكتب الجرح والتعديل وكتب السؤالات وكتب التواريخ وكتب معرفة الصحابة.

وسأذكر لمحة عن بعض أهم أنواع كتب هذا العلم مع التمثيل لكل نوع منها بأشهرها:

---

(1) "علم الرجال نشأته وتطوره" (ص26)

(2) "محاضرة في علم الرجال وأهميته ضمن آثار المعلمي" (240/15)، ونص كلام الذهبي في "تذكرة الحفاظ" (221/1) قال: "صنف التصانيف والتواريخ وعنى بهذا الشأن أتم عناية".اهـ

1. كتب الطبقات:

فالطبقة في هذا الباب هي: قوم تقاربوا في السن، واشتركوا في الأخذ عن الشيوخ بأن يكون شيوخ هذا هم شيوخ الآخر، أو يقاربوا شيوخه[1].

وأساس هذا الفكرة الترجمة لفئة من الأعلام والرواة والأشخاص الذين يتفقون في جانب من الجوانب سواء السن والعمر أو الشيوخ ونحو ذلك[2].

وهذا النوع من التصنيف قد ظهر مبكرا وهو فكرة إسلامية محضة، بدأت منذ مطلع القرن الثاني الهجري وتطورت وصنفت فيها المصنفات الكثيرة عبر قرون الأمة اللاحقة.

---

(1) "الوسيط في علوم ومصطلح الحديث"، لمحمد أبو شهبة بتصرف (ص648). بتصرف

(2) ولهذا الأمر أهميته الكبيرة في علم النقد والجرح والتعديل.

قال العراقي رحمه الله: "ومن المهمات معرفة طبقات الرواة، فإنه قد يتفق اسمان في اللفظ فيظن أن أحدهما الآخر فيتميز ذلك بمعرفة طبقتهما إن كانا من طبقتين، فإن كانا من طبقة واحدة فربما أشكل الأمر، وربما عرف ذلك بمن فوقه أو دونه من الرواة، فربما كان أحد المتفقين في الاسم لا يروي عمن روى عنه الآخر، فإن اشتركا في الراوي الأعلى وفيمن روى عنهما فالإشكال حينئذ أشد، وإنما يميز ذلك أهل الحفظ والمعرفة، ويعرف كون الراويين أو الرواة من طبقة واحدة بتقاربهم في السن وفي الشيوخ الآخذين عنهم، إما بكون شيوخ هذا هم شيوخ هذا أو تقارب شيوخ هذا من شيوخ هذا في الأخذ، وبسبب الجهل بمعرفة الطبقات غلط غير واحد من المصنفين، فربما ظن راوياً راوياً آخر غيره، وربما أدخل راوياً في غير طبقته" "شرح التبصرة والتذكرة ألفية العراقي" (342/2)

قال حفص بن غياث القاضي: "إِذَا اتَّهَمْتُمْ الشَّيْخَ فَحَاسِبُوهُ بِالسِّنِينَ" الخطيب في الكفاية: (ص119)

ومما يذكر في التطبيق العملي لذلك ما جاء عن عُفَير بن مَعْدان أنّ عمر بن موسى بن وجيه حدّث عن خالد بن مَعْدان، قال عُفير: فقلت له: في أيّ سنة لقيته؟ قال: في سنة ثمان وخمسين ومائة، في غزاة إرْمِينِيَّة. قلت: اتق الله يا شيخ، لا تكذب! مات خالد سنة أربع وخمسين ومائة، أزيدك أنّه لم يغز إرْمينية!" "الجرح والتعديل" (138/1)، و"الكفاية" (ص119) مع اختلاف الروايات في سنة وفاة خالد بن معدان.

وقال سفيان الثوري: "لَمَّا اسْتَعْمَلَ الرُّوَاةُ الكَذِبَ اسْتَعْمَلْنَا لَهُمْ التَّوَارِيخَ" "تاريخ أسماء الضعفاء والكذابين"، لابن شاهين: (ص41).

فجعل علماء الحديث هذه الوسيلة أداة لكشف صدق الرواة في لقاء الشيوخ والسماع منهم.

وأقدم من نسب إليه التأليف في هذا الفن الواقدي (207هـ)، وكتابه الطبقات مفقود إلا أنه بقي لنا ما صنفه تلميذه وهو:

- الطبقات الكبرى لأبي عبد الله محمد بن سعد الهاشمي مولاهم البصري(230هـ)[1].

وممن صنف في الطبقات:

- علي بن المديني (234هـ).
- خليفة بن خياط الشيباني البصري (240هـ).
- ومسلم (261هـ).

ومن كتب الطبقات:

- تاريخ واسط بحشل الواسطي (292هـ).

---

(1) وكتابه أشهر وأقدم كتاب فيما بين أيدينا ويعد ثروة علمية قيمة لما حواه من تراجم بلغت حوالي الثلاثة آلاف ترجمة، وفيه ثروة ثقافية وصور لكثير من حياة الجاهلية والإسلام.

"كما يعدّ كذلك من أوسع الكتب فى هذا المجال وأحفلها وأدقها، فقد أتيح لابن سعد فرصة الاطلاع على ما سبقه من كتب الأنساب والرجال والتاريخ والتراجم ونحوها، فاستطاع أن يعتصرها جميعًا ليستخلص منها هذه الصورة المتكاملة المترابطة، وقد ظل ابن سعد من ألمع الوجوه الفكرية فى عصره والعصور التى تلته حيث اعتمد عليه المؤرخون اللاحقون فى كتاباتهم كالمزى والذهبى وابن كثير وابن حجر والسيوطى وغيرهم، وابن سعد يخصص جزءين من طبقاته لسيرة الرسول –صلى اللَّه عليه وسلم– وباقى أجزاء الكتاب ترجمة للصحابة والتابعين، والجزء الأخير من كتابه خصصه للنساء" انظر "مقدمة الدكتور علي محمد عمر، في تحقيق الطبقات الكبير" (5/1)

وقد قسم ابن سعد طبقاته بحسب لقائهم للشيوخ بصورة دقيقة، فمثلاً من لقي كبار الصحابة من التابعين يعد طبقة أولى، ومن لقي من دونهم يعد طبقة ثانية، ومن لقي صغارهم يعد طبقة ثالثة، وهكذا، وعلى هذا النحو سار خليفة بن خياط (240هـ) في "طبقاته"، والحاكم (430هـ) في "معرفة علوم الحديث".

بينما جعل آخرون –ممن صنف في الطبقات– الرواةَ على أربع طبقات: الصحابة، التابعون، أتباع التابعين، تبع الأتباع، كما هو الشأن عند بحشل الواسطي (292هـ) في تاريخ واسط، وابن حبان (354هـ) في الثقات ومشاهير علماء الأمصار.

وتطور استعمال الطبقات عند الحدثين إلى معان أخرى كالفضل والسابقة كما في الصحابة أو الحال والمنزلة، وكل ذلك يشمله معنى الطبقات. انظر "علم الرجال نشأته وتطوره" بتصرف (ص43)

- الثقات ومشاهير علماء الأمصار ابن حبان (354هـ).
- طبقات المحدثين بأصبهان لأبي الشيخ (369هـ).

2. كتب الجرح والتعديل والعلل:

وعلم الجرح والتعديل هو: "علمٌ يتعلق ببيان مراتب الرواة من حيث تضعيفهم أو توثيقهم بتعابير فنية متعارف عليها عند علماء الحديث، وهي دقيقة الصياغة ومحددة الدَّلالة مما له أهمية في نقد إسناد الحديث"[1]

وكتب العلل هي مصنفات يورد أصحابها الأحاديث المعلولة مع بيان عللها.

قد مر معنا الإشارة إلى نشأة هذا العلم، وأن أصله مستمد من الكتاب والسنة، ثم جريان العمل به في القرون المفضلة من الصحابة فمن بعدهم، إلى أن استقر في المصنفات التي اعتنت بجمع كلام أئمة هذا الشأن فيه، فليس كل أحد يقبل كلامه في هذا الباب الذي يفتقر إلى العلم والورع والمعرفة التامة بموجبات الجرح وشروط التعديل ونحو ذلك[2].

---

(1) انظر "بحوث في تاريخ السنة المشرفة"، لأكرم ضياء العمري: (ص83)، و"علم الرجال" للشيخ الزهراني: (ص115)
فائدة: وكان أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (430هـ) صاحب السبق في جمع قواعد متفرقة من هذا العلم في كتابه معرفة علوم الحديث وجعلها نوعا مستقلا من أنواع علوم الحديث، قال رحمه الله: "ذِكْرُ النَّوْعِ الثَّامِنَ عَشَرَ مِنْ عُلُومِ الْحَدِيثِ هَذَا النَّوْعُ مِنْ عِلْمِ الْحَدِيثِ مَعْرِفَةُ الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ..." ."معرفة علوم الحديث" (ص52)، وتتابع العلماء بعده في تصنيفهم في علوم الحديث على ذكر هذه القواعد وفصلوا فيها.

(2) قال الإمام الذهبي رحمه الله: "والكلام في الرواة يحتاج إلى ورعٍ تامٍّ، وبراءةٍ من الهوى والميل، وخبرةٍ كاملةٍ بالحديث وعلله ورجاله". "الموقظة" (ص82)
قال المعَلَّمي: "ليس نقْد الرُّواة بالأمر الهيِّن؛ فإنَّ الناقد لا بدَّ أن يكون واسعَ الاطلاع على الأخبار المروية، عارفًا بأحوال السابقين وطُرق الرواية، خبيرًا بعوائد الرواة ومقاصدهم وأغراضهم، وبالأسباب الداعية إلى التساهل والكَذِب، والموقعة في الخطأ، ثم يحتاج إلى أن يعرفَ أحوال الرواي متى وُلِد؟ وبأيِّ بلد؟ وكيف هو في الدِّين والأمانة، والعقل والمروءة؟ ومع مَن سَمِع؟ وكيف كتابُه؟ ثم يعرِف أحوالَ الشيوخ الذين يُحدِّث عنهم، وبلدانهم، ووفياتهم، وأوقات تحديثهم، وعاداتهم في الحديث، ثم يعرف مروياتِ الناس عنهم، ويعرض عليها مرويات هذا الراوي ويعتبر بها، إلى غير ذلك مما يطول شرْحُه، ويكون مع ذلك متيقظًا مرهف الفَهْم، دقيق الفِطنة، مالكًا لنفسه، لا يستميله الهوى ولا يستفزُّه الغضب، ولا يستخفُّه بادر ظنّ، حتى يستوفيَ

أما ما يتعلق بما صنف من كتب الجرح والتعديل، فيمكن تلخيص أنواعها في ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الكتب التي جمعت بين الثقات والضعفاء: وهي كثيرة منها:

- (الطبقات الكبرى) لمحمد بن سعد (230هـ).
- (التاريخ) منهم: يحي ابن معين (233هـ).
- التواريخ الثلاثة للإمام البخاري (256هـ) وغيرهم[1].
- (المعرفة والتاريخ) ليعقوب بن سفيان الفسوي (277هـ).
- الجرح والتعديل، لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (327هـ)[2].
- (التعديل والتجريح لمن أخرج له البخاري في الجامع الصحيح) لأبي الوليد الباجي (474هـ) وغيرها كثير.

القسم الثاني: مصنفات خاصة في الضعفاء:

- (الضعفاء) علي بن المديني(234هـ)[3].
- (الضعفاء والمتروكون) أبو زرعة الرازي (264هـ)[4].

النظر، ويبلغ المقرّ، ثم يحسن التطبيق في حُكمه، فلا يجاوز ولا يقصِّر، وهذه مرتبة بعيدة المرام، عزيزة المنال، لم يبلغْها إلاَّ الأفذاذ" انظر "مقدمة تحقيقه للجرح والتعديل" (112/25)

فأهل العلم من أهل السنة كانوا يتكلمون في هذا الباب ديانة وحسبة لا تشهيا وتشفيا، قال أبو بكر محمد بن خلاد الباهلي (240هـ): "قلت ليحيى بن سعيد القطان: أما تخشى أن يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خصماءَك عند الله يوم القيامة فقال: لئن يكونوا خصمائي أحب إليَّ من أن يكون خصمي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لي: لِمَ لَمْ تَذُبَّ الكَذِبَ عن حَدِيثِي". "الكفاية" (ص44)

(1) صنف جماعة من الأئمة التاريخ منهم أبو بكر بن أبي شيبة (235هـ)، خليفة بن خياط (239هـ)، عمرو بن علي الفلاس (249هـ).

(2) قال الحافظ رحمه الله في "لسان الميزان" (432/3): "الحافظ الثبت ابن الحافظ الثبت..وكان ممن جمع علو الرواية ومعرفة الفن وله الكتب النافعة ككتاب الجرح والتعديل والتفسير الكبير وكتاب العلل..."

(3) وصنف في "الضعفاء" أيضا جماعة منهم: العقيلي (322هـ)، أبو نعيم الأصبهاني (430هـ) وغيرهم كثير.

(4) وصنف في "الضعفاء والمتروكين" جماعة منهم: الإمام النسائي (303هـ)، الداراقطني (385هـ) وغيرهم.

- (أحوال الرجال) لأبي إسحاق الجوزجاني (259هـ).
- (الكامل في ضعفاء الرجال) لابن عدي (365هـ).

وغيرها كثير.

القسم الثالث: مصنفات خاصة بالثقات:

- (الثقات والمتثبتون) لابن المديني (234هـ).
- (الثقات): العجلي (261هـ)، وابن حبان البستي (354هـ) وغيرهم.
- (تاريخ أسماء الثقات) لأبي حفص ابن شاهين (385هـ).

3.المصنفات الخاصة بالعلل:

- (العلل)، علي بن عبد الله المديني، البصري، أبو الحسن (234هـ).
- (العلل ومعرفة الرجال) للإمام أحمد (241هـ).
- (العلل الصغير)و(الكبير)، كلاهما للإمام أبي عيسى الترمذي (279هـ).
- (العلل) لابن أبي حاتم، وهو أبو محمد عبد الرحمن بن محمد التميمي، الحنظلي، الرازي(327هـ) [1].

4.المصنفات في معرفة الصحابة رضي الله عنهم:

أقدم من نسب إليه كتابا في الصحابة: أبو عبيدة معمر بن المثنى (208هـ).

ومن أشهر الكتب في معرفة الصحابة:

- (الصحابة) أبو زرعة الرازي (264هـ) [2].

---

(1) جاء في مقدمة تحقيق فريق من الباحثين بإشراف وعناية د/ سعد بن عبد الله الحميد و د/ خالد بن عبد الرحمن الجريسي: "وقد صنفت فيه مصنفات عديدة، من أهمها "كتاب العلل" لأبي محمد عبد الرحمن ابن أبي حاتم الرازي (ت327هـ) ، الذي جمع فيه كلام أبيه وأبي زرعة في تعليل الأحاديث، مع زيادة كلام بعض الأئمة الآخرين – على قلته – وربما أدلى هو بدلوه في الكلام في هذه العلل أحيانا" "العلل" (6/1)

(2) صنف كتابا باسم "الصحابة" كل من: أبو حاتم الرازي (277هـ)، العقيلي (322هـ)، ابن حبان (354هـ)، ابن شاهين (385هـ) وغيرهم

- (معرفة الصحابة) ابن منده (395هـ)[1].
- الإستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر يوسف بن عبد الله المشهور بابن عبد البر (436هـ)
- الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر العسقلاني (852هـ).

وهناك كتب يوجد فيها تراجم الصحابة مع غيرهم مثل: الطبقات الكبرى لابن سعد وقد مضى الإشارة إليه، والتاريخ الكبير للإمام البخاري، والمعرفة والتاريخ للفسوي (277هـ)، وقد مضى ذكرها وغيرها.

5.مصنفات في رجال كتب مخصوصة:

وقد صنف في هذا النوع كتب تناولت رجال كتب مفردة مثل:

- رجال الموطأ، وتسمية من روى الموطأ عن مالك كلاهما لأبي محمد هبة الله بن أحمد المعروف بابن الأكفاني (524هـ).
- التعديل والتجريح لمن روى عنه البخاري في الصحيح لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي (474هـ).
- رجال صحيح الإمام مسلم لأبي بكر أحمد بن علي بن منجويه الأصبهاني (428هـ).

ومنها ما صنف في الجمع بين رجال عدة كتب منها:

- تسمية من أخرجهم الإمامان البخاري ومسلم وما انفرد به كل واحد منهما لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم (405هـ).
- الكمال في معرفة أسماء الرجال لأبي محمد عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي الجماعيلي (600هـ)[2].

---

(1) وممن صنف "معرفة الصحابة" أبو نعيم الأصبهاني (430هـ) وغيره.

(2) وهو كتاب جمع فيه مصنفه بين رجال الكتب الستة، وقد اعتنى بعض الأئمة بعده بكتابه هذا فكانت السلسلة العظيمة النفيسة المتعلقة برجال أصحاب الكتب الستة، فكان "تهذيب الكمال في أسماء الرجال" للحافظ المزي (742هـ)، وقد بين رحمه الله مقصده في تهذيبه:

ثم كان تهذيب الكمال محل عناية الأئمة بعده في كتب عم نفعها وعلا شأنها منها:

- (تهذيب التهذيب، والكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، والمجرد من تهذيب الكمال، والمقتضب من تهذيب الكمال للمزي) لتلميذه الذهبي (748هـ)[1].
- (تهذيب التهذيب، وتقريب التهذيب)، للحافظ أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي الشهير بابن حجر (852هـ)[2].

وهناك أئمة قبل الحافظ قبل الحافظ ابن حجر اعتنوا بكتاب المزي وقبله الكمال للمقدسي، وبعده أيضا، وإنما أردت التمثيل بالمهم منها والله أعلم.

6. كتب التواريخ المحلية

وهذا النوع يتناول معرفة أوطان الرواة وبلدانهم والأمصار التي رحلوا إليها وهذا من أنواع علوم الحديث التي اعتنى بها أئمة الحديث فيجمعون تراجم وأخبار علماء بلده[3].

قال النووي (676هـ) النوع الخامس والستون: معرفة أوطان الرواة وبلدانهم[4].

وهو أنه حصل له فيه إغفال وإخلال فأراد إصلاح ما وقع فيه من الوهم والإغفال، وأستدراك ما حصل فيه من النقص والإخلال، وبين أنه أضاف إلى ذلك رجال أصحاب الكتب الستة الواردة رواياتهم في مصنفاتهم الأخرى لتتميم الفائدة فكانه عمله هذا عملا جليلا، وبلغ بالرواة زيادة على ألف وسبعمائة اسم من الرجال والنساء. منقول بتصرف من "تهذيب الكمال" (1/ 148)

(1) ولكل كتاب منها مغزى وفوائد تميزه، وله فيها زيادات وفوائد ونكات تدل على تبحره رحمه الله.

(2) ويمكننا القول أن هذين الكتابين العظيمين هما ثمرة لجهود عظيمة متتابعة لعدة أئمة، ومن تراث الحافظ ابن حجر الذي تميز به ويدل على رسوخ قدمه في هذا العلم.

(3) "علم الرجال نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع" للشيخ الزهراني: (ص169)

(4) "التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث" (ص122)، أما عن تاريخ ظهورها فقد قال الشيخ أكرم ضياء العمري: "كانت المصنفات الأولى في الرجال شاملة لا تقتصر على رجال مدينة واحدة ثم ظهر في النصف الثاني من القرن الثالث الاهتمام بالتصنيف في رجال المدينة الواحدة، ومن الطبيعي أن يكون المصنف في رجال المدينة من سكانها أنفسهم، ولا شك أن العالم من ابناء المدينة يكون ذا معرفة برجالها لاختلاطه بالمعاصرين له ونقله عن تلاميذ الذين سبقوه منهم، وهذا يجعله قادا على التعريف برجال الحديث في بلده أكثر من غيره، ولذلك فإن التواريخ المحلية غالبا ما تكون أدق في

ومن أمثلة هاته المصنفات:

من أوائل ما صنف في ذلك:

- (تاريخ مكة) لأبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد الأزرقي.
- وتاريخ مكة لمحمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي، وكلاهما كان في القرن الثالث.

تاريخ قزوين لأبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني صاحب "السنن" (273هـ).

تاريخ واسط لأبي الحسن أسلم بن سهل المعروف ببحشل الواسطي (292هـ).

طبقات علماء أفريقيا وتونس لأبي العرب محمد بن تميم القيرواني (333هـ).

تاريخ نيسابور لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم (405هـ).

تاريخ بغداد لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي (463هـ)[1].

7. كتب الوفيات:

ظهرت المصنفات الخاصة في الوفيات منذ أواخر القرن الثالث الهجري، وإلا فقد كانت العناية بسني الوفيات مبثوثة في كتب معرفة الصحابة والجرح والتعديل والطبقات وغيرها من كتب الرجال[2].

ولأهميته قال السخاوي –رحمه الله–: " يتبين به ما في السند من انقطاع أو عضل أو تدليس أو إرسال ظاهر أو خفي للوقوف به على أن الراوي مثلا لم يعاصر من روى عنه أو عاصره، ولكن لم يلقه ; لكونه في غير بلده وهو لم يرحل إليها، مع كونه ليست له منه إجازة أو نحوها، وكون الراوي عن بعض المختلطين، سمع منه قبل اختلاطه، ونحو ذلك"[3].

معلوماتها عن علماء البلدة من المصنفات الشاملة في الرجال وقد اعتبر التعرف على شيوخ البلدة ورواياتهم من أول ما تجب معرفته على طالب الحديث في ذلك البلد" "بحوث في تاريخ السنة المشرفة" (ص142).

(1) ومما صُنف في ذلك "التاريخ في رجال الحديث في مرو" لأبي علي محمد بن علي بن حمزة الفراهيناني(247هـ)، "أخبار مرو" لأبي الحسن أحمد بن سيار بن أيوب المروزي (268هـ)، "تاريخ بخارى" لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان البخاري المعروف بغنجار (412هـ)، "تاريخ أصبهان" لأبي القاسم عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق بن منده (470هـ).

(2) انظر المصدر السابق: (ص138)

(3) "فتح المغيث" (309/4)

قال الشيخ العمري –رحمه الله–: "وكثيرا ما افتضح الكذابون بسبب ضبط النقاد لسني الوفيات ومحاسبتهم بها"[1]، ومن المصنفات في ذلك:

- الوفيات، لعبد الباقي بن قانع البغدادي (351هـ).
- تأريخ موالد العلماء ووفياتهم، لمحمد بن عبد الله بن زبر الربعي الدمشقي (379هـ).
- السابق واللاحق في تباعد ما بين وفاة الراويين عن شيخ واحد، للخطيب البغدادي (463هـ).
- الوفيات لأبي القاسم عبد الرحمن بن منده (470هـ) وغيرها.

8.معاجم الشيوخ:

وقد مضى الإشارة إلى هذا النوع في كتب المتون لمناسبتها لذلك لغلبة المتون على الرجال فيها

قال شيخنا محمد مطر الزهراني –رحمه الله–: "وجُلّ كتب معاجم الشيوخ لم يترجم أصحابُها للشيوخ المذكورين فيها وإنما يذكر اسم الشيخ وكنيته ونسبه ونسبته ثم يسوق من طريقه حديثاً أو حديثين"[2]

وإن هناك معاجم للشيوخ متأخرة اعتنت بذكر شيء من الترجمة للرواة، قبل ذكر مروياته، مثل:

- المنتخب من معجم شيوخ السمعاني، لعبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد (562هـ)، فإنه يذكر أحوال كثير من الشيوخ ودرجاتهم.

ومن الكتب المعاصرة في ذلك:

- معجم شيوخ الطبري الذين روى عنهم في كتبه المسندة المطبوعة، لأكرم بن محمد زيادة الفالوجي الأثري.

9.كتب متعلقة بأسماء الرواة وكناهم وألقابهم، وتمييزهم:

---

(1) "بحوث في تاريخ السنة المشرفة" (ص138) وقد مر معنا أمثلة لرواة كشف كذبهم بسبب تواريخ الوفيات في (ص101) من هذا البحث.

(2) "علم الرجال نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع" (ص222)، ونادرا مايورد أصحابها أكثر من حديث للشيوخ المذكورين، كما هو الحال في المعجم الأوسط للطبراني فإنه يورد عن الشيخ أكثر من حديث تتفاوت قلة وكثرة.

"اشتهر بعض الرواة بألقابهم أو كناهم، فورد ذكرهم في الأسانيد تارة بالأسماء وتارة بالكنى وتارة بالألقاب، ولئلا يقع الالتباس ويُظن أن الشخص الواحد المذكور مرة بكنيته وأخرى باسمه هو شخصان، وجدت مصنفات تختص ببيان اسم من عرف بكنيته أو بلقبه أو على العكس تبين كنية أو لقب من عرف باسمه، وهذه هي "كتب الأسماء والكنى والألقاب".

وكذلك فإن كثرة رواة الحديث أدى إلى وقوع التشابه والاتفاق في أسمائهم وكناهم ونسبتهم، ومن أجل منع وقوع الالتباس وجدت كتب للتمييز بين المتشابه أو المتفق من الأسماء والكنى والألقاب، وهي كتب: المتفق والمفترق، ولنفس الغرض وجدت كتب المؤتلف والمختلف وكذلك كتب المشتبه"[1]

وهاته بعض الكتب المصنفة في الأنواع المذكورة:

- "الأسامي والكنى"، لأبي عبد الله علي بن المديني (234هـ).[2]
- و"الكنى والألقاب"، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (405هـ).
- "المؤتلف والمختلف"، لأبي الحسن علي بن عمر بن مهدي الدارقطني (385هـ).[3]
- "تقييد المهمل وتمييز المشكل" لأبي علي حسين بن محمد الغساني ثم الجياني (498هـ).
- ألف كتابا بعنوان "المتفق والمفترق" كل من أبو بكر محمد بن عبد الله الجوزقي (382هـ)، والخطيب البغدادي (463هـ).
- "الموضح لأوهام الجمع والتفريق" للخطيب البغدادي أيضا، وغيرها كثير[4].

---

(1) المصدر السابق: (ص185)

(2) وألف في "الأسماء والكنى" وأحمد بن حنبل (241هـ)، وألف "الكنى" البخاري (256هـ)، و"الأسماء والكنى" لمسلم (261هـ) وغيرهم.

(3) وصنف "المؤتلف والمختلف"، و"مشتبه النسبة" كلاهما لأبي محمد عبد الغني المصري الأزدي (409هـ)
و"الإكمال في رفع عارض الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب"، لأبي نصر علي بن هبة الله الشهير بالأمير ابن ماكولا(478هـ)

(4) انظر "علم الرجال" لشيخنا الزهراني رحمه الله، و"بحوث في تاريخ السنة المشرفة" لأكرم ضياء العمري، ففيهما مزيد عناية بالموضوع.

الفصل الثالث: مظاهر حفظ السنة وتجديد الدين عند السلف والمحدثين.

وفيه مدخل ومبحثان:

المبحث الأول: مظاهر حفظ السنة وتجديد الدين عند المتقدمين.

المبحث الثاني: مظاهر حفظ السنة وتجديد الدين من خلال جهود بعض العلماء المتأخرين من المعاصرين.

مدخل: حفظُ اللهِ لكتابه وسنة نبيهﷺ، و خطر البدع والمحدثات وشدة تحذير النبي ﷺ منها، وبيان أن العقيدة الصحيحة مستمدة من الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح، وذكر معنى التجديد.

لقد أعظم الله المنة على خاتم أنبياءه ورسله ﷺ، فهيأ له أسبابا عظيمة لحفظ ما أرسله به من الهدى ودين الحق كتابا وسنة، وما جاء به من شريعة كتب لها البقاء والخلود، فهي رسالة عالمية باقية ببقاء الناس إلى يوم الدين.

ومما لا يرتاب فيه مسلم أن الله أكمل لرسولهﷺ الدين الذي بعثه به، وأنه بلغ كل ما أنزل إليه من ربه من غير نقصان، قال تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي﴾ [سورة المائدة: 3]

وقالت عائشة رضي الله عنها: "مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ كَتَمَ شَيْئًا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَقَدْ كَذَبَ"، وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [سورة المائدة: 67][1].

ومن مظاهر كماله وتمامه، أن سلم من التحريف والتبديل، وبلغ الناس كتابا وسنة على مر العصور وسيبقى كذلك، فمنهج المحدثين هبة من رب العالمين، حفظ به سبحانه الدين، ليكون حجة على الناس أجمعين إلى يوم الدين.

وإن أعظم ما بلغه ﷺ لأمته، وعلّم أصحابه إياه، توحيد الله، والإيمان به وبأسمائه وصفاته، ومعرفة أنبيائه ورسله عليهم السلام، والجنة والنار، واليوم الآخر، والساعة وأشراطها، والقدر، ونحو ذلك مما هو من المسائل العلمية، مسائل أصول الدين والمعتقد، الذي يقوم عليه هذا الدين العظيم.

لكن هذه الأمة قد ابتليت في حقبة مبكرة منها، بظهور الأهواء والبدع والضلالات المناقضة للمعرفة الصحيحة، التي جاء بها كتاب الله تعالى وسنة النبي ﷺ، فظهر القدرية والخوارج، ثم الرافضة

(1) أخرجه البخاري: (4612)، ومسلم: (287)

والجهمية وغيرهم، فأفسدوا على الناس فطرة الله التي فطرهم عليها، فضلا عن جنايتهم على الكتاب والسنة، فردوا منها ماردوا، وحرفوا وبدلوا، واتبعوا المتشابه منها، وعطلوا ودلسوا ولبسوا، بشقاشق وفلسفة ابتدعوها ما أنزل الله بها من سلطان، إنما هي كما قال الله تعالى: ﴿شياطين الانس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا﴾ [سورة الأنعام: 112].

قال شيخ الإسلام –رحمه الله– : "أولها ظهوراً الخوارج، فان التكلم ببدعتهم ظهر في زمانه صلى الله عليه وسلم، ولكن لم يجتمعوا وتصير لهم قوة إلا في خلافة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه..."

ثم قال: "وفي الصحيحين عن أبي سعيد ﷺ قال: بينما رسول الله ﷺ يقسم الفيء جاء عبد الله ذو الخويصرة التميمي– في رواية أتاه ذو الخويصرة رجل من تميم– فقال: أعدل يا رسول الله، فقال: "ويلك من يعدل إذا لم أعدل؟، قد خبت وخسرت إن لم أعدل".

فقال عمر بن الخطاب ﷺ: ائذن لي فأضرب عنقه، قال: "دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية..." الحديث.

وفي مسلم عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال عن الحرورية لما خرجوا عليه وقالوا: لا حكم إلا لله: "كلمة حق أريد بها باطل، إن رسول الله ﷺ وصف ناساً إني لأعرف صفتهم في هؤلاء، يقولون الحق بألسنتهم لا يجاوز هذا منهم– وأشار إلى حلقه– من أبغض خلق الله اليه، منهم رجل أسود احدى يديه طبي شاة أوحلمة ثدي"

فلما قتلهم علي ﷺ قال: "انظروا فنظروا فلم يجدوا شيئاً، قال: ارجعوا فوالله ما كذبت ولا كُذّبتُ– مرتين أو ثلاث–، ثم وجدوه في خربة فأتوا به حتى وضعوه بين يديه..." الحديث.

قال –رحمه الله–: "ثم ظهر في زمن علي ﷺ التكلم بالرفض، ولكن لم يجتمعوا ويصير لهم قوة إلا بعد مقتل الحسين رضي الله عنه، بل لم يظهر اسم الرفض ويعلن إلا حين خروج زيد بن علي بن الحسين بعد المائة الأولى، وذلك أنه لما أظهر الترحم على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما رفضه الرافضة، فسموا رافضة، واعتقدوا أن أبا جعفر– محمد بن علي الباقر– هو الإمام المعصوم، واتبعه– زيد– آخرون فسموا (زيدية) نسبة إليه.

ثم في أواخر عصر الصحابة نبغ التكلم ببدعة القدر والإرجاء، فردَّها من كان حيا من الصحابة حينئذ، كابن عمر وابن عباس وجابر بن عبد الله وأبي سعيد وواثلة بن الأسقع وغيرهم.

ولم يصر لهم سلطان واجتماع حتى كثرت المعتزلة والمرجئة بعد ذلك.

ثم في أواخر عصر التابعين ظهر القول ببدعة الجهمية نفاة الصفات، ولم يكن لهم اجتماع وسلطان إلا بعد المائة الثانية في إمارة أبي العباس الملقب بالمأمون، فإنه أظهر التجهُّم وامتحن الناس عليه وعرَّب كتب الأعاجم من الروم واليونانيين وغيرهم.

قال: "وفي زمنه-يعني المامون- ظهرت (الخرمية) وهم زنادقة منافقون يظهرون الإسلام ويبطنون خلافه، وأصل مذهبهم المزدكية الإباحية التي ظهرت قبل الإسلام، وتفرع الخرمية بعد ذلك إلى القرامطة والباطنية والإسماعيلية وأكثر هؤلاء ينتحلون الرفض في الظاهر، وصارت الرافضة الإمامية في زمن بني بويه بعد المائة الثالثة فيهم عامة، هذه الأهواء المضلة.. فيهم الخروج والرفض والقدر والتجهُّم.اهـ[1]

وكل هذا وقع مصداقاً لما صح عن الصادق المصدوق ﷺ حيث قال: "فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي..." الحديث[2]

ومن رحمة الله بهذه الأمة أن هيأ لها في كل قرن منها مجددين، وهيأ لها في هذه الفترة خاصة من قال فيهم الصادق المصدوقﷺ : "يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ انْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ، وَتَحْرِيفَ الْغَالِينَ"

وعن أبي علقمة قال عن أبي هريرة -فيما أعلم- عن رسول الله ﷺ قال: "إن الله عز وجل يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها"[3]

---

(1) ملخص بتصرف من "مجموع الفتاوى" (489/28).انظر "موقف أصحاب الأهواء والفرق" للزهراني:(ص15)

(2) أخرجه الإمام أحمد في المسند: (17145)، ومن طريقه أبوداود في سننه: (4607)، والترمذي: (2676) ، وابن ماجة: (42) وغيرهم من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه.

(3) قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: "إسناده صحيح، وقد احتج بهذا الحديث أحمد بن حنبل، فقال: إن الله يقيض للناس في رأس كل مئة من يعلمهم السنن وينفي عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم – الكذب، وقد ذكره الحافظ في "توالي

أما التجديد فمعناه ما أشار إليه شيخنا عبد المحسن العباد–حفظه الله بقوله: "أي: أن الله يهيئ العلماء والولاة الذين يقومون بإظهار الحق ونشره وبيانه، ودحض الباطل والقضاء عليه، والمقصود بذلك تجديد ما اندرس من الدين، وإلا فإن الدين وافٍ وكامل، فالمقصود تجديد ما اندرس منه بسبب ما حصل من فتن وضلالات وانحراف عن الجادة، فيهيئ الله من أهل العلم من يقوم ببيان الحق ونصرته والذب عنه، ومن يقوم ببيان الباطل والتحذير منه وبيان ضرره وخطره، وهذا من فضل الله عز وجل على هذه الأمة أن يهيئ لها من يقوم بنصرة الدين، فلا يمضي قرن من القرون إلا ويهيئ الله من يقوم بنصرة الدين، وهذا يدل على أن الأرض لا تخلو لله من قائم بحجته، وأن هذا الدين منصور وأهله منصورون، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله"[1].

ولا شك أن المجددين موجودون، وهم على علم بالكتاب والسنة، وعلى بصيرة بالحق والهدى، وليس عندهم انحراف في العقيدة ولا في مخالفة السنة والعدول عنها، فهم متمسكون بها وداعون إليها، وليس كل من يدعى أنه من المجددين يسلم له...هذا ولا مانع من وجود أكثر من مجدد في رأس كل مائة سنة"[2]

ولعمري تلك هي السمة التي كان عليها الرعيل الأول من حملة السنة، فكانوا أحق بها وأهلها، فتحقق وعد الله عز وجل وخبر رسول الله ﷺ في كونهم السبب في حفظ هذه العقيدة صافية نقية بما تحملوا من ميراث النبوة، وماكانوا عليه من الدين العتيق.

التأسيس" (ص 46 – 49) من طرق عن أحمد بن حنبل، ثم قال: وهذا يشعر بأن الحديث كان مشهورا في ذلك العصر" انظر تحقيق سنن أبي داوود: (349/6)، قال السيوطي –رحمه الله–:هذا الحديث اتّفق الحفّاظ على تصحيحه، منهم الحاكم في المستدرك، والبيهقي في المدخل، وممّن نصّ على صحّته من المتأخّرين الحافظ أبو الفضل بن حجر، وقد لهج المتقدّمون بذكر هذا الحديث، فأخرج الحاكم في المستدرك عقب رواية هذا الحديث عن ابن وهب عن يونس عن الزهري قال: فلمَّا كان في رأس المائة منّ الله على هذه الأمّة بعمر بن عبد العزيز، قال الحافظ ابن حجر: وهذا يشعر بأنّ الحديث كان مشهورًا في ذلك العصر، ففيه تقوية لسنده مع أنَّه قويّ لثقة رجاله.اهـ مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود(1061/3).

(1) ورد الحديث عن أكثر من صحابي بألفاظ متقاربة وهو في الصحيحين من حديث المغيرة بن شعبة ﷺ .

(2)من شرح الشيخ على سنن أبي داود: (الدرس رقم :483).

لذلك ظهرت أهمية وجود علم السلف وفهمهم في كثير من المناسبات، سواء وهم متوافرون أو من بعدما انقضى عصرهم، وهناك مواقف كثيرة تبين ذلك سواء في الجانب العلمي أو الجانب العملي.

ومما يؤكد شرف أهل الحديث وأثرهم في حفظ هذا الدين، ما وقع من تصادم بينهم وبين أهل الرأي، الذين كانت بضاعتهم من السنة قليلة مزجاة، فكانت هناك مواقف ظهر من خلالها رفعة الله لأهل الحديث وكثرة الصواب لديهم، وإن حاول بعض أهل الرأي التنقص منهم بعدم عنايتهم بالفقه ونقد المتون، لكن لو سلمنا بأن بعض أهل الحديث فاتهم شيء من ذلك، فإن غيرهم قد فاته أهم من ذلك، وهو العناية بالنقل حديثا وأثرا في كثير من المسائل التي أعملوا فيها الأقيسة والآراء، ثم تبين لهم أنهم صادموا بها نصوصا في تلك المسائل، فقطعوا طريقا كان أهل الحديث قد وصلوا إلى غايته بأمان فسبقوهم، وممن اعتنى بهذا الباب مبينا فيه فضل أهل الحديث مؤكدا هذا الذي ذكرناه الخطيبُ البغدادي –رحمه الله– في كتابه الفريد: "شرف أصحاب الحديث"، فقد ساق فيه أمثلة من كلام أئمة السنة في ذم الرأي، وتقديم أصحاب الحديث، وذكر أدلة تقطع بفضلهم على غيرهم، مما يدل على أن شرفهم إنما بلغوه بعنايتهم بالسنة النبوية والآثار كما سيأتي تأكيده في الفصول التي بعد هذا.

وتأمل هذه المقولة العظيمة من الملهم المسدد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، حيث قال: "إن أصحابَ الرأي أعداءُ السُّنَن؛ أَعْيَتْهُم أن يحفظوها، وتفلَّتَتْ منهم أن يعوها، واستحَيوا حين سُئِلوا أن يقولوا: لا نعلم؛ فعارضوا السُّنن برأيهم؛ فإياكم وإياهم"[1].

ثم تأمل هذا الموقف الشديد على من أهمل العناية بالسنن والآثار، وهو مثال لما ذكره الخطيب في شرف أصحاب الحديث يحفز القاريء للاطلاع على المزيد:

---

(1) رواه الداراقطني في سننه: (4280)، واللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" (201)، وابن عبد البر في "جامع بيان العلم وفضله" (2003)، وأورده أبو عبد الله الداني بن منير آل زهوي في "سلسلة الآثار الصحيحة أو الصحيح المسند من أقوال الصحابة والتابعين" برقم :(266) وقال: حسن لغيره له عن عمر طرق (ثم ذكرها)، قلت: وذم السلف للرأي مشهور وفيه آثار كثيرة.

فقد روى بسنده إلى عبد الله بن الحسن الهسنجاني -رحمه الله-، قال: " كنت بمصر، فرأيت قاضيا لهم في المسجد الجامع، وأنا ممراض، فسمعت القاضي يقول مساكين أصحاب الحديث لا يحسنون الفقه، فحبوت إليه، فقلت: اختلف أصحاب النبي ﷺ في جراحات الرجال والنساء، فأي شيء قال علي بن أبي طالب، وأي شيء قال زيد بن ثابت، وأي شيء قال عبد الله بن مسعود؟ فأفحم، قال عبد الله: فقلت له: زعمت أن أصحاب الحديث لا يحسنون الفقه، وأنا من أخس أصحاب الحديث، سألتك عن هذه فلم تحسنها، فكيف تنكر على قوم أنهم لا يحسنون شيئا وأنت لا تحسنه؟"[1]

فانظر إلى واقع أهل الحديث وفضلهم وهو أنهم وإن كان أصل عنايتهم بالحديث لكنهم لم يُغفلوا العناية بالفقه فيه ومن ذلك فقه الصحابة رضي الله عنهم.

وقد ساق الألباني -رحمه الله-كلمة لأبي الحسنات اللكنوي رحمه الله ووصفها بأنها: شهادة عظيمة لأهل الحديث من عالم من كبار علماء الحنفية في الهند، قال -رحمه الله-" ومن نظر بنظر الإنصاف، وغاص في بحار الفقه والأصول متجنبا الاعتساف، يعلم علما يقينيا أن أكثر المسائل الفرعية والأصلية التي اختلف العلماء فيها، فمذهب المحدثين فيها أقوى من مذاهب غيرهم، وإني كلما أسير في شعب الاختلاف أجد قول المحدثين فيه قريبا من الإنصاف، فلله درهم، وعليه شكرهم (كذا) كيف لا وهم ورثة النبي ﷺ حقا، ونواب شرعه صدقا، حشرنا الله في زمرتهم، وأماتنا على حبهم وسيرتهم"[2].

وإن المطلع على التاريخ الإسلامي وفي ضمنه تاريخ الفرق والطوائف التي تنتسب إلى الإسلام، لا يجد كلفةً كي يسلّم بشرف أهل السنة والجماعة وأهل الحديث خاصة، ذلك أنهم كانوا هم السواد الأعظم في الفتوح التي وطدت دعائم هذه الأمة العظيمة، وكانوا في المحن سببا في تفريج الغمة، وما عاداهم من أحد أو ناوأهم إلا قصمه الله وكانت العاقبة لهم، وكانوا سداً منيعا في وجه الفتن ودِرعاً حصيناً دون المحدثات والبدع.

---

(1) "شرف أصحاب الحديث" (ص 77)

(2) "السلسلة الصحيحة" (547/1).

ولقد كان الرعيل الأول من أصحاب النبي ﷺ، هم اللبنة الأولى لطائفة أهل الحديث المنصورين بنصر الله سبحانه، وبهم حفظ الله دينه في تلك الحقبة التي بدأت بوادر البدع والأهواء تبرز للوجود لتتخطف ضعاف العلم والإيمان وليميز الله الخبيث من الطيب، فكان من لطف الله بعباده أن أبقى في كل زمان من يقوم له بالحجة ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حيي عن بينة.

وهناك أمثلة واقعية تاريخية تؤكد شرف أهل الحديث عبر العصور، وكيف أن الله حفظ بهم كتابه وسنة رسوله ﷺ بنقلهم وفهمهم السليم، وما كانوا عليه من الدين العتيق، فأنقذ الله بهم الشريعة، وأنقذ فئاما من الناس من أن تتخطفهم تلك الأهواء والمحدثات التي ظهرت.

قال يوسف بن أسباط رحمه الله: "كان أبي قدريا وأخوالي روافض فأنقذني الله بسفيان"[1].

وكان السلف أحوط ما يكونون في باب سد الذرائع دون البدع والمحدثات، وأشفق ما يكونون من حصول التبديل والقول على الله بغير علم، وانظر إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنموذجا لذلك في صنيعه مع صبيغ بين عسل

فعن سليمان بن يسار، أن رجلا من بني تميم يقال له: صبيغ بن عسل قدم المدينة، وكانت عنده كتب، فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه ، فبعث له، وقد أعد له عراجين النخل ، فلما دخل عليه جلس فقال له: " من أنت؟ قال: أنا صبيغ ، فقال عمر: وأنا عمر عبد الله، ثم أهوى إليه فجعل يضربه بتلك العراجين حتى شجه، فجعل الدم يسيل على وجهه، فقال: حسبك يا أمير المؤمنين، فقد والله ذهب الذي كنت أجد في رأسي[2]

وأورد ابن عبد البر –رحمه الله–: "عن رجل من بني عجلان يقال له خلاد بن زرعة عن أبيه قال لقد رأيت صبيغ بن عسل بالبصرة كأنه بعير أجرب يجيء إلى الحلق وكلما جلس إلى حلقة قاموا وتركوه وقالوا عزمة أمير المؤمنين ألا يكلم"[3]

---

(1) "أصول اعتقاد أهل السنة" (1/ 32/67).

(2) أخرج الآجري في "الشريعة" (153)، وابن بطة في "الإبانة" (789)

(3) "الاستذكار" (70/5)

فهذا ونظائره مما يستدل به على فضل الصحابة رضي الله عنهم في حماية الدين العتيق الذي ورثوه عن النبي ﷺ وورثوه من بعدهم، والأمر كما قال النبي ﷺ: "وأصحابي أمنة لأمتي"[1]

لذا سأسوق في هذا الفصل بعض مظاهرِ حفظِ اللهِ لدينه، بمواقفَ للسلف والأئمة المتقدمين، وجهودٍ لأهل الحديث المتأخرين ، من خلال أمثلة واقعية تبين وتؤكد شرف أهل الحديث قديما وحديثا:

(1) أخرجه مسلم: (2531) عن أبي موسى رضي الله عنه قال: صلينا المغرب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء قال فجلسنا، فخرج علينا، فقال: «ما زلتم هاهنا؟» قلنا: يا رسول الله صلينا معك المغرب، ثم قلنا: نجلس حتى نصلي معك العشاء، قال «أحسنتم أو أصبتم» قال فرفع رأسه إلى السماء، وكان كثيرا مما يرفع رأسه إلى السماء، فقال: «النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون»، وتأمل كيف كان عمر رضي الله عنه باب موصدا في وجه الفتن حتى أنه يتفطن لها في مهدها وهذا مصداق ما جاء عن حذيفة رضي الله عنه أن عمر كان بابا في وجه الفتن كما صح ذلك في البخاري: (1435)

المبحث الأول: مظاهر حفظ السنة وتجديد الدين عند المتقدمين.

المظهر الأول: إيراد السنة(1) لبيان بطلان الأهواء والبدع والمحدثات.

ومن أمثلته:

فتنة القدرية:

فقد روى مسلم –رحمه الله– في صحيحه باسناده إلى عن يحيى بن يعمر، قال: "كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين – أو معتمرين – فقلنا: لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ، فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلا المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه، والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي، فقلت : أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن، ويتقفرون العلم، وذكر من شأنهم، وأنهم يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أنف، قال: "فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم برآء مني"، والذي يحلف به عبد الله بن عمر "لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا، فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر" ثم قال: حدثني أبي عمر بن الخطاب قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا"، قال: صدقت، قال: فعجبنا له يسأله، ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: "أن تؤمن بالله، وملائكته،

---

(1) ومن أبواب العلم النافعة في الحديث النبوي معرفة أسباب ورود الأحاديث، وهي الملابسات والدوافع التي قد يروي بسببها الصحابي أو من بعده الحديث، كفعل ابن عمر عند روايته حديث جبريل، وقد صنف بعض أهل العلم في ذلك مثل كتاب البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف لابن حمزة الحسيني الدمشقي (1120هـ)، وقد مضى الاشارة إليه في أنواع المصنفات عند أهل الحديث.

وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره"، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"، قال: فأخبرني عن الساعة، قال: "ما المسئول عنها بأعلم من السائل" قال: فأخبرني عن أمارتها، قال: "أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان"، قال: ثم انطلق فلبثت مليا، ثم قال لي: "يا عمر أتدري من السائل؟" قلت: الله ورسوله أعلم، قال: "فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم"[1]

فهذا الخبر في تلك الفترة المبكرة برهان على ماذكرنا من أثر السنة في حفظ دين الله والإعتقاد الصحيح الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وفي الحديث فوائد منها:

الأولى : أن وجود السنة أمان من فساد العقائد لمن عظمها وعمل بها لا كمن أعرض عنها ولم يرفع بها رأسا.

الثانية : أن وجود الصحابة أمان لهذه الأمة من الفتن إن عادوا إليهم وعرفوا قدرهم وأجلوهم واقتدوا بهم واتبعوهم بإحسان خلافا لمن تنكر لهم أو عاداهم والعياذ بالله.[2]

الثالثة : أن فهم الصحابة للدين كان فهما سليما لا تنطع ولا تكلف فيه فهو محكم على النصوص التي رووها إذا عورضت بفهم من بعدهم ممن هو أقل علما بالكتاب والسنة ولغة العرب وأسباب الورود والنزول فضلا عن أن يكون عنده فساد في الطوية.

الرابعة: أن بقاء العلم الموروث عن النبي ﷺ مرتبط بما قدره الله من رواية الصحابة رضي الله عنهم له فجهودهم في السماع والحفظ والبلاغ هي سبب حفظ دين الله.

المظهر الثاني: مناظرة(3) أهل الباطل لردهم إلى الحق أو بيان بطلان ماهم عليه.

---

(1) وهو أول حديث افتتح به مسلم صحيحه.

(2) انظر الحديث في الهامش الصفحة السابقة وفيه: "وأصحابي أمنة لأمتي..."

(3) مسألة حكم مناظرة أهل البدع، من المسائل التي وقع فيها تنطع كبير من بعض المعاصرين والمتحمسين في الرد على أهل البدع حماسة عرية عن تحقيق العلم بهذه المسألة، وسبب ذلك تمسكهم ببعض الآثار عن السلف في تشديد النكير في مناظرة

ومن أمثلته:

1.مناظرة الخوارج

أهل الأهواء، لكن ما ورد عن كثير من السلف من مشروعية ذلك بضوابطه يدل على القضية تحتاج تحقيقا لتوجيه تلك الآثار، ومناظرة ابن عباس رضي الله عنها كافية في جواز ذلك ولم ينكر عليه أحد من الصحابة آنذاك، ومن أفضل من تكلم في هذا الباب شيخ الإسلام رحمه الله حيث قال: "وقد ينهون عن المجادلة والناظرة ، إذا كان المناظر ضعيف العلم بالحجة و جواب الشبهة ، فيُخافُ عليه أن يُفْسِدَهُ ذلك المضِلُّ ، كما يُنهى الضعيف في المقاتلة أن يقاتل عِلجا قويا من علوج الكفار ، فإن ذلك يضرُّه ويضر المسلمين بلا منْفَعة"، وقال بعدها: "وقد يُنْهى عنها إذا كان المناظر معاندا يظهر له الحق فلا يقبله –وهو السوفسطائي– فإن الأمم كلهم متفقون على أن المناظرة إذا انتهت إلى مقدمات معروفة بينة بنفسها ضرورية و جحدها الخصم كان سوفسطائيا ، ولم يؤمر بمناظرته بعد ذلك ، بل إذا كان فاسد العقل داووه ، وإن كان عاجزا عن معرفة الحق الحق –ولا مضرة فيه–تركوه ، وإن كان مستحقا للعقاب عاقبوه مع القدرة : إما بالتعزير وإما بالقتل، وغالب الخلق لا ينقادون للحق إلا بالقهر، والمقصود أنهم نهوا عن المناضرة من لا يقوم بواجبها، أو مع من لا يكون في مناظرته مصلحة راجحة ، أو فيها مفسدة راجحة ، فهذه أمور عارضة تختلف باختلاف الأحوال، وأما جنس المناظرة بالحق فقد تكون واجبة تارة و مستحبة تارة أخرى")(تعارض العقل و النقل)(174/7) ، وأصل السوفسطائية sophism كلمة يونانية مشتقة من اللفظة سفسطة سوفيسما) (sophisma، التي تعني الحكمة والحذق، لكنها تطلق على ادعياء العلم والفلسفة مع انهم يملكون ثقافة ضحلة وخصوصا في العلوم الطبيعية والرياضيات والفلسفة لكنهم بارعون في البلاغة والخطابة الذي هو لب دراستهم وتركيزهم ومن خلال هذه الخاصية يقلبون الحقائق ويخلطون الأمور وان أهم ما يميزهم هو استعدادهم للنقاش والجدال إلى ما لا نهاية وبدون ملل . ملخص من موقع معرفة، "وهذا الاسم اسم للمهنة التي بها بقدر الإنسان على المغالطة والتمويه والتلبيس بالقول والإيهام" كتاب"إحصاء العلوم" (تحقيق الدكتور عثمان أمين) (ص24) انظر تحقيق الدكتور علي بن بخيت الزهراني لكتاب شرح جبريل لشيخ الاسلام: (ص462)

ثم ينبغي أن يعلم أن بعض السلف إنما نهوا عن مناظرة أهل البدع يوم كانت بدعهم خاملة ولا أثر لهم على الناس كما أشار إلى ذلك الذهبي رحمه الله حيث قال: "وعن سعيد بن أبي مريم قال :سمعت الليث بن سعد يقول: بلغت الثمانين وما نازعت صاحب هوى قط.

قال الذهبي :كانت الأهواء والبدع خاملة في زمن الليث ومالك والأوزاعي والسنن ظاهرة عزيزة، فأما في زمن أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وأبي عبيد فظهرت البدع –خاصة بدعة المعتزلة– وامتحن أئمة الأثر، ورفع أهل الأهواء رءوسهم بدخول رجال الدولة معهم، فاحتاج العلماء إلى مجادلتهم بالكتاب والسنة، ثم كثر ذلك، واحتج عليهم العلماء أيضاً بالعقول، فطال الجدال واشتد النزاع وتولدت الشبه نسأل الله العافية"اهـ "سير أعلام النبلاء" (144/8).

قد مضى الإشارة إلى ظهور الخوراج في فترة مبكرة وكان ضررهم على الإسلام ضررا عظيما وتسببوا في ضعف الأمة وتسليط الأعداء عليها عبر العصور لذلك ورد عن النبي ﷺ حثا شديدا على قتالهم وفضلا كبيرا في قتلهم.

وسنورد في شأنهم مما يرتبط بموضوعنا خبر مناظرة ابن عباس رضي الله عنهما للخوارج قبل النهروان التي كان وقوعها دليلا من دلائل النبوة حيث أخبر عن وقوع قتال الصحابة لهم وذكر أمارتهم رجل منهم اسمه ذو الثدية

فعن عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: "لَمَّا خَرَجَتِ الْحَرُورِيَّةُ اعْتَزَلُوا فِي دَارٍ، وَكَانُوا سِتَّةَ آلَافٍ» فَقُلْتُ لِعَلِيٍّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عبد الله بن عباس قال: "لما خرجت الحرورية اعتزلوا في دار، وكانوا ستة آلاف" فقلت لعلي: يا أمير المؤمنين "أبرد بالصلاة، لعلي أكلم هؤلاء القوم" قال: "إني أخافهم عليك" قلت: كلا، فلبست، وترجلت، ودخلت عليهم في دار نصف النهار، وهم يأكلون فقالوا: "مرحبا بك يا ابن عباس، فما جاء بك؟" قلت لهم: أتيتكم من عند أصحاب النبي ﷺ المهاجرين، والأنصار، ومن عند ابن عم النبي ﷺ وصهره، وعليهم نزل القرآن، فهم أعلم بتأويله منكم، وليس فيكم منهم أحد، لأبلغكم ما يقولون، وأبلغهم ما تقولون، فانتحى لي نفر منهم قلت: هاتوا ما نقمتم على أصحاب رسول الله ﷺ وابن عمه قالوا: "ثلاث" قلت: ما هن؟ قال: "أما إحداهن، فإنه حكم الرجال في أمر الله" وقال الله: ﴿إن الحكم إلا لله﴾ [سورة الأنعام: 57/سورة يوسف: 40،67] ما شأن الرجال والحكم؟ قلت: هذه واحدة قالوا: وأما الثانية، فإنه قاتل، ولم يسب، ولم يغنم، إن كانوا كفارا لقد حل سباهم، ولئن كانوا مؤمنين ما حل سباهم ولا قتالهم قلت: هذه ثنتان، فما الثالثة؟ " وذكر كلمة معناها قالوا: محى نفسه من أمير المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين، فهو أمير الكافرين " قلت: هل عندكم شيء غير هذا؟ قالوا: "حسبنا هذا" قلت: لهم أرأيتكم إن قرأت عليكم من كتاب الله جل ثناؤه وسنة نبيه ﷺ ما يرد قولكم أترجعون؟ قالوا: "نعم" قلت: أما قولكم: "حكم الرجال في أمر الله، فإني أقرأ عليكم في كتاب الله أن قد صير الله حكمه إلى الرجال في ثمن ربع درهم ، فأمر الله تبارك وتعالى أن يحكموا فيه" أرأيت قول الله تبارك وتعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم، ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل

من النعم يحكم به ذوا عدل منكم﴾ [سورة المائدة: 95] وكان من حكم الله أنه صيره إلى الرجال يحكمون فيه، ولو شاء لحكم فيه، فجاز من حكم الرجال، أنشدكم بالله أحكم الرجال في صلاح ذات البين، وحقن دمائهم أفضل أو في أرنب؟ قالوا: بلى، هذا أفضل وفي المرأة وزوجها: ﴿وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها﴾ [سورة النساء: 35] فنشدتكم بالله حكم الرجال في صلاح ذات بينهم، وحقن دمائهم أفضل من حكمهم في بضع امرأة؟ خرجت من هذه؟ " قالوا: نعم قلت: وأما قولكم قاتل ولم يسب، ولم يغنم، أفتسبون أمكم عائشة، تستحلون منها ما تستحلون من غيرها وهي أمكم؟ فإن قلتم: إنا نستحل منها ما نستحل من غيرها فقد كفرتم، وإن قلتم: ليست بأمنا فقد كفرتم: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم ﴾ [سورة الأحزاب: 6] فأنتم بين ضلالتين، فأتوا منها بمخرج، أفخرجت من هذه؟ قالوا: نعم، وأما محي نفسه من أمير المؤمنين، فأنا آتيكم بما ترضون. إن نبي الله ﷺ يوم الحديبية صالح المشركين فقال لعلي: "اكتب يا علي هذا ما صالح عليه محمد رسول الله" قالوا: لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك فقال رسول الله ﷺ: "امح يا علي اللهم إنك تعلم أني رسول الله، امح يا علي، واكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله" والله لرسول الله ﷺ خير من علي، وقد محى نفسه، ولم يكن محوه نفسه ذلك محاه من النبوة، أخرجت من هذه؟ " قالوا: "نعم، فرجع منهم ألفان، وخرج سائرهم، فقتلوا على ضلالتهم، فقتلهم المهاجرون والأنصار"[1].

وفي هذا الخبر برهان على حفظ الله لدينه بأصحاب نبيه ﷺ، وفيه فوائد :

الأولى : أهمية فقه الصحابة وأنه كان سببا في نجاة فئام من الناس من الموت على الضلالة وحجة على من مات على تلك الضلالة.

الثانية: أن أصحاب النبي ﷺ هم أعلم الناس بتأويل كتاب الله تعالى كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: "أتيتكم من عند أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم المهاجرين، والأنصار، ومن عند ابن عم النبي ﷺ وصهره، وعليهم نزل القرآن، فهم أعلم بتأويله منكم، وليس فيكم منهم أحد"،

(1) "السنن الكبرى للنسائي" (8522)، وانظر "خصائص علي" له أيضا: (190)، وهو بطوله في "المستدرك": (2656)، وأخرج بعضا منه الامام أحمد في المسند:(3187)، وأبوداود: (4037).

ومثله قول ابن مسعود ﷺ واصفا أصحاب النبي ﷺ: "فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا وأقومها هديا وأحسنها حالا"[1]

الثانية : أن من أعظم أسباب الضلال افتئات الناس على من هو أعلم منهم وخير منهم كفعل الخوارج مع أصحاب النبي ﷺ رضي الله عنهم.

2.مناظرة أهل الكلام[2] لبيان بطلان ما هم عليه، كبدعة القول بخلق القرآن.

فقد ابتليت الأمة في حقبة منها بتسرب لوثة فلسفة اليونان والمنطق وعلم الكلام الذي كدر على الأمة منبعها الصافي ومعينها النقي، فانكب بعض من لم يتحصن بالكتاب والسنة وهدي السلف على تلك العلوم الدخيلة، وكان ذلك سببا في طفرة شاذة لعقائد غريبة امتزجت فيها نصوص الشرع بلوثة علم الكلام، والوصف الجامع لذلك قول النبي ﷺ: "قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرِ..." [3]، وجرَّ ذلك على الأمة محناً عظيما، فظهرت عقائد غريبة ابتدعها ثم

---

(1) انظر "جامع بيان العلم وفضله" (1810)، ولتعلم أهمية العناية بتفسير الصحابة رضي الله عنهم للقرآن انظر مثلا ما ورد عن قيس بن أبي حازم عن أبي بكر الصديق أنه قال: أيها الناس! إنكم تقرؤون هذه الآية:{يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لايضركم من ضل إذ اهتديتم}[سورة المائدة: 105] وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوه بيده، أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه " أخرجه أبو داود: (4338) وغيره وهو في الصحيحة: (1564)، وما ورد عن أسلم أبي عمران قال : غزونا من المدينة نريد القسطنطينية، وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، والروم ملصقو ظهورهم بحائط المدينة، فحمل رجل على العدو، فقال الناس: مه مه لا إله إلا الله، يلقي بيديه إلى التهلكة، فقال أبو أيوب: " إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما نصر الله نبيه، وأظهر الإسلام قلنا: هلم نقيم في أموالنا ونصلحها "، فأنزل الله تعالى: {وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة} [سورة البقرة: 195] فالإلقاء بالأيدي إلى التهلكة أن نقيم في أموالنا ونصلحها وندع الجهاد "، قال أبو عمران: «فلم يزل أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتى دفن بالقسطنطينية» أخرجه أبو داود: (2512) وغيره وصححه الشيخ الألباني والشيخ شعيب الأرناؤوط رحمهما الله.

(2) وأهل الكلام هم: الذين يخوضون في مسائل أصول الدين كالوحدانية، والمعاد، وإثبات النبوات، والوعد، والوعيد، والإيجاب على الله عز وجل والتجويز وهو قولهم: لو عذبنا الله على ما خلقه فينا لكان جائزاً، وإنما يعذبنا على ما نخلقه نحن، وأنه يجوز على الله تعذيب ملائكته وأنبيائه، وأهل طاعته، وإكرام إبليس وجنوده، وجعلهم فوق أوليائه في النعيم المقيم... ويخوضون كذلك في القدر ويقولون بنفيه ويسمون ذلك عدلاً، ويبحثون كذلك في التوحيد، ويعنون به نفي الصفات عن الله عز وجل إلى غير ذلك ممن يخوض به أهل الكلام.اهـ انظر "مصطلحات في كتب العقائد"، محمد ابراهيم الحمد (ص91)

(3) في الحديث المتفق عليه عن حذيفة رضي الله عنه، البخاري: (3606) ومسلم: (1847)

أظهرها رؤساءُ من الناس جهالا بالأمر العتيق، ثم دعوا إليها، ثم تبناها بعض من تولى الأمر للناس فامتحنوا بها، كالذي حصل لجماعة من الأئمة في محنة القول بخلق القرآن، وكان أهل الحديث في كل تلك المحن هم الطائفة الظاهرون بالحق وعلى الحق، قائمون به يدعون إليه ولا يخافون في الله لومة لائم، فحالوا دون تبديل دين الله عز وجل، فهدوا البدع بالسنن والآثار، وهزموا دعاتها بسيف الحق البتار، فكانت العاقبة بحمد الله.

والمنصف يعلم يقينا أن أهل الكلام في كل تلك المراحل كانوا مدحورين مهزومين، وكان أهل السنة منتصرين ظاهرين بالحق الذي كانوا عليه، ومصداق ذلك مثلا: ما جرى من محنة الإمام أحمد رحمه الله، ومحنة عبد العزيز الكناني، وهما من أئمة الحديث[1]، وإنما تميزوا عن أولئك بالسنة التي تحملوها واعتنوا بها ونقلوها وعملوا بها، وكذلك التزامهم بالدين الأول الذي كان عليه من سبقهم ممن اتصلوا بالصحابة والنبي ﷺ، لذلك قال ﷺ في الفرق التي تظهر بعده: "كلها في النار" واستثنى "الجماعة" أو "ما كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي"[2]، وهذا فيه الإشارة إلى أن سبيل النجاة في السنة وهدي السلف.

المظهر الثالث: تشديد النكير في بدع في العبادات وغيرها.

1.أثر ابن مسعود ﷺ:

قال الدارمي –رحمه الله–: أَخْبَرَنَا الْحَكَمُ بْنُ الْمُبَارَكِ، أَنبَأَنَا عَمْرُو بْنُ يَحْيَى، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي، يُحَدِّثُ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنَّا نَجْلِسُ عَلَى بَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ ، قَبْلَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ، فَإِذَا خَرَجَ، مَشَيْنَا مَعَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَجَاءَنَا أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: أَخَرَجَ إِلَيْكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ قُلْنَا: لَا، بَعْدُ. فَجَلَسَ مَعَنَا حَتَّى خَرَجَ، فَلَمَّا خَرَجَ، قُمْنَا إِلَيْهِ جَمِيعًا، فَقَالَ لَهُ أَبُو مُوسَى: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ آنِفًا أَمْرًا أَنْكَرْتُهُ وَلَمْ أَرَ – وَالْحَمْدُ لِلَّهِ – إِلَّا خَيْرًا.

---

(1) وفي مجريات مناظراتهما علم غزير، ولولا الطول لسردتهما لكن إنما أردت التمثيل لجهود أئمة الحديث في نصرة السنة والإسلام ولو إجمالا.

(2) أخرجه الحاكم: (444) والطبراني في "الأوسط" (4886)، والآجري في "الشريعة" (42) صح الحديث بلفظ: "الجماعة"، وأما لفظ: ما كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي، ففيه كلام.

قَالَ: فَمَا هُوَ؟ فَقَالَ: إِنْ عِشْتَ فَسَتَرَاهُ. قَالَ: رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ قَوْمًا حِلَقًا جُلُوسًا يَنْتَظِرُونَ الصَّلَاةَ فِي كُلِّ حَلْقَةٍ رَجُلٌ، وَفِي أَيْدِيهِمْ حصًا، فَيَقُولُ: كَبِّرُوا مِائَةً، فَيُكَبِّرُونَ مِائَةً، فَيَقُولُ: هَلِّلُوا مِائَةً، فَيُهَلِّلُونَ مِائَةً، وَيَقُولُ: سَبِّحُوا مِائَةً، فَيُسَبِّحُونَ مِائَةً، قَالَ: فَمَاذَا قُلْتَ لَهُمْ؟ قَالَ: مَا قُلْتُ لَهُمْ شَيْئًا انْتِظَارَ رَأْيِكَ أَوِ انْتظارَ أَمْرِكَ. قَالَ: «أَفَلَا أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعُدُّوا سَيِّئَاتِهِمْ، وَضَمِنْتَ لَهُمْ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ»، ثُمَّ مَضَى وَمَضَيْنَا مَعَهُ حَتَّى أَتَى حَلْقَةً مِنْ تِلْكَ الْحِلَقِ، فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: «مَا هَذَا الَّذِي أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَ؟» قَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ حصًا نَعُدُّ بِهِ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّسْبِيحَ. قَالَ: «فَعُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ، فَأَنَا ضَامِنٌ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ وَيْحَكُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، مَا أَسْرَعَ هَلَكَتَكُمْ هَؤُلَاءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَوَافِرُونَ، وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبْلَ، وَآنِيَتُهُ لَمْ تُكْسَرْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ مُفْتَتِحُو بَابِ ضَلَالَةٍ». قَالُوا: وَاللَّهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْخَيْرَ. قَالَ: «وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَنَا "أَنَّ قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ"، وَايْمُ اللَّهِ مَا أَدْرِي لَعَلَّ أَكْثَرَهُمْ مِنْكُمْ، ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ. فَقَالَ عَمْرُو بْنُ سَلَمَةَ: رَأَيْنَا عَامَّةَ أُولَئِكَ الْحِلَقِ يُطَاعِنُونَا يَوْمَ النَّهْرَوَانِ مَعَ الْخَوَارِجِ

ويستفاد من هذا الأثر مسائل :

الأولى : فضل السنة في حفظ الدين من المحدثات فابن مسعود ﷺ حصر الدين فيما أتى من عند النبي ﷺ حينما قال : "إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ مُفْتَتِحُو بَابِ ضَلَالَةٍ".

الثانية : فضل وجود الصحابة في رد البدع.

الثالية : فضل هذا الأثر في رد كثير من البدع في العصور المتأخرة.

الرابعة : عواقب مخالفة السنة وماكان عليه السلف في الدين.

2.موقف الإمام مالك من بدع العبادات:

حكى ابن العربي –رحمه الله– عن الزبير بن بكار –رحمه الله–، قال: " سمعت مالك بن أنس، وأتاه رجل، فقال: يا أبا عبد الله! من أين أحرم؟ قال: من ذي الحليفة، من حيث أحرم رسول الله

ﷺ، فقال: إني أريد أن أحرم من المسجد. فقال: لا تفعل، قال: فإني أريد أن أحرم من المسجد من عند القبر، قال: لا تفعل; فإني أخشى عليك الفتنة، فقال: وأي فتنة هذه؟! إنما هي أميال أزيدها، قال: وأي فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصر عنها رسول الله ﷺ؟! إني سمعت الله يقول: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾ [سورة النور: 63].

ونحوه ما جاء عن عن سفيان بن عيينة: أنه قال: " سألت مالكا عمن أحرم من المدينة وراء الميقات؟ فقال: هذا مخالف لله ورسوله، أخشى عليه الفتنة في الدنيا، والعذاب الأليم في الآخرة، أما سمعت قوله تعالى: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾ [النور: 63]؟! وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يهل من المواقيت"

قال الشاطبي –رحمه الله–: "وهذه الفتنة التي ذكرها مالك رحمه الله تفسير الآية هي شأن أهل البدع وقاعدتهم التي يؤسسون عليها بنيانهم، فإنهم يرون أن ما ذكره الله في كتابه وما سنه نبيه صلى الله عليه وسلم دون ما اهتدوا إليه بعقولهم"[1]

وعن عبد الملك بن حبيب –رحمه الله– قال أخبرني بن الماجشون –رحمه الله– أنه قال: قال مالك بن أنس –رحمه الله–: "من أحدث في هذه الأمة اليوم شيئا لم يكن عليه سلفها فقد زعم أن رسول الله ﷺ خان الرسالة لأن الله تعالى يقول: ﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم وخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الأسلام دينا فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم﴾ [سورة المائدة: 3]، فما لم يكن يومئذ دينا لا يكون اليوم دينا"[2]

---

(1) انظر "الاعتصام" (231/1)

(2) أخرجه بإسناده ابن حزم في "الإحكام بأصول الأحكام" (58/6)

المظهر الرابع: كشف الوضع في الحديث وتمييز الصحيح من الضعيف:

مما يتأسف له المسلم الناصح لأمته، حال بعض المشهورين المنتسبين للعلم الشرعي أو الدعوة إلى الله فضلا عن عوام المسلمين، وهو أن رصيدهم من معرفة السنة الصحيحة قليل، فمنهم يستدل بالموضوعات والواهيات، وفي المقابل هناك من لا يرفع بالسنة رأسا ولا يقيم لها وزنا، ولا يستبعد عنده أن تكون السنة اختلط فيها المكذوب الضعيف بالثابت الصحيح ولم يتميز، وهذا كله بسبب عدم العناية بالعلم الشرعي الموروث عن الأولين، والسير بمنهجية غير صحيحة كالعكوف على كتب الرأي والفكر ونحو ذلك.

وقديما ظن بعض الزنادقة الوضاعين بصنيعهم أنهم سيوهونون من منزلة ومكانة السنة ويُدخلون الشكوك إليها، فيقع الريب عند أهل الإسلام أن ما نقل إليهم عن أهل الحديث لا يمكن الوثوق به ولا يمتنع أن يكون دخل فيها ما ليس منها، هكذا ظنوا فخاب ظنهم فقد قيض الله للسنة جهابذة صيارفة ينفون عنها ما دخل فيها مما ليس منها.

ومما يذكر في ذلك: أن لخليفة هارون الرشيد -رحمه الله- بأحد الزنادقة ليقتله، فقال ذلك الزنديق: أين أنت من ألف حديث وضعتها؟ فقال الرشيد: فأين أنت يا عدوَّ الله من أبي إسحاق الفزاري، وابن المبارك ينخلانها فيخرجانها حرفاً حرفاً[1].

وقيل لابن المبارك -رحمه الله-: "هذه الأحاديث المصنوعة؟ فقال: تعيش لها الجهابذة، ﴿إنا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر: 9]"[2]

وقد بدأ الاحتياط للسنة في فترة مبكرة، والنبي نفسه ﷺسد ذريعة التساهل في الحديث عنه في نصوص كثيرة منها: قوله ﷺ: "من حدث عني بحديث يرى أن كذب فهو أحد الكاذبين"[3]، وقوله: "إن كذبا عليَّ ليس ككذب على أحد"[4]

---

(1) "تاريخ دمشق" لابن عساكر (127/7)

(2) "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم (3/1)

(3) أورده مسلم في "المقدمة" (8/1)، ورواه الترمذي: (2662)، وابن ماجة: (38).

(4) أخرجه البخاري: (1291)

فما الظن بمن أفنوا أعمارهم في نقل السنة، وحفظها، وروايتها، وتدوينها، والرحلة في طلبها، وهم يسمعون هذا الوعيد والتهديد، مع ما كانوا عليه من الصدق والأمانة، لا ريب أنهم اعدوا لمن ركب بحر الرواية ما استطاعوا من قوة ومن رباط بالعلم على ثغور السنة، فمن رضوه جاز ومن لم يرضوه سقط ومن التبس عليهم توقفوا فيه فإن تبين وإلا طرحوه احترازا للسنة النبوية من أن يدخل فيها ما ليس منها.

وما مضى من الأساسات التي قام عليها علم الرواية عند أهل الحديث خير دليل على نجاعة هذه المنهج في صيانة السنة وتمييز الثابت منها من غيره، وإليك هذين المثالين:

1. كشف الضعيف

فانظر إلى من إمام من أئمة السنة شعبة بن الحجاج –رحمه الله–، كيف رحل لأجل التثبت من حديث واحد حتى كشف مخرجه الضعيف.

فعن أبي الحارث الوراق قال: جلسنا على باب شعبة نتذاكر السند، فقلت: حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عبد الله بن عطاء، عن عقبة بن عامر، عن النبي ﷺ قال: "مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ دَخَلَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَ" فخرج شعبة بن الحجاج وأنا أحدث بهذا الحديث فصفعني، ثم قال: يا مجنون سمعتُ أبا إسحاق يحدث، عن عبد الله بن عطاء، عن عقبة بن عامر، فقلتُ: يا أبا إسحاق سمعت عبد الله بن عطاء يحدث عن عقبة بن عامر؟ قال: سمعتُ عبدَ الله بن عطاء، قلت: عبدُ الله سمع عقبة بن عامر، فقال: اسكت، فقلت: لا أسكت، فالتفت إليَّ مسعر بن كدام، فقال: يا شعبة عبد الله بن عطاء حي بمكة، فخرجت إلى مكة، فلقيت عبد الله بن عطاء، فقلت: حديثَ الوضوء، فقال: عقبة بن عامر، قلت: يرحمك الله سمعته منه؟ قال: لا، حدثني سعد بن إبراهيم، فأتيت مالك بن أنس – وهو حاج – فسألته عن سعد بن ابراهيم، فقال لي: ما حج العام، فلما قضيتُ نسكي مضيت إلى المدينة فلقيت سعد بن ابراهيم فقلت: حديثَ الوضوء، فقال: من عندكم خرج، حدثني زياد بن مخراق، فانحدرت إلى البصرة، فلقيت زياد بن مخراق وأنا شحب اللون وسخ الثياب كثير الشعر، فقال: من أين؟ فحدثته الحديث، فقال: ليس هو من حاجتك، قلت: فما بد، قال: حتى تذهب تدخل الحمام وتغسل ثيابك، ثم تجيء

فأحدثك به، قال: فدخلت الحمام وغسلت ثيابي، ثم أتيت فقال: حدثني شهر بن حوشب، قلت: شهر بن حوشب عمن؟ قال؟ عن أبي ريحانة، قلت: هذا حديث صعد، ثم نزل، دمروا عليه، ليس له أصل"

وذكر الخطيب أن شعبة بعد أن اكتشف ضعف الحديث قال: "لو صح لي هذا عن رسول الله ﷺ كان أحب إلي من أهلي ومالي والناس أجمعين"[1].

2. كشف الموضوع:

وهذا خبر يبين علو الهمة في صيانة السنة عند أهل الحديث بالرحلة للتثبت من مخرج الأخبار الغريبة وهو ما أورده الخطيب في الكفاية بسنده إلى مَحْمُدُ بْنُ غَيْلَانَ، قَالَ: " سمعت المؤمل، ذكر عنده الحديث الذي يروى عن أبي، عن النبي ﷺ في فضل القرآن، قال: لقد حدثني رجل ثقة، سماه، قال: حدثني رجل ثقة سماه، قال: أتيت المدائن فلقيت الرجل الذي يروي هذا الحديث، فقلت له: حدثني فإني أريد أن آتي البصرة، فقال هذا الرجل الذي سمعناه منه: هو بواسط في أصحاب القصب، قال: فأتيت واسطا فلقيت الشيخ فقلت: إني كنت بالمدائن فدلني عليك الشيخ، وإني أريد أن آتي البصرة، قال: إن هذا الذي سمعت منه هو بالكلاء، فأتيت البصرة فلقيت الشيخ بالكلاء، فقلت له: حدثني فإني أريد أن آتي عبادان، فقال: إن الشيخ الذي سمعناه منه هو بعبادان، فأتيت عبادان فلقيت الشيخ فقلت له: اتق الله ما حال هذا الحديث؟ أتيت المدائن فقصصت عليه ثم واسطا ثم البصرة فدللت عليك، وما ظننت إلا أن هؤلاء كلهم قد ماتوا، فأخبرني بقصة هذا الحديث، فقال: أنا اجتمعنا هنا، فرأينا الناس قد رغبوا عن القرآن وزهدوا فيه، وأخذوا في هذه الأحاديث، فقعدنا فوضعنا لهم هذه الفضائل حتى يرغبوا فيه"[2]

---

(1) أخرج القصة ابن حبان في "المجروحين" (32/1)، وأبو نعيم في "الحلية" (148/7)، والبيهقي في "القراءة خلف الإمام" (443)، والخطيب في "الرحلة" (59).

(2) أوردها الخطيب في "الكفاية" (ص401)

قال المعلمي –رحمه الله–: "لعلّ هذا الرجل قطع نحو ثلاثة أشهر مسافرًا لتحقيق رواية هذا الحديث الواحد"[1].

فانظر –رحمك الله– إلى صدق القوم وجلدهم وشدة عنايتهم وصيانتهم لسنة نبيهم ﷺ، فما كان الواحد منهم يرى أنه يسعه القعود وهو يسمع الغريب فضلا عن المستشنع المردود، فرضي الله عنهم وأعلى درجاتهم في عليين، وجمعنا بهم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

المظهر الخامس: رد الشبهات ودفع التعارض حول نصوص السنة.

مثل جهود أئمة الحديث في تصنيفاتهم في درء التعارض بين النصوص في باب مختلف الحديث ومشكل الحديث[2]، مثل ما صنفه الإمام الطحاوي، ورد الشبهات عنها مثل تصنيف ابن قتيبة رحمه الله، كتابه الفريد: تأويل مختلف الحديث.

---

(1) محاضرة في علم الرجال وأهميته، ضمن "آثار المعلمي" (222/15)، قال شيخنا محمد مطر الزهراني رحمه الله: "في هذين النموذجين بيانٌ لتلك الجهود المضنية التي بذلها السلف – رحمهم الله – في سبيل تنقية السنَّة المطهَّرة مما أدخله الزنادقة والكذَّابون عليها، وذب الكذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنَّ ما قام به هذان الإمامان – المؤمل وشعبة – ما هو إلا نموذج واحد من تلك النماذج الكثيرة التي كان يقوم بها السلف – رضوان الله عليهم – في سبيل خدمة هذا الدين والذود عن حياضه، وهذان النموذجان مثالٌ لذلك الصبر، وتلك المثابرة في طلب العلم والدقَّة في تتبع مسائله، وتحمل الجهد والمشقة في تصحيحه، ثم نشره وتعليمه للناس، فأين طلبة العلم اليوم من هذا العمل، وماذا قدَّموا لخدمة سنَّة نبيِّهمصلى الله عليه وسلم ونشرها وتعليمها للناس" تدوين السنة (ص44).

(2) ومشكل الحديث هو: ما لم يظهر المراد منه لمعارضته مع دليل آخر(سواء من القرآن أو السنة أو قياس)، أو مع العقل، ومختلف الحديث هو ما تعارض فيه حديثان–أو أكثر–في الظاهر.

والفرق بين مختلف الحديث ومشكل الحديث يمكن تلخيصه فيما يلي:

فالمختلف سببه معارضة حديث لحديث ظاهراً، بينما في مشكل الحديث قد يكون التعارض فيما يظهر بين آية و حديث ، وقد يكون بين حديثين أو أكثر ، وقد يكون في معارضة الحديث للإجماع، وقد يكون في معارضة الحديث للقياس، وقد يكون في مناقضة الحديث للعقل ، وقد يكون بسبب الغموض فيه، فيكون مفتقراً إلى قرينة خارجية تزيل خفاءه كالألفاظ المشتركة.

أيضا مختلف الحديث يستعمل الناظر فيه لإزالة الاختلاف ما أمكنه قواعد الجمع أو الترجيح، أما في مشكل الحديث فقد يكون عليه أن يزيل اللبس بقرائن. بتصرف من "رسالة مقدمات في علم مختلف الحديث" لعلي بن عبد الرحمن العويشز (ص3)، فمشكل الحديث بهذا أعم من مختلف الحديث، فكل مختلف مشكل وليس كل مشكل مختلف.

وسأتناول الحديث هنا في جانبين:

الجانب الأول: تقرير أنه لا تعارض حقيقي بين نصوص السنة ولا بين السنة والعقل السليم.

فينبغي أن يُعلم أن ما ثبت صُدورُه عن النبي ﷺ يستحيل أن يكون متعارضا حقيقة، إلا أن يكون من قبيل الناسخ والمنسوخ، كإذنه ﷺ في المتعة ثم نهيه عنها، أما أن يكون حديثان صحيحان محفوظان محكمان متعارضان حقيقة، فهذا ممتنع في حق سنَّة النبي ﷺ، وهؤلاء أئمة الشأن وأهل الرسوخ يقررون ذلك:

قال الزركشي –رحمه الله–: "القول في ترجيح الظواهر من الأخبار المتعارضة وهو إنما يكون بالنسبة إلى ظن المجتهد، أو بما يحصل من خلل بسبب الرواة، كما سبق، وأما التعارض في نفس الأمر بين حديثين صحيحين فغير صحيح، قال ابن خزيمة: لا أعرف أنه روي عن الرسول حديثان بإسنادين صحيحين متضادين، ومن كان عنده فليأت به حتى أؤلف بينهما، وقال الشافعي في الرسالة ": ولم نجد حديثين مختلفين إلا ولهما مخرج، أو على أحدهما دلالة إما موافقة كتاب الله أو غيره من السنة أو بعض الدلائل"اهـ[1].

ونقل عن الإمام الشافعي –رحمه الله– قال: "لا يصح عن النبي ﷺ أبدًا حديثان صحيحان متضادان ينفى أحدهما ما يثبته الآخر من غير جهة الخصوص والعموم والإجمال والتفسير إلا على وجه النسخ وإن لم يجده"[2].

وقال الإمام ابن خزيمة –رحمه الله–: "لا أعرف أنه رُوي عن رسول الله ﷺ حديثان بإسنادين صحيحين متضادان، فمن كان عنده فليأت به حتى أؤلف بينهما".

ويقول الإمام الشاطبي –رحمه الله–: "لا تجد البتة دليلين أجمع المسلمون على تعارضهما بحيث وجب عليهم الوقوف، لكن لما كان أفراد المجتهدين غير معصومين من الخطأ أمكن التعارض بين الأدلة عندهم"[1]

---

(1) "البحر المحيط في أصول الفقه" (167/8)

(2) "البحر المحيط" (125/8)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: "لا يجوز أن يوجد في الشرع خبران متعارضان من جميع الوجوه، وليس مع أحدهما ترجيح يقدم به"[2].

وقال ابن القيم –رحمه الله–: "وأما حديثان صحيحان صريحان متناقضان من كل وجه ليس أحدهما ناسخًا للآخر فهذا لا يوجد أصلًا، ومعاذ الله أن يوجد في كلام الصادق المصدوق الذي لا يخرج من بين شفتيه إلا الحق، والآفة من التقصير في معرفة المنقول، والتمييز بين صحيحه ومعلوله، أو القصور في فهم مراده ﷺ، وحمل كلامه على غير ما عناه به، أو منهما معًا، ومن ها هنا وقع من الاختلاف والفساد ما وقع"[3].

وباب الجمع بين النصوص التي ظاهرها التعارض أو الترجيح بينها باب واسع ولأهل العلم فيه صولات وجولات.

وأيضا فإن النقل الصحيح لا يمكن أن يعارضه العقل الصريح، وأوجز تقرير ذلك بكلمة جامعة لشيخ الإسلام قال رحمه الله: "ليس في المعقول الصريح ما يمكن أن يكون مقدما على ما جاءت به الرسل وذلك لأن الآيات والبراهين دالة على صدق الرسل وأنهم لا يقولون على الله إلا الحق وأنهم معصومون فيما يبلغونه عن الله من الخبر والطلب لا يجوز أن يستقر في خبرهم عن الله شيء من الخطأ كما اتفق على ذلك جميع المقرين بالرسل من المسلمين واليهود والنصارى وغيرهم، فوجب أن جميع ما يخبر به الرسول عن الله صدق وحق لا يجوز أن يكون في ذلك شيء مناقض لدليل عقلي ولا سمعي فمتي علم المؤمن بالرسول ﷺ أنه أخبر بشيء من ذلك جزم جزما قاطعا أنه حق وأنه لا يجوز أن يكون في الباطن بخلاف ما أخبر به وأنه يمتنع أن يعارضه دليل قطعي ولا عقلي ولا سمعي"[4].

الجانب الثاني: مثال من مشكل الحديث والجواب عنه:

---

(1) "الموافقات" للشاطبي: (341/5)

(2) "مجموع الفتاوى" (108/2)، المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الاسلام.

(3) "زاد المعاد في هدي خير العباد" (214/4)

(4) انظر "درء تعارض العقل والنقل" (172/1)

وهذا النص يشتمل على أمر غيبي أخبر به الصادق المصدوق ﷺ وصح عنه، نحاول أن ندفع عنه ما ادُعي فيه من تعارض وإشكال والله وحده الموفق.

نص الحديث:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ الْمُزَنِيِّ ﷺ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "صَلُّوا فِي مَرَابِضِ الْغَنَمِ، وَلَا تُصَلُّوا فِي أَعْطَانِ الْإِبِلِ، فَإِنَّهَا خُلِقَتْ مِنَ الشَّيَاطِينِ" [1]

قال ابن عبد البر –رحمه الله–: "حديث عبد الله بن مغفل متواتر، رواه نحو خمسة عشر رجلًا عن الحسن، وسماع الحسن من عبد الله بن مغفل صحيح" اهـ[2]

يشير إلى أن الحسن البصري –رحمه الله– مدلس إلا أنه ورد ما يؤكد سماعه للحديث منه، فقد جاء في المسند عند حديث "لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها..."[3]، وهو من رواية الحسن عن ابن مغفل، وفيه ذكر خلق الإبل من الشياطين، فقال رجل للحسن: يا أبا سعيد ممن سمعت هذا؟ قال فقال حدثنيه–وحلف–عبد الله بن مغفل، ذكر نحو ذلك الشيخ الألباني رحمه الله. والحديث صححه غير واحد من الأئمة كابن حبان وابن حزم والنووي والذهبي وابن حجر وغيرهم.

ما أورد على الحديث من إشكال:

قال أبو محمد بن قتيبة –رحمه الله– في تأويل مختلف الحديث ناقلا عمن استشكل الحديث : "رُوِّيتُمْ "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنِ الصَّلَاةِ فِي أَعْطَانِ الْإِبِلِ، لِأَنَّهَا خُلِقَتْ مِنَ الشَّيَاطِينِ" وَنَهْيُهُ عَنِ الصَّلَاةِ فِي أَعْطَانِ الْإِبِلِ لَا يُنْكَرُ، وَهُوَ جَائِزٌ فِي التَّعَبُّدِ، فَلَمَّا وَصَلْتُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهَا خُلِقَتْ مِنَ

---

(1) هذا الحديث أخرجه النسائي مختصرًا: (2/ 56)، وابن ماجه: (769)، وأحمد: (4/ 85)، ، وعبد الرزاق "مصنفه: (1602)، وابن أبي شيبة في "مصنفه" (3877)، والطحاوي في "شرح معاني الآثار"(1/ 384)، وابن حبان في "صحيحه"(4/ 601)، وابن عبد البر في "التمهيد"(5/ 302 – 303)، من طرق عن الحسن، عن عبد الله بن مغفل.

(2) "التمهيد" (2/ 333).

(3) أخرجه أبو داود (2535)، وغيره، وصححه الألباني في صحيح الجامع (5322).

الشَّيَاطِينِ، عِلِمْنَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْلَمُ أَنَّ الْإِبِلَ خُلِقَتْ مِنَ الْإِبِلِ، كَمَا أَنَّ الْبَقَرَ خُلِقَتْ مِنَ الْبَقَرِ، وَالْخَيْلَ مِنَ الْخَيْلِ، وَالْأُسْدَ مِنَ الْأُسْدِ، وَالذُّبَابَ مِنَ الذُّبَابِ"[1].اهـ

قال ابن قتيبة –رحمه الله– : "ونحن نقول إن النبي ﷺ وغير النبي يعلم أن البعير تلده الناقة، وأنه لا يجوز أن تكون شيطانة تلد جملا، ولا أن ناقة تلد شيطانا، وإنما أعلمنا أنها في أصل الخلقة خلقت من جنس خلقت منه الشياطين..." إلخ ما ذكره[2]

ثم قال: "وقد يجوز على هذا المذهب أن تكون في الأصل من نتاج نعم الجن لا من الجن أنفسها، ولذلك قال من أعنان الشياطين، أي من نواحيها، وهذا شيء لا ينكره إلا من أنكر الجن أنفسها والشياطين ولم يؤمن إلا بما رأته عينه وأدركته حواسه وهو من عقد قوم من الزنادقة والفلاسفة يقال لهم الدهرية وليس من عقد المسلمين"[3].اهـ

وأحسن ما أورده –رحمه الله– ها هنا هو أن القضية من الأمور الغيبية التي ينبغي التسليم فيها لخبر الصادق المصدوق ﷺ، وإلا فقد اقتصرت على شيء من جوابه لا كله رحمه الله.[4]

---

(1) "تأويل مختلف الحديث" (ص 204).

(2) المصدر السابق

(3) نفس المصدر

(4)وإتماما للفائدة أنقل أجوبة لبعض أئمة الحديث في أزمنة مختلفة عن هذا الاستشكال، ليزول الريب عمن وقع في نفسه ولم يقنع بما أجمله ابن قتيبة رحمه الله.

قال ابن رجب –رحمه الله– في فتح الباري: "ويجوز أنها خلقت في أصلها من نار، كما خلقت الجن من نار، ثم توالدت كما توالدت الجن".اهـ، "فتح الباري" لابن رجب (224/3)

وقال الصنعاني –رحمه الله–: "(إن الإبل خلقت من الشياطين) كلمة من ابتدأ به مثلها في خلقه من سلالة من طين أي خلقت من الجنس الذي خلقت من الشياطين وهو النار، ويحتمل أنها خلقت من نفس الشياطين ولا ينافيه قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾، إما لأن هذا تخصيص لذلك أو لأن المراد هذا التناسل المشاهد فإنه من ماء والأصل من الشياطين، (وإن وراء كل بعير شيطاناً) فيه أنها تلازمها الشياطين، ولذلك أمر من شرى بعيراً بالأخذ بذروته والتعوذ ونهى عن الصلاة في معاطن الإبل"اهـ، "التنوير شرح الجامع الصغير" (429/3)

أقول: ما أورده الأئمة في تأويل معنى خلقها من شياطين أو جن وكيفية ذلك لم يرد فيه نص يمكن تحكيمه في تعيين بعض تلك الوجوه المذكورة، فبقي أن نسلم لما أخبرنا به النبي ﷺ على ظاهره من أنها خلقت من الجن نفسها، فالله على كل شيء قدير

وهو الحكيم الخبير، أما كون الشيء المخلوق من شيء يأخذ بعض أوصافه فهذا أمر معروف وقد يكون ما في الإبل من نفور وشرود من آثار خلقها من الشياطين فبقي فيها من احتمالية الأذى والعطب الذي قد يلحق من يجاورها، لذا أُمر المسلم ألا يصلي في معاطنها، أو أن النهي لكون معاطنها محل تكثر فيه الشياطين، وقد ورد في السنة نظائر ذلك من النهي عن الصلاة في مواطن تواجد الشياطين

قال الصنعاني –رحمه الله–: "علل وجه النهي في الحديث الثاني بأنها خلقت من الشياطين فهو نهي عن الصلاة من محالها كالنهي عن الصلاة في الحمامات لأنها موضع الشياطين"اهـ. المصدر السابق (593/6).

لكن قد يعارض هذا المعنى بصلاة النبي ﷺ النافلة على ناقته مع ورود ما يدل على أن على ذروة سنام كل بعير شيطان، فيكون الأقرب في النهي عن الصلاة في معاطنها لتوقع الأذى منها لا لوجود الشياطين، ويقوي ذلك سياق حديث عبد الله بن مغفل رضي الله عنه حيث ذكر في الغنم الرحمة، فهي ساكنة لا تؤذي، وقد ذكر غير واحد من الأئمة هذا المعنى.

قال شمس الحق العظيم آبادي –رحمه الله–: "فإن الإبل تعمل عمل الشياطين والأجنة، لأن الإبل كثيرة الشراد، فتشوش قلب المصلي وتمنع الخشوع..." اهـ، انظر "عون المعبود" (218/1) و (113/2).

فالإبل فيها من النفار والشرود ما يفسد على المصلي صلاته والعرب تسمي كل مارد شيطانا كما ذكر ذلك غير واحد من أئمة اللغة، انظر "القاموس المحيط" (ص724)، "تاج العروس" (143/21)، وغيرها.

لكن قد يشكل عليه عموم النهي بمعنى أنه نهى عن الصلاة في المعاطن حتى ولو كانت خالية من الإبل حين الصلاة فإن خصصنا النهي بحال وجود الإبل في تلك المعاطن كان تحكما في النص بغير دليل، لذلك كان الأسلم والعلم عند الله العمل بالحديث مطلقا واعتبار الأمر أمرا تعبديا محضا فما ذكر لا يسلم من الاعتراض والله أعلم ونستغفر الله.

ومما يستأنس به في الباب ما أشار إليه شيخ الإسلام رحمه الله في سياق كلامه عن المسألة الخلافية المعروفة مسألة الوضوء من أكل لحم الجزور أورد كلامه هنا من باب تقوية معنى خلقها من الجن.

قال –رحمه الله– عن لحوم الإبل :"فإنَّهَا حَلَالٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ، وَلَكِنْ فِيهَا مِنْ الْقُوَّةِ الشَّيْطَانِيَّةِ مَا أَشَارَ إلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ: إنَّهَا جِنٌّ خُلِقَتْ مِنْ جِنٍّ، وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُد: الْغَضَبُ مِنْ الشَّيْطَانِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ مِنْ النَّارِ وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ، فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ، فَأَمَرَ بِالتَّوَضُّؤِ مِنْ الْأَمْرِ الْعَارِضِ مِنْ الشَّيْطَانِ فَأَكْلُ لَحْمِهَا يُورِثُ قُوَّةً شَيْطَانِيَّةً تَزُولُ بِمَا أَمَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ الْوُضُوءِ مِنْ لَحْمِهَا كَمَا صَحَّ ذَلِكَ عَنْهُ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ وَالْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ وأسيد بْنِ الحضير وَذِي الْغُرَّةِ وَغَيْرِهِمْ فَقَالَ مَرَّةً: تَوَضَّئُوا مِنْ لُحُومِ الْإِبِلِ وَلَا تَوَضَّئُوا مِنْ لُحُومِ الْغَنَمِ وَصَلُّوا فِي مَرَابِضِ الْغَنَمِ وَلَا تُصَلُّوا فِي مَعَاطِنِ الْإِبِلِ، فَمَنْ تَوَضَّأَ مِنْ لُحُومِهَا انْدَفَعَ عَنْهُ مَا يُصِيبُ الْمُدْمِنِينَ لِأَكْلِهَا مِنْ غَيْرِ وُضُوءٍ كَالْأَعْرَابِ: مِنْ الْحِقْدِ وَقَسْوَةِ الْقَلْبِ؛ الَّتِي أَشَارَ إلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺبِقَوْلِهِ الْمُخَرَّجِ عَنْهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ: إنَّ الْغِلْظَةَ وَقَسْوَةَ الْقُلُوبِ فِي الْفَدَّادِينَ أَصْحَابِ الْإِبِلِ وَإِنَّ السَّكِينَةَ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ".اهـ، انظر المجموع (10/21) وحديث الفدادين متفق عليه.

ولعل تميز الإبل في خلقها من الشياطين يدخل في عموم قول الله تعالى: "أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت" ومن نظر في خصائص الإبل ظهر له في خلقتها وصفاتها وتصرفاتها أمرا عجبا فلعل ذلك من أثر أصل خلقتها والله أعلم

يقول ابن كثير –رحمه الله–: "يَقُولُ تَعَالَى آمِرًا عِبَادَهُ بِالنَّظَرِ فِي مَخْلُوقَاتِهِ الدَّالَّةِ عَلَى قُدْرَتِهِ وَعَظَمَتِهِ: أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ؟ فَإِنَّهَا خَلق عَجِيبٌ، وَتَرْكِيبُهَا غَرِيبٌ، فَإِنَّهَا فِي غَايَةِ الْقُوَّةِ وَالشِّدَّةِ، وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ تَلِينُ لِلْحَمْلِ الثَّقِيلِ، وَتَنْقَادُ لِلْقَائِدِ الضَّعِيفِ، وَتُؤْكَلُ، وَيُنْتَفَعُ بِوَبَرِهَا، وَيُشْرَبُ لَبَنُهَا، وَنُبِّهُوا بِذَلِكَ لِأَنَّ الْعَرَبَ غَالِبُ دَوَابِّهِمْ كَانَتِ الْإِبِلُ، وَكَانَ شُرَيْحٌ الْقَاضِي يَقُولُ: اخْرُجُوا بِنَا حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ"اهـ، تفسير ابن كثير (386/8).

فما ثبت من تميز الإبل في كثير من الأمور سواء الأمور الخلقية أو الأحكام الشرعية يقوي معنى تميزها في أصل خلقتها.

وختاما ينبغي للمسلم في الأصل التسليم للنصوص الشرعية ومن ذلك ما صح عن النبي ﷺ فهو لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، والله تعالى يقول : "فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما" وليكن حال المسلم كحال الصديق الأكبر رضي الله عنه، فلا يتردد في تصديق النبي ﷺ بمجرد علمه بأن هذا صادر عنه فهو الصادق المصدوق، وهذا لا يمنع بحال من الأحوال بذل الجهد في معرفة المعاني وإدراك ما لم يتبين كيفيته مما يشكل في الأذهان بشرط ألا يكون فيه معارضة للنص أو تكلف في تأويله مما يكون تحريفا له ولا يعضده نص أو أثر عن السلف ولا وجه من لغة العرب والله وحده الموفق.

المبحث الثاني: مظاهر حفظ السنة وتجديد الدين من خلال جهود بعض العلماء المتأخرين من المعاصرين.

لقد كان لجهود علماء الإسلام في العصر الحديث جهود طيبة في خدمة السنة والذب عنها، وذلك مصداقا لما مرت الإشارة إليه من النصوص التي تدل على حفظ الله لدينه، وتيسير الأسباب لتجديده عبر القرون، وبقاء طائفة من أهل الحق منصورين على الدوام، لا يضرهم كثرة الخاذلين وقلة الناصرين؛ وفي عصرنا هذا برزت أسماء بعض أهل العلم في سماء خدمة السنة والذب عنها، نشير إن شاء الله إلى بعضهم من باب الوفاء لهم والشكر لهم، وتجديد الدعاء لهم، والثناء عليهم، وذكرهم بجميل ما صنعوا، مما وصلنا نفعه بحمد الله، وهو تتمة لهذا الفصل في مظاهر حفظ السنة وتجديد الدين من خلال جهود أهل الحديث، وسأتناول الموضوع من خلال مظهرين بارزين في جهود المعاصرين من أهل الحديث:

المظهر الأول: رد الشبهات حول السنة والانتصار للسلف وأهل الحديث.

المظهر الثاني: خدمة الحديث النبوي.

المظهر الأول: رد الشبهات حول السنة والانتصار للسلف وأهل الحديث.

فما كانت الأمة لتسلم في عصورها المتأخرة وقد ابتليت في أولها، لذلك كانت الهجمة على السنة في زماننا هذا امتدادا لتلك المحاولات الأولى إنما هي رواسب لذلك الكدر، ساقها أصحابها بأساليب أخرى فظهر في زماننا القرآنيون الجدد[1]، وظهر المستشرقون[2]، من أهل الكتاب في

---

(1) القرآنيون: طائفة ظهرت في شبه القارة الهندية، ظهرت على أيدي طائفة تنادي برد السنة مطلقا كان على رأسها: سيد أحمد خان و عبد الله جكرألوي، وأحمد الدين الآمرتسري، وآخرين وجاء بعدهم غلام أحمد برويز وأسس جمعية: أهل القرآن لأجل هذه المهمة. انظر تدوين السنة لشيخنا محمد مطر الزهراني رحمه الله: (ص(58) وانظر كتاب "القرآنيون نشأتهم عقائدهم أدلتهم"، علي محمد زينو.

(2) "والاستشراق هو مصطلح أطلقه غير الشرقيين على الدراسات المتعلقة بالشرقيين...لتاريخهم، وأديانهم، ولغاتهم، وأوضاعهم الاجتماعية، وبلدان الشرقيين، وسائر أراضيهم، وما فيها من كنوز وخيرات، وكذلك دراسة حضاراتهم وكل ما يتعلق بهم. وكان هدف الغربيين من هذا الإطلاق العام الذي يشمل كل الشرق والشرقيين مسلمين، أو غير مسلمين أن يكون غطاءً

الغرب، وأذنابهم الحداثيون والتنوريون، وظهر تبعا لذلك المفكرون في بلد العرب الذين درسوا في ظروف وأماكن مشبوهة[1] ممن يعرفون بالعقلانيين، وكل هؤلاء كانت لهم صولات وجولات في معترك حرب السنة لكنهم عادوا خائبين وغلبوا وانقلبوا هنالك صاغرين، فلن يكونوا أعلم ممن كان قبلهم من أهل الكلام، ولا هم من أولي الأحلام والأفهام، ومن اطلع على ردود أهل العلم قديما وحديثا يوقن أن بضاعة أولئك وأشباههم كما قال القائل:

حجج تهافت كالزجاج تخالها حـــقا وكل كاسر مكـسور

أما ابن القيم فأتمها بغير هذا من أجل النظم لنونيته فقال :

شـبه تهافت كالزجاج تخالها حقا وقد سقطت على صفوان

ومن يقلب صفحات ردود أهل العلم المعاصرين على هؤلاء، يلمس قوة أهل السنة ووهاء ما عليه من خالف السنة، سواء من المتعصبة المقلدين، أو المفكرين المنحرفين، أو الحداثيين والتنويريين، أو غير المسلمين من المستشرقين الحاقدين.

وسأذكر نموذجين أدلل بهما على صحة ما قلت:

النموذج الأول: من جهود العلامة المعلمي(2)(1386هـ)-رحمه الله-

للهدف الأساسي؛ الذي هو دراسة كل ما يتعلق بالإسلام والمسلمين لخدمة أغراض التبشير من جهة، وخدمة أغراض الاستعمار الغربي لبلدان المسلمين من جهة أخرى، ثم لإعداد الدراسات اللازمة لمحاربة الإسلام وتحطيم الأمة الإسلامية وتجزئتها، وتفتيت وحدتها، ثم توسعت الدراسات الاستشراقية بعد توسع الاستعمار الغربي في الشرق... فالمستشرقون هم الذين يقومون بالدراسات الاستشراقية من غير الشرقيين، ويقدمون نصائحهم ودراساتهم ووصاياهم أولًا للمبشرين؛ بغية تحقيق أهداف التنصير والتبشير، وثانيًا يقدمون نصائحهم للدوائر الاستعمارية؛ بغية تحقيق أهداف، الاستعمار بل إن كثيرًا من المستشرقين قساوسة منتظمون في السلك الكنسي، فهم بمقتضى مهنتهم أصحاب مهمات تنصيرية، وكثير من المستشرقين موظفون ببلدانهم في الدوائر السياسية والإدارية المختصة بشئون الاستعمار بصفة باحثين، أو مستشارين، أو نحو ذلك".انظر كتاب "اتجاهات فكرية معاصرة" اصدار جامعة المدينة العالمية ص283

(1) مثل أحمد أمين، وطه حسين، وأبو رية صاحب كتاب "أضواء على السنة المحمدية".

(2)وهو عبدالرحمن بن يحيى بن علي المعلمي العتمي اليمني، ولد عام: (1313هـ) الذي نشأ في بيئة علم ودين وصلاح، درس على مشايخ كثيرين في اليمن منهم:

والده الشيخ يحي، الشيخ أحمد بن مصلح الريمي، الشيخ سالم بن عبد الرحمن باصهي. الشيخ أحمد بن محمد المعلمي.

لقد ترك الشيخ المعلمي -رحمه الله- آثار علمية عظيمة، ومجهوداته في خدمة العلم الشرعي والسنة خصوصا صارت ملفت انتباه أهل العلم الكبار فضلا عمن دونهم من طلبة العلم، فبصمته في العلم فريدة فقد جمع بين تنوع المعارف وجودة التحقيق، وجمع بين تقرير الحق والرد على أهل الباطل، وله عناية بالفقه والإصول والتفسير والحديث واللغة، ولا أدل على ذلك من عناوين مصنفاته، وانتشارها لدى الخاصة من أهل العلم، مع قبولها وخدمتها ونشرها[1].

ومن أشهر مصنفاته في نصرة السنة والسلف وأئمة الحديث كتابيه:

- الأنوار الكاشفة لما في كتاب "أضواء على السنة" من الزلل والتضليل والمجازفة.
- التنكيل بما في "تأنيب الكوثري" من الأباطيل.

ورحل لهم في ديارهم، فمن بلدته قرية المحاقرة إلى الظعن إلى الحجرية وسافر إلى الهند، وله إجازة من صدر شعبة الدينيات وشيخ الحديث في كليه الجامعة العثمانية بـ(حيدر آباد الركن، عين مصححاً لكتب الحديث وما يتعلق بها وغيرها من الكتب في الأدب والتاريخ في دائرة المعارف العثمانية. وبقي بها مدة ثم سافر منها إلى مكة المكرمة في عام ١٣٧١هـ وفي عام ١٣٧٢هـ عين أميناً لمكتبة الحرم المكي الشريف حيث بقي بها يعمل بكل جد وإخلاص في خدمة رواد المكتبة من المدرسين وطلاب العلم حتى أصبح موضع الثناء العاطر من جميع رواد المكتبة على جميع طبقاتهم بالإضافة إلى استمراره في تصحيح الكتب وتحقيقها لتطبع في دائرة المعارف العثمانية بالهند، حتى وافاه الأجل المحتوم صبيحة يوم الخميس السادس من شهر صفر (1386هـ) بعد أن أدى صلاة الفجر في المسجد الحرام وعاد إلى مكتبة الحرم حيث كان يقيم وتوفي في سريره رحمه الله.

كان رحمه الله في غاية التواضع، ويكره الظهور، فقد جاء مرة الشيخ العلامة المحدث أحمد شاكر – رحمه الله– يريد زيارة الشيخ المعلمي في مكتبة الحرم المكي الذي كان الشيخ المعلمي – رحمه الله – أمينا لها (ولم يكن لهما لقاء قبل هذا) فقدم للشيخ أحمد شاكر الشاي، ولما طال انتظاره ولم يقابل الشيخ المعلمي سأل الشيخ شاكر الموظف هناك وبين له سبب مجيئه هو زيارة الشيخ المعلمي فأجاب الموظف : سبحان الله، الذي جاء بالشاي لك هو الشيخ المعلمي فتأثر أحمد شاكر حتى أنه بكى من شدة التأثر. انظر ترجمته في كتاب: "بلوغ الأماني من كلام المعلمي اليماني فوائد وقواعد في الجرح والتعديل وعلوم الحديث"، جمع وترتيب أبي أسامة إسلام بن محمود بن محمد دربالة.

(1) ويكفي للدلالة على تنوعه المعرفي أن تطالع عناوين أقسام مصنفاته وبعض عناوين كتبه من خلال المجموع الذي صدر له مؤخرا بعناية جماعة من أهل التحقيق والإتقان، على رأسهم الشيخ علي بن محمد العمران نفع الله به وجزاه الله خيرا.

وهما كتابان عظيمان في بابهما يتجلى للمطلع عليهما السمات البارزة في علم هذا العالم الفذ، الذي لقبه بعض أهل العلم بـ (ذهبي العصر) [1]، ومن تلكم السمات:

1. سعة اطلاعه في شتى علوم الشريعة.
2. تبحره في علوم السنة وبخاصة علم الرجال والتراجم.[2]
3. قوة ردوده ومتانتها وشدة الاقناع في محاورته لمن رد عليهم.
4. سمو أخلاقه وأدبه مع المخالفين.

وسأذكر هنا نقلين عنه في ردوده العلمية أدلل بهما على شيء مما ذكرت:

النقل الأول: من كتاب الأنوار الكاشفة

قال -رحمه الله- في رده على أبي رية فيما يتعلق بمطاعنه على صاحب رسول الله ﷺ أبي هريرة رضي الله عنه:

"قال-يعني أبا رية- في سياق مطاعنه في أبي هريرة رضي الله عنه: (نشأته وأصله ... لم يعرفوا شيئا عن نشأته ولا عن تاريخه قبل إسلامه غير ما ذكر هو عن نفسه ... : نشأت يتيما وهاجرت مسكينا وكنت أجيرا لبسرة بنت غزوان بطعام بطني وعقبة رجلي، فكنت أخدم إذا نزلوا وأحدوا إذا ركبوا، وكنيت بأبي هريرة بهرة صغيرة كنت ألعب بها)".

يقول الشيخ المعلمي مجيبا عن هذا: "أما أصله فقد تقدم، وهو من قبيلة شريفة كريمة عزيزة. وأما نشأته فما أكثر الصحابة الذين لا تعرف نشأتهم، حتى من خيارهم وكبارهم. وأما قوله: «نشأت يتيما الخ» فهذه القصة رويت من أوجه في إسناد كل منها مقال، ومجموعها يثبت أصل القصة، فأما الألفاظ التي تنفرد بها بعض الروايات فلا، وفي «الإصابة»: أن بسرة هذه أخت عتبة بن غزوان السلمي. وبلاد دوس بعيدة جدا عن بلاد بني سليم، فيظهر أن أبا هريرة في هجرته إلى

---

(1) نقل ذلك عن الشيخ بكر أبي زيد رحمه الله.

(2) قال فيه الشيخ الألباني رحمه الله: " عنده باع طويل في تراجم الرواة، وليس فقط الرواة الذين يتعلق بهم الحديث، بل هو واسع الاطلاع على تراج الرجال من كل الطبقات المفسرين المحدثين اللغويين..." من درس له بعنوان: "نبذة عن حياة المعلمي".

النبي – صلى الله عليه وسلم – مر ببلاد بني سليم أو قريبا منها، فوجد رفقة راحلين نحو المدينة وفيهم بسرة هذه، فصحبهم على أن يخدمهم في الطريق ويطعموه ويعقبوه. ولا يدفع هذا ما ثبت عنه في «صحيح البخاري» من قوله: «لما قدمت على النبي – صلى الله عليه وسلم – قلت في الطريق:

يا ليلة من طولها وعنائها ... على أنها من دارة الكفر نجت.

قال: وأبق لي غلام في الطريق، فلما قدمت على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فبايعته، فبينا أنا عنده إذ طلع الغلام، فقال: «يا أبا هريرة هذا غلامك»، فقلت: هو حر لوجه الله. فأعتقته» انظر «فتح الباري» (8/ 79) فقد يكون الغلام أبق منه قبل صحبته للرفقة.

وبهذا تبين أن في القصة منقبتين له: الأولى: أن إخدامه لنفسه إنما كان ليبلغ إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – ودار الإسلام. والثانية: أنه مع قلة ذات يده أعتق غلامه، شكرا لله تعالى على إبلاغه مقصده. وفي القصة عبرة بالغة، فإنه لما أذل نفسه بخدمة تلك المرأة استعانة على الهجرة في سبيل الله عوضه الله تعالى بأن زوجه إياها تخدمه فوق ما خدمها. ثم كان على طريقته في التواضع والتحديث بالنعمة والاعتبار مع الميل إلى المزاح يذكر هذه القصة ويشير إلى تكليف امرأته بخدمته على نحو ما كانت تكلفه. وقد يكون وقع منه ذلك مرة أو مرتين على سبيل المزاح ومداعبة الأهل وتحقيق العبرة. وقد ثبت عن أبي المتوكل الناجي ـ وهو ثقة ـ: «أن أبا هريرة كانت له أمة زنجية قد غمتهم بعملها، فرفع عليها السوط يوما ثم قال: لولا القصاص يوم القيامة لأغشيتك به، ولكني سأبيعك ممن يوفيني ثمنك أحوج ما أكون إليه (يعني الله عز وجل) اذهبي فأنت حرة لله عز وجل» انظر «البداية» (112/8).

فمن كانت هذه حاله مع أمة مهينة، فما عسى أن تكون حاله مع امرأته الحرة الشريفة؟ ولكن أبا رية ذكر بعض الألفاظ التي انفردت بها بعض الروايات، ثم راح يسب أبا هريرة رضي الله عنه ويرميه بما هو من أبعد الناس عنه.

وهذا مما يوضح أن أبا رية ليس بصدد بحث علمي، إنما صدره محشو براكين من الغيظ والغل والحقد، يحاول أن يخلق المناسبات للترويح عن نفسه منها، كأنه لا يؤمن بقول الله عز وجل في

أصحاب نبيه: ﴿ليغيظ بهم الكفار﴾ [سورة الفتح: 29] ولا يصدق بدعاء النبي ﷺ لأبي هريرة وأمه: أن يحببهما الله إلى عباده المؤمنين كما في ترجمته في فضائل الصحابة من «صحيح مسلم»"اهـ[1]..

النقل الثاني: من كتاب (طليعة التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل) [2]

وحكاية هذا الكتاب وسبب تأليف يبينها المعلمي –رحمه الله– فيقول:

"فرأيتُ الأستاذ تعدَّى ما يوافقه عليه أهلُ العلم من توقير أبي حنيفة وحُسْن الذبّ عنه إلى ما لا يرضاه عالم متثبِّت من المغالطات المضادّة للأمانة العلمية، ومن التخليط في القواعد، والطعن في أئمة السنة ونَقَلَتها، حتى تناول بعضَ أفاضل الصحابة والتابعين، والأئمة الثلاثة مالكًا والشافعي وأحمد وأضرابهم، وكبار أئمة الحديث وثقات نَقَلَته، والردّ لأحاديث صحيحة ثابتة، والعيب للعقيدة السلفية، وأساء في ذلك جدًّا حتى إلى الإمام أبي حنيفة نفسه، فإنه من يزعم أنه لا يتأتَّى الدفاع

---

(1) أنظر "الأنوار الكاشفة لما في كتاب «أضواء على السنة»" – ضمن "آثار المعلمي" (197/12).

(2) وهذه نبذة عما صنفه المعلمي من محاورات مع الكوثري، يقول محمد علي العمران: "ألف الشيخ محمد زاهد الكوثري (ت 1371 هـ) كتابًا عنونه بـ «تأنيب الخطيب على ما ساقه في ترجمة أبي حنيفة من الأكاذيب» انتقد فيه ما ساقه الحافظ الخطيب البغدادي (ت 463 هـ) في ترجمة أبي حنيفة من كتابه «تاريخ بغداد» من المثالب عن السالفين. وطبع كتابه في مصر عام 1360 هـ.

فلما اطلع عليه المؤلف بطلب من أحدهم ـ بعد أن اعتذر أول مرة من النظر فيه ـ رأى أنه بحاجة إلى جوابٍ مفصل عما وقع فيه الكوثري من الأخطاء العلمية والطعن في أئمة السنة ورواتها، فألف كتابًا ـ وهو في الهند ـ سماه (التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل) وقسمه إلى أربعة أقسام: قسم القواعد، وقسم الرواة، وقسم الفقهيّات، وقسم العقائد"، وكان المصنف ألف كتابا مرتبطا بالتنكيل سماه (طليعة التنكيل)، قبيل إتمام التنكيل أجمل فيه أهم المؤاخذات على الكوثري في تأنيبه، وتبع ذلك ردود بينهما فألف الكوثري: الترحيب بنقد التأنيب، بناه على أمرين: الأول: الطعن في نية المعلمي، واتهامه بالطعن في أبي حنيفة رحمه الله ومناقشته في بعض الألفاظ الجارحة، الثاني: مناقشة الشيخ في بعض الأمثلة تكلفا، فأجابه المعلمي بكتابين، أحدهما: (تعزيز الطليعة)، وثانيهما: (شكر الترحيب)، ولم يطبعا في حياته، وكل كتاباته هاته اتسمت بالعلم والحلم وغزارة المادة العلمية سواء الصنعة الحديثية التي امتاز بها، أو الجانب الفقهي وغيره" انظر "مقدمة تحقيق التنكيل، محمد علي العمران: (ضمن آثار المعلمي)" (5/9)، بتصرف واختصار.

عن أبي حنيفة إلا بمثل ذلك الصنيع فساء ما يُثْني عليه، فدعاني ذلك إلى تعقُّب الأستاذ فيما تعدَّى فيه"

لكنه عجل له بكتاب مختصر يحوي مجمل مؤاخذاته عليه، فقال: " وهذه "طليعة" له أُعَجّلها للقراء، شرحتُ فيها أمثلة من مغالطات الأستاذ ومجازفاته، وذلك أنواع:..."

وذكرها مقسمة إلى أقسام:(أوابد الأستاذ، عوامد الأستاذ، عجائب الأستاذ، غرائب الأستاذ، فواقر الأستاذ، عواقر الأستاذ، تجاهل الأستاذ، أعاجيب الأستاذ)

فمثلا قال في أوابد الكوثري: "فمن أوابد الأستاذ: تبديل الرواة. يتكلَّم الأستاذ في الأسانيد التي يسوقها الخطيب طاعنًا في رجالها واحدًا واحدًا، فربما مرَّ به الرجل الثقة الذي لا يجد فيه طعنًا مقبولًا، فيفتِّش الأستاذ عن رجل آخر يوافق ذاك الثقة في الاسم واسم الأب ويكون مقدوحًا فيه، فإذا ظفر به زعم أنه هو الذي في السند"

ومثل لهذه القضية بصنيعه في حكمه على راويين نقل عنهما الخطيب، هما: صالح بن أحمد، ومحمد بن أيوب.

فإنه تكلف في جعلهما من المطعون فيهما ومن المجروحين مع أنهما ثقتان

فقال: "في سنده صالح بن أحمد التميمي، وهو ابن أبي مُقاتل القيراطي، هرويّ الأصل"

وقال: "ومحمد بن أيوب بن هشام الرازي كذَّبه أبو حاتم"

وقد أثبت المعلمي تحريف الكوثري بتحقيق علمي دقيق يدل على تبحره في هذا الفن، وأورد قرائن قوية جدا تثبت تعمده في ذلك

فقال رحمه الله:" ومن اطلع على "التأنيب" وغيره من مؤلفات الأستاذ عَلِم أنه لا يُؤتى من جهلٍ بطريق الكشف عن تراجم الرجال الواقعين في الأسانيد، ومعرفة كيف يُعلم انطباق الترجمة على المذكور في السند وعدم انطباقها، ولا يُؤتَى من بخلٍ بالوقت ولا سآمة للتفتيش، فلا بد أن يكون الأستاذ قد عرف أكثر هذه الوجوه إن لم نَقُل جميعَها، وبذلك عَلِم لا محالة أن صالح بن أحمد الواقع في السند ليس بالقيراطي، فيحمله ذلك على المواصلة للبحث، فيجد في "تاريخ بغداد"

نفسه في الصفحة اليسرى التي تلي الصفحة التي فيها ترجمة القيراطي ـ وقد نقل الأستاذ عنها ـ يجد ثَمّة ترجمة رجل آخر "صالح بن أحمد بن محمد ... أبو الفضل التميمي الهمذاني"

وقال أيضا –بعد أن ساق ما يدل على أنه التميمي الهمذاني الثقة لا القيراطي المطعون فيه–: " وقد عرف الأستاذ هذا حقّ معرفته، والدليل على ذلك:

أولًا: ما عرفناه من معرفة الأستاذ وتيقّظه.

ثانيًا: أن ترجمة التميمي قريبة من ترجمة القيراطي التي طالعها الأستاذ.

ثالثًا: أن من عادة الأستاذ ـ كما يُعْلَم من "التأنيب" ـ أنه عندما يريد القدح في الراوي يتتبع التراجم التي فيها ذاك الاسم واسم الأب فيما تصل إليه يده من الكتب، ولا يكاد يقنع بترجمة فيها قدح، لطمعه أن يجد أخرى فيها قدح أشْفَى لغيظه"

وقال: " والمقصود هنا إثبات أن الأستاذ قد عرف يقينًا أن صالح بن أحمد الواقع في السند ليس هو بالقيراطي، بل هو ذاك الحافظ الفهم الثقة الثبت، ولكن كان الأستاذ مضطرًا إلى الطعن في تلك الرواية، ولم يجد في ذاك الحافظ مغمزًا، ووقعت بيده ترجمة القيراطي المطعون فيه، وعرف أن هذا الفن أصبح بغاية الغُربة، فغلب على ظنه أنه إذا زعم أن الواقع في السند هو القيراطي لا يردّ ذلك عليه أحد، فأما الله تبارك وتعالى فله معه حساب آخر، والله المستعان"

وكذلك الشأن في محمد بن أيوب.

قال الخطيب رحمه الله: " وأما محمد بن أيوب؛ فالأستاذ يعلم أن المشهور بهذا الاسم في تلك الطبقة، والمراد عند الإطلاق في الرواية هو الحافظ الجليل الثقة الثبت محمد بن أيوب بن يحيى بن الضريس، ترجمته في "تذكرة الحفاظ" (3/ 195)"

ثم قال في خاتمة الكلام عن هذين الراويين: " فقد بدَّل الأستاذ عمدًا في ذاك السند حافظين جليلين برجلين مطعون فيهما، وصنع ما صنع في شأن القاسم بن أبي صالح، وقد بان أنه ثقة، وأن هذه الرواية من صحيح روايته.

ومن العجائب أن الأستاذ ارتكب هذه الأفاعيل وهو يعلم أن ذلك لا يغني عنه شيئًا، ولو لم تتبين الحقيقة؛ لأن ذلك الأثر نفسه ثابت عن إبراهيم بن بشَّار من غير هذه الطريق، فقد ذكره

ابن عبد البر في "الانتقاء" (ص/148) عن "تاريخ ابن أبي خيثمة" قال: "حدثنا إبراهيم بن بشار ... " و"الانتقاء" تحت نظر الكوثري كل وقت، كما يدل عليه كثرة نقله عنه في "التأنيب".

وأعجب من هذا كلِّه وأغرب قول الكوثري بعد تلك الأفاعيل: "ولا أدري كيف يسوق الخطيب ... ولعل الله سبحانه طمس بصيرته ليفضحه بخذلانه المكشوف في كل خطوة".

وهذا المترجَّى واقع ولكن بمن؟ هكذا تكون الأمانة عند الأستاذ!"[1].

فتأمل متانة ردود المعلمي رحمه الله، جزاه الله عما قدمه خيرا ورفع به درجاته.

النموذج الثاني: جهود الشيخ السباعي(2)(1384هـ)–رحمه الله–

اشتهر الشيخ –رحمه الله– بكاتبه السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، الذي قال فيه الأستاذ الدكتور محمد أديب الصالح : "إن كتاب " السُنّة ومكانتها في التشريع الإسلامي " بما يشتمل عليه من حقائق علمية تضع السُنَّة موضعها من شريعة الإسلام، وما يقع عليه القارئ من نفس طويل في تحليل المواقف مِنَ السُنَّةِ في القديم وفي العصر الحاضر، وما يلمسه من تلك الجولات الموفقة مع أهل الانحراف من مستشرقين وغيرهم من دعاة التغريب"[3]

---

(1) انظر "طليعة التنكيل" و"تعزيز الطليعة" و"شكر الترحيب" – ضمن "آثار المعلمي" (13/9)

(2) هو الشيخ مصطفى بن حسني السباعي، ولد عام 1334هـ الموافق .1915م في مدينة حمص السورية لأسرة عريقة في العلم والتدين والجهاد. فقد كان والده حسني السباعي من علماء حمص المعدودين، وكان خطيب الجامع الكبير فيها. بدا رحمه الله تعليمه بحفظ القرآن الكريم ومبادئ العلوم الشرعية، ثم التحق بالمدارس النظامية حتى أنهى الدراسة الثانوية عام 1930م، ولم يكن التعليم النظامي المصدر الوحيد للتعليم لدى السباعي.

و في عام 1933م التحق بقسم الفقه في الجامعة الأزهرية بالقاهرة، ثم انتقل إلى كلية أصول الدين ونال الماجستير منها، أما بحثه للدكتوراه فكان بعنوان السنّة ومكانتها في التشريع الإسلامي الذي ردّ فيه على شبهات المستشرقين حول السنة وبخاصة شيخهم المجري اليهودي إجناز جولدزيهر بأسلوب علمي رصين، توفي رحمه الله عام 1064م الموافق 1384هـ". "أرشيف ملتقى أهل الحديث ترجمة الدكتور مصطفى السباعي – المكتبة الشاملة الحديثة" (ص195)

ويعتبر كتابه "الاستشراق والمسْتَشْرِقُونَ ما لهم وما عليهم"، من بين الكتب السباقة لتحليل ماهية الاستشراق وأهدافه العلمية والسياسية والعسكرية، فقد بين لنا في وقت مبكر قبل أن تتالى الدراسات الاستشراقية لتبين لنا أهداف الاستشراق ويعتبر فاتحة عهد مع الدراسات الاستشراقية. تعريف بالكتاب في المكتبة الشاملة.

(3) انظر مقدمة كتاب "السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي" (ص7)

وقال قبلها: "وبطريقة منهجية جامعة فنّد آراء المخالفين قديما وحديثا، وعرض لمواقف بعض المستشرقين والمستغربين، وكشف بالروح العلمية المنصفة مواقعهم وما وراء اتجاهاتهم من جهل وتزوير. فكان موقفه في ذلك كله موقف العالم الداعية المجاهد، الذي يقدم لك الفكرة، مؤيدا ما يجنح إليه بالحجة من مظانها .. وتلمس من وراء بحثه – كما أسلفنا – الغيرة الصادقة على السُنّة أن يعدى عليها باسم العلم وتحت عناوين المعرفة"[1]

وهو ممن يصدق عليه مقولة: "هدم صنم الاستشراق"، لما له من جهود رائدة في الحديث عن الاستشراق، وبيان حال الدراسات الاستشراقية المتعلقة بالسنة خاصة، وكتابه (الاستشراق والمسْتَشْرِقُونَ ما لهم وما عليهم) خير دليل على ذلك، وله في كتابه السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ردود علمية رصينة نصر بها السنة والسلف وأئمة الحديث من خلال رده على المستشرقين ومن تأثر بهم كأبي رية الذي مضى ذكره.

لذا اخترت أمثلة من كلامه –رحمه الله– في مناقشة المستشرق اليهودي الحاقد جولدتسيهر الذي شغل عالم المستشرقين وذاع صيته، وذلك من خلال مطاعن هذا المستشرق في السنة وفي أساطين السنة مثل محمد بن شهاب الزهري رحمه الله، فننظر تمكن أهل السنة من دحض شبهات أولئك بقوة وبراعة تورثك اليقين أن الله تعالى أيدهم في ذلك.

المثال الأول: فقال رحمه الله: "يزعم هذا المستشرق أَنَّ عبد الملك بنى قُبَّةَ الصَّخْرَةِ لِيَحُولَ بين أهل الشام والعراق وبين الحج إلى الكعبة، وأنه أراد أن يلبس عمله هذا ثوباً دينياً، فوضع له صديقه الزُّهْرِي حديث: "لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ ... إلخ"[2] فهذا لعمري عجب من أعاجيب الافتراء والتحريف والتلاعب بحقائق التاريخ:

أَوَلاً : إن المؤَرِّخِينَ الثقات لم يختلفوا في أن الذي بنى القبة (قُبَّةَ الصَّخْرَةِ) هو الوليد بن عبد الملك، هكذا ذكر ابن عساكر والطبري وابن الأثير وابن خلدون وابن كثير وغيرهم، ولم نجدهم ذكروا ولو رواية واحدة نسبة بنائها إلى عبد الملك، ولا شك أن بناءها – كما يزعم جولدتسيهر –

(1) المصدر السابق: (ص6)

(2) متفق عليه.

لتكون بمثابة الكعبة يحج الناس إليها بدلاً من الكعبة، حادث من أكبر الحوادث وأهمها في تاريخ الإسلام وَالمسْلِمِينَ، فلا يعقل أن يمر عليه هؤلاء المؤَرِّخُونَ مَرَّ الكرام، وقد جرت عاداتهم أَنْ يُدَوِّنُوا ما هو أقل من ذلك خطراً أو أهمية...

ثَانِياً: إن نص الحادثة كما ساقها جولدتسيهر بَيِّنُ البطلان، لأن بناء شيء ليحج الناس إليه كُفْرٌ صَرِيحٌ، فكيف يقدم عبد الملك عليه، وهو الذي كان يلقب بـ «حَمَامَةِ المسْجِدِ» لكثرة عبادته؟ على أن خصومه طعنوا فيه بأشياء كثيرة ولم نجدهم اتهموه بالكفر» وَلَا شَنَّعُوا عليه ببناء القبة، ولو كان الأمر ثابتاً لجعلوها في أول مَا يُشَهِّرُونَهُ بِهِ.

ثَالِثاً: أن الزُّهْرِي وُلِدَ -كما قدمنا- سَنَةَ إحدى وخمسين أو ثمان، ومقتل عبد الله بن الزبير كان سَنَةَ ثلاث وسبعين، فيكون عُمْرُ الزُّهْرِي حينذاك على الرواية الأولي اثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ عَامًا، وعلى الثانية خَمْسَةَ عَشَرَ، فهل من المعقول أن يكون الزُّهْرِيُّ في تلك السن ذائع الصيت عند الأُمَّةِ الإسلامية بحيث تتلقى منه بالقبول حَدِيثًا موضوعاً يدعوها فيه للحج إلى القبة بدلاً عن الكعبة؟

رَابِعاً: إن نصوص التاريخ قاطعة بأن الزُّهْرِي في عهد ابن الزبير لم يكن يعرف عبد الملك ولا رآه بعد، فالذهبي يذكر لنا أن الزُّهْرِي وَفَدَ لأَوَّلِ مَرَّةٍ على عبد الملك في حدود سَنَةِ ثمانين، وابن عساكر روى أن ذلك كان سَنَةَ اثنتين وثمانين، فمعرفة الزُّهْرِي لعبد الملك لأَوَّلِ مَرَّةٍ إنما كانت بعد قتل ابن الزبير ببضع سنوات، وقد كان يومئذ شاباً بحيث امتحنه عبد الملك، ثم نصحه أن يطلب العلم من دور الأنصار، فكيف يَصِحُّ الزعم بأن الزُّهْرِي أجاب رغبة صديقه عبد الملك فوضع له حديث بيت المقدس ليحج الناس إلى القُبة في عهد ابن الزبير؟.

خامساً: إن حديث: «لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ ... الخ» روته كُتُبُ السُنَّةِ كلها، وهو مروي من طرق مختلفة عن طريق الزُّهْرِي، فقد أخرجه " البخاري " عن أبي سعيد الخُدري من غير طريق الزُّهْرِي، ورواه " مسلم " من ثلاث طرق إحداهما من طريق الزُّهْرِي وثانيتهما من طريق جرير عن ابن عمير عن قزعة عن أبي سعيد، وثالثتهما من طريق ابن وهب عن عبد الحميد بن جعفر عن عمران بن أبي أنس عن سلمان الأغر عن أبي هريرة. فالزُّهْرِي لم ينفرد برواية هذا الحديث...

سَادِساً: إن هذا الحديث رواه الزُّهْرِي عن شيخه سعيد بن المسيب، ومن المعلوم أن سعيداً ما كان ليسكت عن الزُّهْرِي لو أنه وضع هذا الحديث على لسانه إرضاء لأهواء الأُمَوِيِّينَ، وهو الذي أُوذِيَ من قِبَلِهِمْ وضُرِبَ، وقد توفي سعيد (سَنَةَ 93) من الهجرة أي بعد مقتل ابن الزبير بِعِشْرِينَ سَنَةٍ، فكيف سكت سعيد عن هذا كل هذه المدة، وقد كان جبلاً شامخاً من جبال القوة في الحق لا يبالي في الله لومة لائم؟...الخ ما ذكره رحمه الله[1]، مما يؤكد أن أهل السنة والحديث بنوا منهجهم على ركن متين شديد فلا يطمع طامع في هدمه وأن يناله بكيد يوهنه.

المثال الثاني: قال السباعي رحمه الله: يزعم جولدتسيهر أَنَّ صِلَةَ الزُّهْرِيِّ بالأُمَوِيِّينَ هي التي مكنت لهم أن يستغلوه في وضع الأحاديث الموافقة لأهوائهم، ولا ندري كيف تكون الصلة بين رجل كالزُّهْرِيِّ صادق ثبت حُجَّةٌ، وبين خلفاء بني أمية علامة على استغلالهم له، وقديماً كان العلماء يتصلون بالخلفاء والملوك، دُونَ أن يمس هذا أمانتهم في شيء، وعالم مثل الزُّهْرِي، إذا اتصل بهؤلاء الخلفاء أو اتصلوا به، لا سبيل إلى أن يؤثر ذلك في دينه وأمانته وَوَرَعِهِ، والمستفيد منه على كل حال هم المسْلِمُونَ الذين يغدو شيخهم ويروح من حلقات العلم إلى مجالس الخلفاء يروي حَدِيثًا، أو يبث فكرة، أو يُبَيِّنُ حُكْمًا، أو يؤدب لهم وَلَدًا أَوْ يُذَكِّرَهُمْ بما لِلأُمَّةِ عليهم من حقوق وما للهِ عليهم من واجبات.

جاء في "العقد الفريد": «دخل الزُّهْرِيُّ على الوليد بن عبد الملك فقال له: "ما حديث يُحَدِّثُنَا به أهل الشام؟" قال: "وما هو يا أمير المؤمنين؟ " قال: "يُحَدِّثُونَنَا أَنَّ اللهَ إِذَا اسْتَرْعَى عَبْدًا رَعِيَّتَهُ كَتَبَ لَهُ الحَسَنَاتِ وَلَمْ يَكْتُبَ لَهُ السَّيِّئَاتِ!". قال الزُّهْرِي: " باطل يا أمير المؤمنين! أنبِيٌّ خليفة أكرم على الله؟ أو خليفة غير نبيّ؟ " قال: "بل نَبِيٌّ خليفة "، قال: "فإن الله تعالى يقول لِنَبِيِّهِ دَاوُدَ-عَلَيْهِ السَلَامُ-﴿ يَادَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ

(1) انظر كتاب "السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي"، للشيخ مصطفى السباعي رحمه الله (ص218)

﴾[سورة ص: 26] فهذا وعيد يا أمير المؤمنين لِنَبِيٍّ خليفة فما ظنك بخليفة غير نبيّ؟" قال الوليد: "إن الناس ليغووننا عن ديننا"».

فانظر إلى مدى ما تنتجه هذه الصلة من فائدة لِلأُمَّةِ بين رجل كالزُّهْرِي وبين خليفة كالوليد؟ ثم انظر ترى موقف الزُّهْرِي موقف عالم يخضع لتأثير البيت المالك ولا يخرج عن هواهم، ويستجيب إلى رغباتهم في وضع الأحاديث على رسول الله ﷺ؟ أم هو موقف العالم الناصح ينصح لدين اللهِ والمسْلِمِينَ وَيَذُبُّ عن سُنَّةِ رسول الله–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–أكاذيب الوَضَّاعِينَ؟ ويدفع عن خليفة المسْلِمِينَ وقوعه تحت تأثير الرُّوَاةِ الكَذَّابِينَ، فلا يستمر في ظلم ولا يتمادى في باطل!

وانظر بعد ذلك فيما رواه ابن عساكر بسنده إلى الشافعي–رَحِمَهُ اللهُ–أن هشام بن عبد الملك سأل سليمان بن يسار عن تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[سورة النور: 11] فقال هشام: «مَنْ الذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ فِيهِ؟» قال سليمان: «هُوَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ بْنِ سَلُولٍ». فقال هشام: «كَذَبْتَ: إِنَّمَا هُوَ عَلِيٌّ بْنُ طَالِبٍ»–ويظهر أن هشاماً لم يكن جَادًّا فيما يقول، ولكنه يريد أن يَخْتَبِرَ شِدَّتَهُمْ فِي الحَقِّ–فقال سليمان بن يسار: «أَمِيرُ المؤْمِنِينَ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُ»، ثم وصل ابن شهاب، فقال له هشام: «مَنْ الذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ؟»، فقال الزُّهْرِيُّ: «هُوَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ بْنِ سَلُولٍ»، فقال له هشام: «كَذَبْتَ إِنَّمَا هُوَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ». قال الزُّهْرِيُ وقد امتلأ غضباً: «أَنَا أَكْذِبُ؟ لَا أَبَا لَكَ! فَوَاللهِ لَوْ نَادَانِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنَّ اللهَ أَحَلَّ الكَذِبَ مَا كَذَبْتُ ... حَدَّثَنِي فُلَانٌ وَفُلَانٌ أَنَّ الذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ هُوَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ بْنِ سَلُولٍ»، قال الشافعي: فما زالوا يغرون به هشاماً حتى قال له: «ارْحَلْ فَوَاللهِ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَحْمِلَ عَنْ مِثْلِكَ»...".

ثم قال: "ذلك ما أثبته ابن عساكر في "تاريخه" منذ ثمانية قرون نقلاً عن الشافعي وهو إمام من أئمة الصدق والحق من قبل أن يظهر إلى عالم الوجود رجل يرمي الزُّهْرِي بالكذب وَيَتَّهِمَهُ في دينه لاتصاله بالخلفاء! أَلَا ترى في هذه الحادثة ما يَدُلُّكَ على مبلغ أمانة الزُّهْرِي، وعلى أَنَّ الصلة بينه وبين الخلفاء كانت أدنى وأضعف من أن تصل إلى دينه وأمانته؟...

ثم قال: "إِنَّ الزُّهْرِي كان من ذلك الطراز الممتاز في تاريخ الإنسانية الذين رَبَّاهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ وأخرجهم للدنيا آيات باهرات في صدق اللهجة، وسمو النفس، والترفع عن الكذب حتى ولو كان مباحاً"[1].

إلى آخر ما ذكره رحمه الله وجزاه الله خيرا عن ذبه عن السنة والصحابة رضي الله عنهم، وتأمل هذا النصر المؤزر الذي يؤيد به الله عز وجل أهل الحديث في كل صراع لهم مع أهل الباطل، وصدق الله القائل: ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾[سورة غافر:51]، والحمد لله.

المظهر الثاني: خدمة الحديث النبوي:

فقد استمرت بفضل الله جهود أهل الحديث في خدمة السنة النبوية بل شملت كل عصور الأمة الإسلامية المتعاقبة ولم تنقطع، فلا يكاد يخلو قرن من مجدد يبرز يرفع الله به علم السنة وينصرها وينشرها ويخدمها، بتقريب نصوصها أو تيسير فقهها، أو تخريج أحاديثها، أو تمييز صحيحها من سقيمها ونحو ذلك؛ وفي عصرنا وجد من أولئك أعلام اشتهروا وانتشرت جهودهم في خدمة الحديث النبوي في ظروف ظهرت فيها حاجة الأمة لتقريب السنة وتيسير العمل بها، فقد فشا الجهل بالدين وبالسنة خصوصا، لأسباب عدة منها تسلط أعداء الإسلام على ديار المسلمين، ومن تمكن أهل البدع وأعداء السنة، وغلبة التعصب والتقليد على الناس، فصارت المذاهب الفقهية عند فئام من الناس كأنها ديانات سماوية، يوالون وبعادون عليها؛ لكن لا يزال في الأمة خير ولله الحمد، فما عقمت في أحلك الظروف أن تلد أئمة يجددون للأمة دينها ويتداركون نقصها وخللها وما شوه فيها من الدين بالتكميل والإصلاح والتزيين والحمد لله رب العالمين.

وقد بزغ نجم رجلين مشهورين في هذا الزمان، نفع الله بهما نفعا كبيرا في خدمة الحديث النبوي، أحدهما مطلعه مصري والآخر شامي، وهما أحمد محمد شاكر، وثانيهما محمد ناصر الدين الألباني رحمهما الله، وقد رأيت أن أمثل بهما في هذا المبحث لما لهما من جهود طيبة في هذا الميدان.

---

(1) انظر "السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي" (ص215)

النموذج الأول: العلامة المحدث أحمد شاكر(1)(1377هـ):

أ. لمحة عن منهجه من خلال نقولات من مصنفاته:

ومن يطلع على آثاره يلمس منه نفس أهل الحديث من خلال كثير من جهوده رحمه الله، فيظهر جليا تحرره من ربقة التقليد من خلال كثير من الكلمات التي سطرها في طيات بحوثه فمن ذلك:

قوله رحمه الله: "هذه الأبحاث ليست من أبحاث الفقهاء الجامدين المقلِّدين ولا هي من أبحاث المترددين الذين يبدو لهم الحق، ثم يخشون الجهر به ولا هي من أبحاث المجردين الهدامين الذين لا يفهمون الإسلام ولا يريدون إلا تجريد الأمم الإسلامية من دينهم والثبات عليه ونصره، ولا هي من أبحاث المجددين العصريين الذين تتبخر المعاني والنظريات في رؤوسهم ثم تمتلئ بها عقولهم فيطيرون بها فرحاً ويظنون أنَّ الإسلام هو ما يبدو بعقولهم ويوافق أهواءهم وأنَّه دين التسامح فيتسامحون في كل شيء من أصوله وفروعه وقواعده؛ كلا إنما هي أبحاث علمية حرة على نهج أبحاث المجددين

---

(1) هو أحمد بن محمد شاكر بن أحمد، يُرفع نسبه إلى الحسين بن على رضى الله عنه، مصري وعالم بالحديث والتفسير ومولده ووفاته بالقاهرة. وأبوه من بلاد (جرجا)، وكان قد انصرف إلى دراسة علم الحديث بهمة لا تعرف الكلل، وكان من شيوخه والده الشيخ محمد شاكر، والشيخ محمود أبو دقيقة انتفع منه في الفقه والأصول، والشيخ عبد الله بن إدريس السنوسي، والشيخ محمد جمال الدين القاسمى الدمشقي، تولى القضاء، ومناصب أخرى في التدريس والتعليم.

أما عن إنتاجه العلمي فيتسم بالغزارة وإن كان يؤخذ عليه عدم إتمامه لكتبه الكبيرة، ومن أهم مصنفاته تحقيقه لمسند الإمام أحمد وذلك خلال 32 سنة من العمل والتحقيق والدراسة وقد أخرج منه 16 جزءًا، وحقق جزءين من سنن الترمذي، وجزءًا من ابن حبان، والرسالة وجماع العلم للشافعي والمحلى لابن حزم، وتفسير الطبري مع أخيه محمود شاكر، وسنن أبي داود مع زميله حامد الفقي، كما اهتم بتحقيق كتب اللغة والشعر مثل إصلاح المنطق والمفضليات والأصمعيات. ونتيجة لدراسته المستفيضة للحديث والفقه كان لا يتقيد بمذهب عند الإفتاء، بل ينظر في الأدلة والبراهين ثم يفتي، وهذا الأمر قاده لمخالفة القدماء والمعاصرين وجلب عليه كثيرًا من المساجلات والردود على ما يفتي ويؤلف خاصة في كتابه الشهير »أحكام الطلاق«، الذي تبنى فيه آراء ابن تيمية، فتعصب عليه المتفقهة وأتباع المذاهب وأفاضوا في القدح في هذا الكتاب الذي صار مرجعية القضاء المصري والإسلامي كله عند الإفتاء في الطلاق. انظر ترجمته في كتاب: "جهود الشيخ أحمد محمد شاكر في تحقيق وفهرسة كتب السنة النبوية الشريفة" للدكتور حسن علي الشايقي. وكتاب "ترجمة العلامة أحمد محمد شاكر وبيان جهوده العلمية"، لإبراهيم الأثري، حيث سلط فيه الضوء على كل جهوده واستوعبها.

الصادقين من السلف الصالح رضوان الله عليهم الذين كانوا يصدعون بالحق ولا يخافون لومة لائم وكانوا يخشون ربهم ولا يخشون أحداً إلاَّ الله"

وقال رحمه الله: "قد يفهم البعض من كلامي عن الإمام الشافعي أني أقول عن تقليد أو عصبية، لما نشأ عليه أكثر أهل العلم من قرون كثيرة من تفرقهم شيعاً وأحزاباً مبنيةً على العصبية المذهبية مما أضرّ بالمسلمين وأخّرهم عن سائر الأمم وكان السبب الأكبر في زوال حكم الإسلام عن بلاد المسلمين..." ثم قال:"... ومعاذ الله أن أرضى لنفسي خلةً أنكرها على الناس، بل ابحث وأجد وأتبع الدليل الصحيح حيثما وجد، وقد نشأت في طلب العلم وتفقهت على مذهب أبي حنيفة ونلت شهادة العالمية من الأزهر الشريف حنفياً، ووليت القضاء منذ عشرين سنة أحكم كما يحكم أخواني بما أذن لنا في الحكم به في مذهب الحنفية، ولكني بجوار هذا بدأت دراسة السنة النبوية أثناء طلب العلم من نحو ثلاثين سنة، فسمعت كثيراً وقرأت كثيراً ودرست أخبار العلماء والأئمة ونظرت في أقوالهم وأدلتهم، لم أتعصب لواحدٍ منهم ولم أحد عن سنن الحق فيما بدا لي..."

ولما أشار في خدمته لسنن الترمذي إلى نيته في تخريج ما قال فيه الترمذي: وفي الباب، مما لم يستوعبه جهد الشيخ المباركفوري رحمه الله، وأن ذلك صعب المنال مع قلة المراجع، قال رحمه الله: "وقد فكرت أن اتبعه –يعني المباركفوري– فيما صنع، ثم وجدته سيكون عملاً ناقصاً ووجدتني سأنسب أحاديث إلى كتب لم أرها فيها بنفسي وسأكون فيها مقلداً غيري فأبيت"

وقال معتذرا أيضا عن عدم عنايته بأقوال الفقهاء ومذاهبهم التي أشار إليها الترمذي رحمه الله: "وهذا مقصد من أعلى المقاصد وأهمها، إذ هو الغاية الصحيحة من علوم الحديث، تمييز الصحيح من الضعيف للاستدلال والاحتجاج ثم الاتباع والعمل وقد بدا لي أول الأمر أنَّ أوفي القول في ذلك ثم أحجمت، إذ لو فعلت طال الكتاب جداً ولخرج عن كل تقدير قدرناه له في طبعه ولم أجد من الوقت ما يسع القيام به على الوجه الذي أريد فاقتصرت على مسائل قليلة من دقائق مسائل الخلاف، مما اختلفت فيه أنظار العلماء ودقَّ وجه الصواب فيه، وجعلتها كالمثال لما لم أذكر يحتذيه العالم والمتعلم والمفيد والمستفيد وعلى النهج القويم الذي سار عليه أئمتنا من أهل الحديث سرت، فيما عرفت له من مسائل الخلاف لا حجة إلاَّ بما قال الله أو قال رسوله، وكلَّ أحد يُؤخَذُ

من قوله ويرد إلاَّ رسول الله ﷺ ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً﴾[سورة الأحزاب:36]، لا نقلد في ديننا الرجال ولا نُفَرِّق بين ما جمعه رسول الله ﷺولا نجمع ما فرَّق بينه فلا عذر لأحد يعلم حديثاً صحيحاً أن يخالفه لا تقليداً ولا اجتهاداً ولا استحساناً ولا استنباطاً كما قال الشافعي: "لا يجوز لأحد علمه من المسلمين عندي أن يتركه إلا ناسياً أو ساهياً"

وينوه –رحمه الله– بأهمية جهوده مع صدق نيته –فيما يحسب– وتواضع منه –رحمه الله– فقال: "وقال الحافظ الذهبي فيما رواه عنه الحافظ شمس الدين بن الجزري في كتاب المصعد الأحمد (لعلَّ الله تبارك وتعالى أن يُقَيِّض لهذا الديوان السامي من يخدمه ويُبَوِّب عليه ويتكلم على رجاله ويرتب هيئته ووضعه فإنَّه يحوى أكثر الحديث النبوي، وقَلَّ أن يثبت حديث إلا وهو فيه) وإني أرجو أن تكون دعوة الذهبي أُجيبت بما صنعت وأسال الله سبحانه الهدى والسداد والعصمة والتوفيق؛ وما أبغى أن أتَمَدَّح بعملي أو أفخر به، لكنى أستطيع أن أقول، إنَّ في بعض ما حققت من الأسانيد قد حللت مشاكل وبينت دقائق وصححت أخطاء فاتت على كثير من أئمة الحديث السابقين لا تقصيراً منهم ولا اجتهاداً منِّي ولكن هذا الديوان السامي كما سماه الحافظ الذهبي، كان مفتاحاً لما أغلق ومناراً يهتدي به في الظلمات وكان للناس إماماً حين وفق رجل لخدمته وحين حقَّق أحاديثه تحقيقاً مفصلاً وقد يكون في بعض ما ذهبت إليه من التحقيق شيء من الخطأ، فما يخلو عمل إنسان غير معصوم من الخطأ ولكنى قد أراه خطأً يهدى إلى كثير من الصواب إذ فتح للباحثين باب البحث في دقائق مغلقة ومشاكل كانت مستعصية؛ ولا يظنّ ظانّ أنّى أغلو فيما أقول فإنّى أرجو أن يكون عملي خالصاً لوجه الله وأنّ كثيراً من إخواني من علماء السنة والقائمين عليها في مصر والحجاز والشام قرأوا بعض ما كتبت وأظنُّهم موافقي على الوصف الذي وصفت والله الهادي إلى سواء السبيل"

وقال –رحمه الله– عن خدمته لسنن الترمذي: " إنما أرجو أن يجد القارئ هذا الكتاب تحفة من التحف ومثالاً يُحْتَذَى في التصحيح والتنقيح وأصلاً موثوقاً به حجة، وليعلم الناس أنَّا نتقن هذه الصناعة من تصحيح وفهارس ونحوهما، أكثر مما يتقنها كل المستشرقين ولا استثنى، وما أبغي بهذا

فخراً ولا أقوله غروراً بالنفس، وإنما أقول ما أراه حقاً لي أو علي، وقد صحَّحت قبل هذا الكتاب كتباً، منها كتابان[1]، كاد أن يبلغا من الإتقان الغاية في نظري ورأيي على الأقل، وفى نظر كثير من إخواني من أهل العلم والمعرفة..."

ب. نبذة عن بعض جهوده وخدمته للحديث النبوي.

وحسبنا أن ننقل شهادة معاصر له وصديق مقرب منه، وهو الشيخ محمد حامد الفقي–رحمه الله– حيث يقول: "أحب صديقي الشيخ احمد محمد شاكر السنة النبوية المطهرة منذ شبابه الأول – وشغف بفقهها والتعمق في علومها وروائعها ونفائس كتبها ومازال يتعهد هذا الحب وينميه ويسقيه بما يتيح الله له من التوفيق وجمع كتب الحديث وعلومه، المخطوط منها والمطبوع في كل بلدان العالم مما جعل مكتبته لا نظير لها مطلقاً عند عالم ممن أعرف، مع كثرة من أعرف في البلدان الإسلامية، وقد وهبه الله صبراً دائباً على الدرس وحافظة قوية لا يند عنها شيء وذوقاً رفيعاً في استكناه الآثار واعتبارها بالعقل والنقل وإحاطة النظر وإعمال الفكر دون[2]تقليدٍ لأحدٍ أو تقبُّلٍ لرأى من سبق وقد ساهم الأستاذ في إحياء كتب السنة مساهمة مشكورة فنشر كثيراً من كتبها نشراً علمياً ممتازاً . وكانت حياته حافلةً بالعلم والتحصيل خاصةً جهوده العظيمة في تحقيق وفهرسة كتب السنة، والكتب التي قام بشرحها أو تحقيقها هي : سنن الترمذي، جماع العلم للإمام الشافعي، المصعد الأحمد في ختم مسند الإمام أحمد لابن الجزري، خصائص الإمام أحمد للحافظ

(1) يشير إلى الكتابين الذين حققهما: كتاب (الخراج) ليحي بن آدم القرشي(203هـ)، وهو كتاب جامع في الأحكام المالية فيه أحاديث وآثار ومسائل نافعة في أبواب المعاملات المالية وهو مطبوع كذلك وقد مرت الإشارة إليه في الفصل الثاني ، وكتاب (لباب الآداب) تأليف الأمير أسامة بن منقذ(584هـ)، وهو كتاب أدبي مقسم إلى سبعة أبواب، هي: (الوصايا، والسياسة، والكرم، والشجاعة، والآداب، والبلاغة، وألفاظ من الحكمة في معان شتى)، قال الشيخ رحمه الله: " وأعانني في تحقيقه شقيقي الأصغر السيد محمود محمد شاكر ... وصديقي الفاضل محمد حامد الفقي" مقدمة كتاب لباب الأدب: (ص5).

أبي يوسف المريني، ترجمة الإمام أحمد للذهبي، مسند الإمام أحمد بن حنبل، الباعث الحثيث، شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير، شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر"

وأشير هنا إلى نموذج جليل من أعماله في خدمة السنة، ألا وهما خدمته لمسند الإمام أحمد، الذي اخترمته المنية قبل إتمامه.

أما عن المسند فيقول رحمه الله: " فكان هذا المقصد أمنية حياتي وغاية همي سنين طويلة أن اقرب هذا المسند للناس حتى وفقني الله لذلك على النحو الذي أُريد وهى أن يكون المسند بين أيدي العلماء والمتعلمين كما هو وكما ألفه مؤلفه، وأن تكون له فهارس وافية متقنة علمية ولفظية، وأعنى باللفظية فهارس الأعلام وغيرها وأعنى بالعلمية فهارس للأبواب والمسائل العلمية ترشد الباحث على ضوئها إلى كلِّ ما جاء في المسند في المعنى الذي يريده"

وقال مبينا ما بذله من جهد عظيم في سبيل ذلك: " ومكثت أيّاماً طوالاً أضع خطط العمل ومناهجه وأُغيِّر فيها وأبدّل حتى استقامت السبل ووضح المنهج"

وكان أبرز جهد له في ذلك مايلي:

1. ترقيم أحاديث الكتاب
2. وضع فهارس لأسماء الصحابة رضي الله عنهم، مرتبة على حروف المعجم يسهل الوصول إلى مسانيدهم، ورقم أحاديث ذلك الصحابي حيث يصل الباحث إلى أحاديثه حتى لو كانت أثبتت في مسند غيره، وهذا حاصل في بعض الأحاديث.
3. وضع فهرس للغريب والألفاظ اللغوية التي تحتاج شرحا، ويرجع خاصة إلى النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، والفائق في غريب الحديث للزمخشري.
4. وضع فهارس علمية للأحاديث تسهل الوصول إلى أحاديث الباب في محصورة في موضع واحد بدل ما يبقى الباحث يفتش عنها في مسانيد متعددة عن الصحابة رضي الله عنهم.
5. الحكم على الأحاديث إجمالا صحة وضعفا، وإذا الراوي مختلف فيه يرجح ما يراه فيه، وقد يخرج بعض الأحاديث بذرك من أخرجها من أصحاب الكتب الأخرى.

6. يشير إلى تكرار الأحاديث بأن يشير عند الحديث المتأخر إلى رقم الحديث المتقدم، ويذكر كلمة (مكرر)، وكلمة(مطول) إن المتأخر بسياق أطول، أو كلمة(مختصرا) إن كان المتأخر مختصرا، وهذه فائدة قيمة في باب جمع ألفاظ الحديث الواحد.

7. لم يتعرض للمسائل الفقهية ونحوها.

وقال رحمه الله مبينا عظيم الجهد الذي بذله في هذه الفهرسة: "وقد قرأت من اجل هذا الفهرس كل فهارس كتب السنة، وكتب الفقه، وكتب السير، وكتب الأخلاق، التي يُسِّرَ لي الحصول عليها، وتخيرت في ترتيبها أقرب الطرق إلى عقل المحدث والفقيه، بعد أن قسمتها إلى كتب جاوزت الأربعين فيها اكثر من ألف باب، والمقصد الأول من هذا كله، تقريب الإفادة من هذا المسند الجليل إلى الناس عامة وأهل الحديث خاصة، حتى يصلوا على كنوز السنة النبوية التي يعسر الوصول عليها"

وقال أيضا: " وقد بذلت جهدي في التحقيق والتوثيق وفى العناية بهذه الفهارس التي هي كما سميتها مفاتيح الكنوز- وأرجو أن يكون عملي هذا محققاً لكلمة الأمام احمد لابنه عبد الله: (احتفظ بهذا المسند فإنه سيكون للناس إماماً)"

مع أنه -رحمه الله- لم يتم ما ابتدأه[1]، لكن عمله هذا كان أسوة لمن أتى بعده وأتمه، والفضل -بعد الله- للسابق.

يقول الشيخ الدكتور عبد الكريم الخضير:-بعد أن أشار إلى الطبعة القديمة للمسند طبعة الميمنية- " ثم طُبِع بعد ذلك بتحقيق الشيخ أحمد شاكر في خمسة عشر جزءًا أي: ما يُعادل ربعَ الكتاب، والسر في هذا أن الشيخ تنوَّعت اهتماماته وصارت عنده مشاريع كثيرة، أكثر من كتاب في آنٍ واحد، ثم اخترمتْه المنية قبل أن يكمل هذه الكتب، أكمل المفردات التي في مجلد واحد مثل

(1) فقد اخترمته المنية قبل إتمامه رحمه الله، وهذا يذكرنا بهمم العلماء الذين انقضت أعمارهم في خدمة السنة فماتوا وبقيت همهم من بعدهم، وهذا ابن الجزري رحمه الله يحكي عن شيخه الحافظ ابن كثير رحمه الله أنه قال متأسفا على عدم اتمامه مشروعه العظيم "جامع السنن والمسانيد" قال: "لا زلت أكتب فيه في الليل والسراج ينونص حتى ذهب بصري معه، ولعل الله أن يقيض له من يكمله..." المصعد الأحمد: (ص23)، فأين نحن من هؤلاء؟.

(الرسالة) للشافعي، و(جماع العلم) له، وبعض الكتب المفردة..." ثم قال: " وتحقيقه (للمسند) من أفضل التحقيقات العلمية، منهاج ينبغي أن يحتذيه طالب العلم الذي يريد التحقيق، بِغضِّ النظر عن تساهل الشيخ أحمد في أحكامه على الرجال وأحكامه على الأحاديث في التصحيح والتضعيف، لكن يبقى أن الشيخ يمتاز بدِقَّة نظره وانتقائه للألفاظ الراجحة من النُّسَخ، ويوصي بعضُ المحققين أن يُدَرَّس منهج الشيخ أحمد شاكر في تحقيق كتاب (الرسالة) للإمام الشافعي على طلاب الدراسات العليا الذين يُتوقع منهم أن يساهموا في تحقيق الكتب، وبالفعل شيء مجرب، الشيخ في تحقيقه للمجلدين من (الترمذي)، وتحقيقه للربع الأول من (المسند)، وتحقيقه (للرسالة) وغيرها من الكتب: إبداع..." [1]

فرحمه الله وجزاه عما قدم للإسلام والسنة النبوية خيرا.

النموذج الثاني: الإمام المجدد محمد ناصر الدين الألباني(2)(1420هـ) –رحمه الله–

(1) من أجوبة الشيخ في برنامج فتاوى نور على الدرب، الحلقة الثلاثون، 1432/3/9هـ.

(2) هو محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني ولد عام 1333 هـ الموافق 1914 م في مدينة أشقودرة عاصمة دولة ألبانيا – حينئذ – عن أسرة فقيرة متدينة يغلب عليها الطابع العلمي، فكان والده مرجعاً للناس يعلمهم و يرشدهم. وكان أبوه قد هاجر بأهله وولده إلى دمشق الشام للإقامة الدائمة فيها بعد أن انحرف أحمد زاغو (ملك ألبانيا) ببلاده نحو الحضارة الغربية العلماني، تعلم من والده القرآن الكريم، و التجويد، و النحو و الصرف، و فقه المذهب الحنفي، و قد ختم الألباني حفظ القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم، كما درس على الشيخ سعيد البرهاني مراقي الفلاح في الفقه الحنفي و بعض كتب اللغة و البلاغة، هذا في الوقت الذي حرص فيه على حضور دروس و ندوات العلامه بهجة البيطار.

ومن شيوخه بعد والده: الشيخ سعيد البرهاني، والشيخ محمد راغب الطباخ رحم الله الجميع، أخذ عن أبيه مهنة إصلاح الساعات، أُلهم –رحمه الله– التوجه إلى الحديث النبوي، مع وجوده في جو حنفي متعصب، وكان قد تأثر بالشيخ محمد رشيد رضا من خلال بحوثه في مجلة المنار، كان أول عمل حديثي قام به هو نسخ كتاب "المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار" للحافظ العراقي (رحمه الله) مع التعليق عليه، كان ذلك العمل فاتحة خير كبير على الشيخ الألباني حيث أصبح الاهتمام بالحديث و علومه شغله الشاغل، فأصبح معروفاً بذلك في الأوساط العلمية بدمشق، حتى إن إدارة المكتبة الظاهرية بدمشق خصصت غرفة خاصة له ليقوم فيها بأبحاثه العلمية المفيدة، بالإضافة إلى منحه نسخة من مفتاح المكتبة حيث يدخلها وقت ما شاء.

ومن أوائل مصنفاته تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، و من أوائل تخاريجه الحديثية المنهجية أيضاً كتاب "الروض النضير في ترتيب و تخريج معجم الطبراني الصغير" ولا يزال مخطوطا.

لمحة عن جهوده في خدمة الحديث النبوي والسمات البارزة عليها:

من غير المبالغ فيه أن يقال ما قاله الشيخ ابن باز –رحمه الله–: "ما رأيتُ تحت أديم السماء عالماً بالحديث في العصر الحديث مثل العلامة محمد ناصر الدين الألباني" وقد شهد له بأنه مجدد العصر في علم الحديث.

وما قاله شيخنا عبد المحسن العباد –حفظه الله–: "إنسان خدم السنة وأفنى حياته في الاطلاع على أحاديث رسول الله ﷺ والبحث فيها وبيان ما يصح وما لايصح والذي ينبغي للإنسان أن يدعو له ويثني عليه ويستفيد من علمه، والحقيقة الناس في هذا الزمان–هكذا قال– هناك شخصان ما يستغني المشتغل بالحديث عن الرجوع إليهما: الحافظ ابن حجر والشيخ الألباني" ثم قال: "الذي حصل من الألباني فيما يتعلق بالحديث هو خدمة فائقة، وعناية تامة في السنة في تسهيل الوصول إليها وفي تقريبها لطلاب العلم، فهو حقيق بأن يثنى عليه وأن يدعى له"

وقد نقل عنه العلامة المعلمي –رحمه الله– في وقت مبكر قبل شهرته وذلك في الأنوار الكاشفة (ص128) فقال: "و في كتاب " فضائل الشَام " للربعي سبع عشرة حكاية عن كعب قال فيها مخرّجه الشيخ ناصر الدَين الأرناوط: " كلَ الأسانيد لا تصح"، و في هذا تصديق لما قلته مرارا أنَ غالب ما يروى عن كعب مكذوب عليه..."

اشتغل بالدعوة والتدريس ونشر العلم إلى جانب التصنيف والتحقيق والتخريج

وجهوده العلمية كثيرة جدا يعسر حصرها في هذا البحث، فللشيخ مؤلفات عظيمة و تحقيقات قيمة، ربت على المئة، و ترجم كثير منها إلى لغات مختلفة، و طبع أكثرها طبعات متعددة و من أبرزها، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، وسلسلة الأحاديث الصحيحة و شيء من فقهها و فوائدها، سلسلة الأحاديث الضعيفة و الموضوعة و أثرها السيئ في الأمة، وصفة صلاة النبي من التكبير إلى التسليم كأنك تراها.

أثنى عليه علماء العصر قاطبة كالشيخ ابن باز وابن عثيمين، ومحمد الأمين الشنقيطي رحمهم الله وشهدوا له بالفضل.

أختير ورشح رحمه الله لجائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية من منح الجائزة عام 1419هـ / 1999م ، و موضوعها "الجهود العلمية التي عنيت بالحديث النبوي تحقيقاً و تخريجاً و دراسة" تقديراً لجهوده القيمة في خدمة الحديث النبوي تخريجاً و تحقيقاً ودراسة و ذلك في كتبه التي تربو على المئة. انظر ترجمته في كتاب "حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه" لمحمد إبراهيم الشيباني.

ومصنفات الشيخ في الحديث خير دليل على جهوده العظيمة، وقد لقيت قبولا لدى أهل العلم، وسدت كثيرا من الثغرات، وجددت لدى كثير من المشتغلين بالعلم الهمة في الاشتغال بالسنة.

ويكفي في بيان مجهوداته في خدمة السنة والحديث أن نسرد بعض السمات والملامح التي تميز بها طرحه من خلال بعض آثاره التي تركها في الساحة العلمية بل الأثر الذي تركه على كثير من المسلمين عامة:

1. **كان له الأثر العظيم في عودةِ الناس إلى العمل بالسنة النبوية خاصة في العبادات، كالصلاة والحج وغيرها، ونبذِ التقليد الأعمى والتعصب**

وقد شهَّر -رحمه الله- أقوال الأئمة الأربعة في تصريحاتهم بأنه: إذا صح الحديث فهو مذهبي، وأن على أتباعهم والآخذين عنهم عرض أقوالهم على الكتاب والسنة، ومن أمثلة ذلك كتابه: (صفة صلاة النبي ﷺ من التكبير إلى التسليم كأنك تراها) وفي مقدمته علم غزير في هذا المعنى.

2. **أثره في تمييز الضعيف والصحيح من السنة، تقريبا للسنة للعمل بها وفهمها، وكتبه في هذا الباب كثيرة من أشهرها وأظهرها نفعا:**

- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها.
- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة.

ويظهر ذلك أيضا من خلال خدمته النافعة للكتب التي قرب للأمة الانتفاع بها أكثر مثل:

- صحيح الجامع الصغير وزياداته.
- صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب.

وفي مجال فقه السنة انتفع الناس وطلبة العلم بتخريجاته، مثل:

- صحيح سنن أبي داود.
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، وقد لقي هذا الكتاب ثناء كثير من أهل العلم.
- تمام المنة في التعليق على فقه السنة.

- غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام.

3. وصنف وخرج الأحاديث والآثار في كتب الاعتقاد، مثل:

- تخريج كتاب الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام
- تخريج كتاب الرد على الجهمية للدارمي
- تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد.
- قصة المسيح الدجال ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام.

4. وصنف في أبواب الفقه ما هو ثري بالسنن والآحاديث الثابتة الصحيحة والفوائد العلمية القيمة، وملاحق لبيان المخالفات والبدع، مثل:

- أصل صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم.
- الإسراء والمعراج وذكر أحاديثهما وتخريجها وبيان صحيحها.
- حجة النبي صلى الله عليه وسلم كما رواها عنه جابر ﷺ.
- مناسك الحج والعمرة في ضوء الكتاب والسنة وآثار السلف.
- صلاة التراويح.
- جلباب المرأة المسلمة.
- آداب الزفاف في السنة المطهرة.

5. وذب عن السنة وأهل الحديث في مصنفات عديدة، مثل:

- دفاع عن الحديث النبوي والسيرة.
- منزلة السنة في الإسلام.
- الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام.[1]

---

(1) هذا ما يتعلق الخدمات المباشرة للحديث النبوي، وإلا فله جهود متنوعة في مجالات أخرى وله مناظرات علمية وأخرى مع المخالفين، وردود في بعض مصنفاته وأخرى مفردة:

ومن ردوده رده على ابن حزم في إباحة آلات الطرب، ورد على الغماري، والصابوني، وأبي غدة وغيرهم.

وله كتاب: "نقد نصوص حديثية في الثقافة العامة".

فرحمه الله وجزاه عما قدم للأمة خيرا.

وهؤلاء الأعلام الذين مثلت بهم، لم ينفردوا بتلك الجهود المعتبرة في خدمة السنة، وخدمة الإسلام عموما، فهناك كثير من الجهود المشكورة لأعلام آخرين في شتى البلاد الإسلامية، لكن يمكننا القول أن هؤلاء من الذين تميزوا واشتهروا وحصل على أيديهم النفع العظيم في مجال خدمة السنة والحديث النبوي، ولا ندعي فيهم وفي أعمالهم الكمال، بل ما منهم إلا راد ومردود عليه، وليسوا هم في درجة واحدة، ولا زال أهل العلم قديما وحديثا يختلفون، والعبرة بما غلب على الرجل، فليس من رفع راية علم السنة والذب عنها وأفنى عمره في خدمتها، ولو وقعت من الزلة والزلات، كمن رفع راية البدعة وكثرت شذوذاته وفواقره، والأمر كما قال الإمام الذهبي –رحمه الله–: "لو أننا كلما أخطأ إمام مجتهد في مسألة خطأ مغفورا له هجرناه وبدعناه، لما سلم أحد من الأئمة، والله الهادي للحق، والراحم للخلق"[1].

وناظر في كثير من المسائل العلمية والفقهية، وناظر بعض المخالفين لمنهج السلف.

وله جهوده الدعوية ونصرته للسنة ودعوته للعودة إلى فهم السلف الصالح، وهذا قد اشتهر عنه من خلال محاضراته ودروسه ومجالسه التي بلغت الآفاق مثل كتبه، فمن مظاهر نصرته للسنة والدعوة إليها –إضافة لما مر ذكره من مصنفاته القيمة–، أنه زار عددا من الدول الإسلامية مثل الكويت و الإمارات و ألقى فيهما محاضرات عديدة، وزار أيضا عدداً من دول أوروبا، و التقى فيها بالجاليات الإسلامية و الطلبة المسلمين، و ألقى دروساً علمية مفيدة.

ومن أشهر محاضراته القيمة في نصرة السنة:

1. محاضرة طبعت فيما بعد بعنوان "الحديث حجة بنفسه في العقائد و الأحكام"، ألقاها بأسبانيا تلبية لدعوة اتحاد الطلبة المسلمين هناك.
2. زار قطر و ألقى فيها محاضرة بعنوان "منزلة السنة في الإسلام."
3. وله محاضرة بعنوان: "هذه دعوتنا" دعا فيها رحمه الله إلى العودة إلى الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح.

(1) ذكرها في ترجمة محمد بن نصر المروزي، من تاريخ الإسلام: (1045/6).

الخاتمة

من خلال هذه الفصول والمباحث في بيان منزلة السنة ومكانة السلف وعلم السلف، وكذلك جهود المحدثين في خدمة هذا التراث العظيم الذي توارثوه خلفا عن سلف، يظهر مصداق ما أخبر به نبينا ﷺ من حفظ الله لدينه ويلزم من ذلك حفظ الكتاب والسنة فهما قوام دين الإسلام، وثبوت خيرية القرون الأولى الذين ثبت لهم ثناء الله ﷻ وثناء نبيه ﷺ، وبيان ذلك مما توصلت إليه من النتائج التالية:

أولا: كثرة الأدلة من كتاب الله ﷻ على علو منزلة السنة وحجيتها وضرورتها لفهم كتاب الله ﷻ، وهي متنوعة فمنها ما يدل على وجوب طاعة الرسول ﷺ استقلالا، ومنها ما فيه الأمر بالرجوع إليه عند النزاع، ومنها ماجعل البيان لكتاب الله ﷻ موكولا للرسول ﷺ، وغير ذلك من الدلالات المتنوعة.

ثانيا: أن من دلائل النبوة ما أخبر به النبي ﷺ من ظهور منكري الإحتجاج بالسنة، وأن السنة دلت على حجية ما صدر منه ﷺ مما صح عنه من غير تفريق، سوى ما كان صادرا منه عن بشريته ﷺ وقد تميز ذلك في مواقف معدودة نبه عليها هو ﷺ.

ثالثا: أن السلف من أصحاب النبي ﷺ رضي الله عنهم ومن بعدهم لم يكن لديهم تردد في حجية السنة ولزوم العمل بها، وأن ذلك من تعظيم الرسول ﷺ، وكانوا قدوة لمن بعدهم في ذلك.

رابعا: أن السلف الأوائل من الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم من القرون الأولى وردت فيهم نصوص صريحة في تفضيلهم، تثبت بيقين مكانة ما كانوا عليه من العلم والفهم والعمل، فهم خير الناس من هذه الأمة ـ في الجملة ـ وهذا مصداق ما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ.

خامسا: أن السلف كانوا الحلقة الأولى في الرواية التي حفظ بها الكتاب والسنة، واللبنة الأساس بعد الرسول ﷺ في بناء صرح تراث هذه الأمة العظيم، فمن تنكر لهم أو استغنى ﷺ جهودهم كان منقطعا عن الرسول ﷺ، فكيف بمن يطعن فيهم؟

سادسا: اختصاص هذه الأمة بالرواية والأسانيد الموثوقة، مما شهد به حتى غير المسلمين من المستشرقين والمؤرخين، وكان أهل الحديث هم أولى الناس بهذا الشرف وهذه الميزة.

سابعا: تبين لنا الجهود العظيمة لأهل الحديث عبر عصور الأمة المتطاولة في خدمة السنة والحديث النبوي، من خلال مظاهر متعددة من الرواية والكتابة والتصنيف والجرح والتعديل ونحو ذلك، مما ابتكروه لحفظ السنة وصيانتها، رغم الصعاب والفتن والأحداث العظام، التي لولا موعود رب العالمين بحفظ دينه لطمست معالم الكتاب والسنة فيما هو دون ذلك من الفتن، كما حصل لغير أمة الإسلام.

ثامنا: تنوع مصنفات أهل الحديث كان له الأثر العظيم في ازدهار علوم الشريعة وعموم نفعها، فقد صنفوا في الاعتقاد وأصول الدين، وفي التفسير وعلوم القرآن، والفقه، والغريب، وغير ذلك، فلا يستغني عن جهودهم مفسر ولا فقيه وكل مشتغل بعلوم الشريعة، فمصنفاتهم كانت باكورة التصنيف في شتى العلوم وامتازت بالمصداقية والتوثيق المبكر للسنة وفقه السلف في كل العلوم الأصيلة.

تاسعا: قد حصل ما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ من بعث مجددين لدين الله ﷻ في كل القرون وحفظ السنة تبعا لذلك بسماعها وتبليغها وتمييز ما ثبت منها مما لم يثبت.

عاشرا: تنوع جهود أهل الحديث في حفظ وتجديد الدين بدأ من السلف الأوائل إلى عصرنا هذا، من خلال مظاهر متعددة من الرواية أو التصنيف أو المناظرة والردود على أهل الباطل، وقد سخر الله ﷻ في كل محنة طائفة من أهل العلم أقاموا علم السنة ودحروا الباطل وأهله، وبينوا الحق وسبيل النجاة عند الافتراق، فكان الأمر كما أخبر نبينا ﷺ: " قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك ومن يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ..."الحديث[1].

(1) رواه الإمام أحمد :(126/4) وغيره وتخريجه في الصحيحة: (610/2)

وأسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يحفظنا بالإسلام قائمين وأن يحفظنا به قاعدين وأن يحفظنا به راقدين، وأن يغفر لمشائخنا أجمعين، ومن كان عونا لنا في الاشتغال بالسنة وعلومها، وأن يجزي خيرا كل من تعلمنا منه علما قليلا أو كثيرا، وأن يغفر لنا خطأنا وعمدنا وهزلنا وجدنا وكل ذلك عندنا، اللهم إنا نعوذ بك من علم لاينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع، ومن دعاء لا يسمع، نعوذ بك من هاته الأربع، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، والحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه.

الفهارس

- فهرس الآيات.
- فهرس الأحاديث.
- فهرس المحتويات.
- فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الآيات

أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض.....23
أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا.....29
النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم.....169
اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي.....157, 4
إن أتبع إلا ما يوحى إلي.....89
إن الحكم إلا لله.....168
إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا.....110
إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي.....29
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى.....29
إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.....197
إنا نحن نزلنا لذكر وإنا له لحافظون.....174.111.90
بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ.....90.19
تلك أمة قد خلت قد خلت لها ما كسبت.....71
حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير.....173
ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ.....54
رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ.....18
سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا.....11
شياطين الانس والجن يوحي بعضهم إلى بعض.....158
فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ.....55
فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ.....21
فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ.....173.21
قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا.....17
قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي.....86
قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف.....11
قل ما كنت بدعا من الرسل.....90
كنتم خير أمة أخرجت للناس.....57, 37
لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ.....58
لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ.....29
لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة.....34
لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا.....18.4
لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ.....58
مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ.....58
من يطع الرسول فد أطاع الله.....18
هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ.....18

وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب 22
وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ 18
وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ 17
وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا 17
وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ 196
والذين جاؤوا من بعدهم 70
والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا 72, 68
وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ 57
والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى 89
وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما 169
وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ 18
وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة 170
وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا 30
وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا 85.21
وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ 32.17
وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا 200.21
وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ 59
وما نتنزل إلا بأمر ربك 89
وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ 85.20
وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى 54
وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ 70
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ 21
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ 17
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ 17
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ 17
يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لايضركم من ضل إذ اهتديتم 170
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ 41
يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم 168
يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ 157
يَادَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ 195
يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ 17

فهرس الأحاديث

ابنا العاص مؤمنان هشام وعمرو 69
إذا ذكر أصحابي فأمسكوا 61
أَسْلَمَ النَّاسُ وَآمَنَ عَمْرُو بْنُ العَاصِ..... 69
اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق..... 104.87.27
اكتب يا علي هذا ما صالح عليه محمد رسول الله..... 169
ألا إني أوتيت الكتاب، ومثله معه 87
ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني 27
الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ..... 45
اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ هادِيًا مَهْدِيًّا، وَاهْدِه، وَاهْدِ بِه 69
اللهم علِّم معاوية الكتاب والحساب 69
إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ 68
أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ مِنَ السَّمَاءِ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ..... 23
إِنَّ الْغِلْظَةَ وَقَسْوَةَ الْقُلُوبِ فِي الْفَدَّادِينَ أَصْحَابِ الْإِبِلِ..... 181
إن الله عز وجل يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة 159
إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَجَارَ أُمَّتِي أَنْ تَجْتَمِعَ عَلَى ضَلَالَةٍ..... 55
إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوه بيده 170
أن النبي ﷺ نزل عليه، فنزل النبي ﷺ في السفل، وأبو أيوب في العلو 42
إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة..... 60
أَنَّ رَسُولَ اللَّهِﷺ اصْطَنَعَ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ وَكَانَ يَلْبَسُهُ 43
أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَبَ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا..... 40
أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَأَى خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ فِي يَدِ رَجُلٍ، فَنَزَعَهُ فَطَرَحَهُ 43
إن روح القدس نفث في روعي 89, 85
إن قتلت في سبيل الله، وأنت صابر محتسب، مقبل غير مدبر..... 88
أَنَّ قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ 172
إن كذبا علي ليس ككذب على أحد 174.83
أنتم أعلم بأمر دنياكم..... 33
إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به..... 33
أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا يَخْذِفُ، فَقَالَ لَهُ :لَا تَخْذِفْ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنِ الخَذْفِ..... 44
إني مما أخاف عليكم من بعدي..... 88
أي المدينتين تفتح أولا القسطنطينية أو رومية 104
أيحسب أحدكم متكئا على أريكته 27
أين الذي سألني عن العمرة آنفا 87
بل هو من أهل الجنّة..... 42
بلغوا عني ولو آية..... 93, 26

بينما رسول الله ﷺ يقسم الفيء جاء عبد الله ذو الخويصرة التميمي 158
بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل 165
تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها 211
تسمعون ويسمع منكم ويسمع ممن سمع منكم 92.26
تقتله الفئة الباغية 68
ثَلَاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ 96
جَعَلَ يَرمُقُ أصحابَ النبي ﷺ بعينَيْهِ 39
خذوا عني مناسككم 35, 20
خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ يَلُونِي 61
خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْقَرْنُ الَّذِينَ بُعِثْتُ فِيهِمْ 61
دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم 158
دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ 25
سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ 62
صَلُّوا فِي مَرَابِضِ الْغَنَمِ، وَلَا تُصَلُّوا فِي أَعْطَانِ الْإِبِلِ 180
صلوا كما رأيتموني أصلي 35
صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا 25
فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا 159
فمن رغب عن سنتي فليس مني 12
قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها 211
قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِر 170
كان نبي الله ﷺ إذا أنزل عليه كرب لذلك 88
كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى 25
لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته 27
لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين 160
لَا تَكْتُبُوا عَنِّي 103
لا تمنعوا إماء الله أن يصلين في المسجد 45
لا يشرب الخمر رجل من أمتي 95
لَأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللَّهِ 24
لما استوى رسول الله ﷺ يوم الجمعة قال :اجلسوا 44
لَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ مَكَّةَ قَامَ فِي النَّاسِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ 103
لَمَّا فَتَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَيْبَرَ، أَصَبْنَا حُمُرًا خَارِجًا مِنَ الْقَرْيَةِ 44
لَنْ تُؤْتَوْا شَيْئًا بَعْدَ كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ مِثْلَ الْعَافِيَةِ 40
لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها 180
لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ مِثْلًا بِمِثْلٍ حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ 60
لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ 26
مَا زِلْتُمْ هَاهُنَا؟ "قُلْنَا :يَا رَسُولَ اللهِ صَلَّيْنَا مَعَكَ الْمَغْرِبَ 61
ما كان لنا خمر غير فضيخكم هذا الذي تسمونه الفضيخ 43

مررت مع رسول الله ﷺ بقوم على رءوس النخل.....33
من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى.....18
مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ دَخَلَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَ 175
من حدث عني بحديث يرى أن كذب 174
من حدَّثَ عنِّي حديثًا وَهوَ يرى أنَّهُ كذِبٌ 83
من رغب عن سنتي فليس مني.....35
مَنْ سَتَرَ مُؤْمِنًا فِي الدُّنْيَا عَلَى خُرْبَةٍ.....94
من سنَّ في الإسلام 12
مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّار 83.45
مَنْ يَبْسُطْ رِدَاءَهُ حَتَّى أَقْضِيَ مَقَالَتِي 93
نضر الله امرءا سمع منا حديثا فحفظه.....92
نضر الله امرءا سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه.....92.26
نضر الله عبدا سمع مقالتي فوعاها وحفظها 92
وأصحابي أمنة لأمتي 164
وَالدَّاعِي مُحَمَّدٌﷺ ، فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ 25
وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ.....32
والله لأنت الآن أحب إلي من نفسي يا رسول الله 40
يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، يَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ 61
يَحْشُرُ اللَّهُ الْعِبَادَ أَوْ قَالَ يَحْشُرُ اللَّهُ 94
يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ 159

فهرس المصادر والمراجع

1 الإبانة الكبرى لابن بطة، لأبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري (387هـ) المحقق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض

2 الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (354هـ) ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (739 هـ) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت ط1، 1408 هـ - 1988 م

3 الإحكام في أصول الأحكام، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (456هـ) المحقق: الشيخ أحمد محمد شاكر قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت

4 إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، لأحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (923هـ) الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر ط7، 1323 هـ

5 إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول، للشوكاني (ت 1250هـ) المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق - كفر بطنا قدم له: الشيخ خليل الميس والدكتور ولي الدين صالح فرفور الناشر: دار الكتاب العربي ط1، 1419هـ - 1999م

6 الاستقامة، لشيخ الإسلام (728هـ) المحقق: د. محمد رشاد سالم الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود - المدينة المنورة ط1، 1403هـ.

7 الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لشيخ الإسلام (728هـ) الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط1، 1418هـ

8 آثار عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني عبد الرحمن بن يحيى المُعَلِّمي اليماني (1313 - 1386 هـ) المحقق: مجموعة من الباحثين منهم المدير العام للمشروع علي بن محمد العمران الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع ط1، 1434 هـ

9 أصول السنة، ومعه رياض الجنة بتخريج أصول السنة للألباني، مؤلف أصول السنة أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (399هـ) تحقيق وتخريج وتعليق: عبد الله بن محمد عبد الرحيم بن حسين البخاري الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية - المملكة العربية السعودية، ط1، 1415 هـ

10 آيات عتاب المصطفى – صلى الله عليه وسلم – في ضوء العصمة والاجتهاد، د.عويد بن عيَّاد بن عايد المطرَفي الناشر: كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الملك عبد العزيز – مكة المكرمة حرسها الله تعالى الطبعة: الثالثة، 1426 هـ – 2005 م

11 الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة، حياة بن محمد بن جبريل الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ط1 1423هـ/2002م

12 الآثار المروية في صفة المعية، محمد بن خليفة بن علي التميمي الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، 1422هـ / 2002م

13 إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، علاء الدين مغلطاي بن قليج الحنفي (762هـ) المحقق: محمد عثمان الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ط1، 2011 م

14 إبطال التأويلات لأخبار الصفات، القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء (458هـ) المحقق: محمد بن حمد الحمود النجدي الناشر: دار إيلاف الدولية – الكويت

15 الإمام أبو الحسن الدارقطني وآثاره العلمية، عبد الله بن ضيف الله الرحيلي الناشر: دار الاندلس الخضراء

16 أبو زرعة الرازي وجهوده في السنة النبوية مع تحقيق كتابه الضعفاء وأجوبته على أسئلة البرذعي، دراسة وتحقيق الدكتور سعدي الهاشمي، الناشر: مكتبة ابن القيم للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1409هـ، 1989م.

17 الأسماء والصفات، للبيهقي (458هـ) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي قدم له: فضيلة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي الناشر: مكتبة السوادي، جدة – المملكة العربية السعودية

18 الإلزامات والتتبع، للدارقطني (385هـ) دراسة وتحقيق: الشيخ أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوداعي

19 الاعْتِصَام، الشاطبي (790هـ) تحقيق ودراسة: الجزء الأول: د. محمد بن عبد الرحمن الشقير الجزء الثاني: د سعد بن عبد الله آل حميد الجزء الثالث: د هشام بن إسماعيل الصيني الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية ط1، 1429 هـ – 2008 م

20 الانتصار لأصحاب الحديث، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (489هـ) المحقق: محمد بن حسين بن حسن الجيزاني الناشر: مكتبة أضواء المنار – السعودية ط1، 1417هـ – 1996م

21 الباعث الحثيث إلى اختصار علوم الحديث، ابن كثير(774هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر

22 الباعث الحثيث على احترام الحديث، أ.د.أحمد بن علي القرني، النشرة الأولى ذو القعدة 1442هـ.

23 البحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي (794هـ) الناشر: دار الكتبي ط1، 1414هـ – 1994م

24 البداية والنهاية، ابن كثير (774هـ) تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان
25 تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، للذهبي (748هـ) المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف الناشر: دار الغرب الإسلامي ط1، 2003 م.
26 تذكرة الحفاظ، للذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) الناشر: دار الكتب العلمية بيروت–لبنان الطبعة: الأولى، 1419هـ- 1998م
27 التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث، للنووي (676هـ) تقديم وتحقيق وتعليق: محمد عثمان الخشت، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، 1405 هـ - 1985 م
28 تاريخ الثقات، للعجلى الكوفى (261هـ) الناشر: دار الباز الطبعة: ط1 1405هـ-1984م
29 تاريخ دمشق، لابن عساكر (571هـ)، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع عام النشر: 1415 هـ - 1995م
30 التاريخ الكبير، الإمام البخاري (256 هـ) تحقيق ودراسة: محمد بن صالح بن محمد الدباسي، ومركز شذا للبحوث بإشراف محمود بن عبد الفتاح النحال الناشر المتميز للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض.
31 تاريخ أسماء الضعفاء والكذابين، أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد بن محمد بن أيوب بن أزداذ البغدادي المعروف بابن شاهين(385هـ) المحقق: عبد الرحيم محمد أحمد القشقري الط1، 1409هـ/1989م
32 التاريخ الكبير المعروف بتاريخ ابن أبي خيثمة - السفر الثالث أبو بكر أحمد بن أبي خيثمة (279 هـ) المحقق: صلاح بن فتحي هَلل الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر - القاهرة ط1، 1424 هـ = 2004 م
33 تحفة الطالب بمعرفة أحاديث مختصر ابن الحاجب، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (774هـ) الناشر: دار ابن حزم ط2، 1416هـ - 1996م
34 التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ) الناشر : الدار التونسية للنشر - تونس سنة النشر: 1984 هـ
35 تفسير القرآن، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (319هـ) قدم له الأستاذ الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي حققه وعلق عليه الدكتور: سعد بن محمد السعد دار النشر: دار المآثر - المدينة النبوية ط1 1423 هـ، 2002 م

36 تقريب الوصول إلي علم الأصول (مطبوع مع: الإشارة في أصول الفقه) أبو القاسم، محمد بن أحمد بن جُزَي الكلبي الغرناطي المالكي (741هـ) المحقق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1424 هـ – 2003 م

37 تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (310هـ) تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ط1، 1422 هـ – 2001 م

38 ترجمة العلامة أحمد محمد شاكر وبيان جهوده العلمية، أبو حيان ابراهيم الأثري، مقال من مجلة الحكمة، نشر مكتبة إمام الدعوة العلمية بمكة المكرمة.

39 تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (1205هـ) المحقق: مجموعة من المحققين الناشر: دار الهداية، شُرع في طباعته عام 1965م، وتم طباعة المجلد (٢١) منه سنة 1984م.

40 تخريج الأحاديث المرفوعة المسندة في كتاب التاريخ الكبير للبخاري، إعداد: الدكتور محمد بن عبد الكريم بن عبيد أستاذ الحديث وعلومه المشارك قسم الكتاب والسنة جامعة أم القرى، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.

41 التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه، مؤلف الأصل: ابن حبان، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (345هـ) ترتيب: الأمير أبو الحسن علي بن بلبان بن عبد الله، علاء الدين الفارسي الحنفي (739هـ) مؤلف التعليقات الحسان: الشيخ الألباني (1420هـ) الناشر: دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة – المملكة العربية السعودية ط1، 1424 هـ – 2003 م

42 تهذيب اللغة محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (370هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ط1، 2001م

43 تهذيب الكمال في أسماء الرجال يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (742هـ) المحقق: د. بشار عواد معروف

44 تدوين السنة النبوية في القرنين الثاني والثالث للهجرة محمد بن صادق بنكيران الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

45 تدوين السنة ومنزلتها عبد المنعم السيد نجم الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة الطبعة: السنة الحادية عشر – العدد الثالث – ربيع الأول 1399هـ

46 تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (911هـ) حققه: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي الناشر: دار طيبة، التقريب والتيسير للنووي بأعلى الصفحة، يليه – مفصولا بفاصل – شرحه «تدريب الراوي» للسيوطي

47 تيسير مصطلح الحديث أبو حفص محمود بن أحمد بن محمود طحان النعيمي الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ط10، 1425هـ-2004م

48 جامع بيان العلم وفضله أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (463هـ) تحقيق: أبي الأشبال الزهيري الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية ط1، 1414 هـ - 1994 م

49 الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (463هـ) المحقق: د. محمود الطحان

50 الجامع (مطبوع آخر مصنف عبد الرزاق) معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي مولاهم، أبو عروة البصري، نزيل اليمن (153هـ) المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي الناشر: المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت ط2، 1403 هـ

51 الجرح والتعديل أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (327هـ) الناشر: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية – بحيدر آباد الدكن – الهند دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، 1271 هـ 1952 م

52 جهود الشيخ أحمد محمد شاكر في تحقيق وفهرسة كتب السنة النبوية الشريفة، الدكتور حسن علي الشايقي، مقال من مجلة: دراسات دعوية، المجلد 2004، العدد الثامن، نشر جامعة إفريقيا العالمية المركز الإسلامي الإفريقي إدارة الدعوة 2004، السودان.

53 جمهرة الأجزاء الحديثية (يحتوي على 19 جزءاً حديثياً نادراً): مجموعة من أصحاب الأجزاء الحديثية قدم له: العلامة المحدث عبد القادر الأرناؤوط اعتناء وتخريج: محمد زياد عمر تكلة الناشر: مكتبة العبيكان، الرياض ط1، 1421 هـ - 2001 م.

54 حَيَاةُ السَّلفِ بَينَ القَوْلِ وَالْعَمل، أَحْمد بن نَاصِر الطيّار، دَار ابْن الْجَوْزِيّ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الدمام – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1433 هـ.

55 الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (535هـ) المحقق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي الناشر: دار الراية – السعودية / الرياض الطبعة: الثانية، 1419هـ - 1999م.

56 حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (430هـ)، الناشر: السعادة – بجوار محافظة مصر، 1394هـ – 1974م.
57 حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه لمحمد إبراهيم الشيباني، مكتبة السراوي، الطبعة الأولى: 1407هـ، 1987م.
58 درء تعارض العقل والنقل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (728هـ) تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية ط2، 1411هـ – 1991 م.
59 ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل (مطبوع ضمن كتاب «أربع رسائل في علوم الحديث») شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (748هـ) المحقق: عبد الفتاح أبو غدة الناشر: دار البشائر – بيروت ط4، 1410هـ، 1990م
60 الرسالة، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (204هـ) المحقق: أحمد شاكر الناشر: مكتبه الحلبي، مصر ط1، 1358هـ/1940م
61 الرسالة العلمية، لسعدي بن مهدي الهاشمي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية
62 الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، أبو عبد الله محمد بن أبي الفيض جعفر بن إدريس الحسني الإدريسي الشهير بـ الكتاني (1345هـ) المحقق: محمد المنتصر بن محمد الزمزمي الناشر: دار البشائر الإسلامية، ط6، 1422هـ–2000م
63 رد شبهات حول عصمة النبى صلى الله عليه وسلم فى ضوء السنة النبوية الشريفة، عماد السيد محمد إسماعيل الشربينى، رسالة دكتوراة، جامعة الأزهر، كلية أصول الدين بالقاهرة.
64 زاد المعاد في هدي خير العباد [آثار الإمام ابن القيم الجوزية وما لحقها من أعمال (30)] المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (751هـ) الناشر: دار عطاءات العلم (الرياض) – دار ابن حزم (بيروت) ط3، 1440 هـ – 2019 م (الأولى لدار ابن حزم).
65 سنن أبي داود،أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (275هـ)،المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.
66 سنن الترمذي،محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (279هـ) تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في

الأزهر الشريف (جـ 4، 5) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر ط3، 1395 هـ – 1975م.

67 سنن ابن ماجه ت الأرناؤوط ابن ماجة – وماجة اسم أبيه يزيد – أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (273هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد – محمَّد كامل قره بللي – عَبد اللّطيف حرز الله، الناشر: دار الرسالة العالمية، ط1، 1430 هـ – 2009م.

68 سؤالات حمزة بن يوسف السهمي أبو القاسم حمزة بن يوسف بن إبراهيم السهمي القرشي الجرجاني (427هـ) المحقق: موفق بن عبد الله بن عبدالقادر الناشر: مكتبة المعارف – الرياض

69 سير أعلام النبلاء شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (748هـ) المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط الناشر : مؤسسة الرسالة، ط3 ، 1405 هـ / 1985م.

70 سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين (1420هـ) الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض ط1، (لمكتبة المعارف)، عام النشر: من 1415 و1422هـ.

71 سنن سعيد بن منصور (227 هـ)، دراسة وتحقيق: د سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد الناشر: دار الصميعي للنشر والتوزيع ط1، 1417 هـ – 1997 م.

72 السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: مصطفى بن حسني السباعي (1384هـ) الناشر: المكتب الإسلامي: دمشق – سوريا، بيروت – لبنان ط3، 1402 هـ – 1982 م (بيروت).

73 السنة أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي (294هـ) المحقق: سالم أحمد السلفي الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت ط1، 1408هـ.

74 السنة النبوية وحي من الله محفوظة كالقرآن. الذكتور الحسين آيت السعيد، وهو بحث مقدم في ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالسنة والسيرة النبوية عام 1425.

75 السنة قبل التدوين، محمد عجاج بن محمد تميم بن صالح بن عبد الله الخطيب الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ط3، 1400 هـ – 1980 م أصل هذا الكتاب: رسالة ماجستير من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة.

76 سنن أبي داود أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (275 هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط – محمد كامل قره بللي الناشر: دار الرسالة العالمية ط1، 1430 هـ – 2009 م.

77 سنن سعيد بن منصور، سعيد بن منصور (227هـ) تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية: أ. د. سعد بن عبد الله الحميد و د. خالد بن عبد الرحمن الجريسي، الناشر: دار الألوكة للنشر، الرياض – المملكة العربية السعودية ط1، 1433 هـ – 2012 م.

78 سنن سعيد بن منصور أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني (227 هـ) المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي الناشر: الدار السلفية – الهند، ط1، 1403 هـ –1982 م

79 الشريعة، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (المتوفى: ٣٦٠هـ) المحقق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي الناشر: دار الوطن – الرياض / السعودية ط2، 1420 هـ – 1999 م.

80 شرح علل الترمذي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (795هـ) المحقق: الدكتور همام عبد الرحيم سعيد الناشر: مكتبة المنار – الزرقاء – الأردن.

81 شرح السنة، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط–محمد زهير الشاويش الناشر: المكتب الإسلامي – دمشق، بيروت ط2، 1403هـ – 1983م

82 شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (418هـ) تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي الناشر: دار طيبة – السعودية ط8، 1423هـ / 2003م.

83 شرح أَلْفِيَّةِ السُّيوطي في الحديث المسمى «إسعاف ذوي الوَطَر بشرح نظم الدُّرَر في علم الأثر»، الشيخ محمد ابن العلامة علي بن آدم ابن موسى الأثيوبي الولوي الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية ط1، 1414 هـ – 1993 م.

84 شرح (التبصرة والتذكرة = ألفية العراقي)، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (806هـ) المحقق: عبد اللطيف الهميم – ماهر ياسين فحل الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ط1، 1423هـ – 2002 م.

85 شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت ١٤٢١هـ الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض ط: ١٤٢٦ هـ.

86 شَرْحُ صَحِيح مُسْلِم، لِلقَاضِي عِيَاض المُسَمَّى، إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (544هـ) المحقق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر ط1، 1419 هـ – 1998 م

87 شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي (792هـ) تحقيق: جماعة من العلماء تخريج: ناصر الدين الألباني الناشر: دار السلام للطباعة والنشر التوزيع والترجمة (عن مطبوعة المكتب الإسلامي) ط1المصرية، 1426هـ – 2005م.

88 الشفا بتعريف حقوق المصطفى، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (544هـ) الناشر: دار الفيحاء – عمان ط2 – 1407 هـ.

89 شرح حديث جبريل – عليه السلام – في الإسلام والإيمان والإحسان المعروف باسم كتاب «الإيمان الأوسط»، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية دراسة وتحقيق: الدكتور علي بن بخيت الزهراني أصل التحقيق: أطروحة دكتوراه – قسم الدراسات العليا الشرعية فرع العقيدة بجامعة أم القرى الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية عام النشر: 1424/هـ/ 2003م.

90 شرح مشكل الآثار، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (321هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة ط1، 1415 هـ، 1994م.

91 صحيح البخاري، تحقيق: جماعة من العلماء طبع: بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر المحمية، عام 1311 هـ، بأمر السلطان عبد الحميد الثاني ثم صَوّرها بعنايته: د. محمد زهير الناصر، وطبعها الطبعة الأولى عام 1422 هـ لدى دار طوق النجاة – بيروت.

92 الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، [آثار الإمام ابن قيم الجوزية وما لحقها من أعمال (٣٣)]ابن قيم الجوزية (751هـ) تحقيق: حسين بن عكاشة بن رمضان تخريج: حسين بن حسن باقر كريم محمد عيد راجعه: محمد أجمل الإصلاحي – سعود بن عبد العزيز العريف الناشر: دار عطاءات العلم (الرياض) – دار ابن حزم (بيروت) ط1(لدار ابن حزم)، 1442 هـ – 2020.

93 صحيحُ ابن خُزَيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة (311هـ) حَققهُ وعَلّق عَلَيه وَخَرّجَ أحَاديثه وَقدَّم له: الدكتور محمد مصطفى الأعظمي الناشر: المكتب الإسلامي ط3، 1424 هـ – 2003 م.

94 صفة الصفوة، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (597هـ)، المحقق: أحمد بن علي، الناشر: دار الحديث، القاهرة، مصر، ط ،1421هـ/2000م.

95 صيد الخاطر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (597هـ) بعناية: حسن المساحي سويدان الناشر: دار القلم – دمشق، ط1هـ 14– 2004م.

96 الضعفاء: لأبي زرعة الرازي، الرسالة لسعدي بن مهدي الهاشمي الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: 1402هـ/1982م

97 العلم أبو خيثمة زهير بن حرب النسائي (234هـ) المحقق: محمد ناصر الدين الألباني الناشﷺ المكتب الإسلامي – بيروت ط2، 1403هـ – 1983م

98 العلل ومعرفة الرجال أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (241هـ) المحقق: وصي الله بن محمد عباس الناشر: دار الخاني، الرياض ط2، 1422 هـ – 2001 م.

99 عش مع الخلفاء والملوك (سيرة مختصرة) الدكتور/ مرزوق بن هياس الزهراني، الناشر: (بدون ناشر) (طُبع على نفقة رجل الأعمال الشيخ جمعان بن حسن الزهراني)، ط1، 1437 هـ - 2016 م.

100 الفصول في السيرة أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (774هـ) تحقيق وتعليق: محمد العيد الخطراوي، محيي الدين مستو الناشر: مؤسسة علوم القرآن ط3، 1403 هـ

101 فضل علم السلف على علم الخلف [مطبوع ضمن مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي]، لزين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (759هـ)، دراسة وتحقيق: أبي مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر الطبعة: الأولى، 1425هـ - 2004م.

102 فوائد المستخرجات من خلال مسند أبي عوانة، نايف بن ناصر المنصور رسالة: ماجستير في الحديث - كلية العلوم الإسلامية - جامعة المدينة العالمية، ماليزيا إشراف: د عزت روبي الجرحي

103 فتح المغيث بشرح الفية الحديث، للعراقي شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (ت ٩٠٢هـ) المحقق: علي حسين علي الناشر: مكتبة السنة - مصر ط1، 1424هـ / 2003م

104 القرآنيون، نشأهم - عقائدهم - أدلتهم، علي محمد زينو الناشر: دار القبس، دمشق ط1، 1432 هـ - 2011 م

105 القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (817هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان ط8، 1426هـ -2005 م

106 الكامل في ضعفاء الرجال، أبو أحمد بن عدي الجرجاني (365 هـ) تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود-علي محمد معوض شارك في تحقيقه: عبد الفتاح أبو سنة الناشر: الكتب العلمية - بيروت-لبنان ط1، 1418 هـ 1997 م

107 الكفاية في علم الرواية، الخطيب البغدادي (463هـ) المحقق: أبو عبدالله السورقي , إبراهيم حمدي المدني الناشر: المكتبة العلمية - المدينة المنورة

108 لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني (852هـ) المحقق: دائرة المعرف النظامية - الهند الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان ط2، 1390هـ /1971م

109 لسان الميزان، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (852هـ) المحقق: عبد الفتاح أبو غدة الناشر: دار البشائر الإسلامية ط1، 2002 م

110 لباب الآداب، أبو المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي الشيزري (584هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: مكتبة السنة، القاهرة ط2، 1407 هـ – 1987 م.

111 لسان العرب، ابن منظور الإفريقى (711هـ) الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين الناشر: دار صادر – بيروت ط3 – 1414 هـ.

112 محاضرة في علم الرجال وأهميته، [آثار عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني (15)]عبد الرحمن بن يحيى المُعَلِّمي اليماني (1313 – 1386 هـ) المحقق: علي بن محمد العمران راجعه: محمد أجمل الإصلاحي – عادل بن عبد الشكور الزرقي، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع ط1، 1434 هـ

113 المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي تحقيق: محمد محب الدين أبو زيد الناشر: دار الذخائر ط1، 2016 م

114 المصنف، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني تحقيق ودراسة: مركز البحوث وتقنية المعلومات – دار التأصيل (هذه الطبعة أعيد تحقيقها على ٧ نسخ خطية) الناشر: دار التأصيل ط2، 1437 هـ – 2013 م.

115 المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (235هـ) المحقق: كمال يوسف الحوت الناشر: مكتبة الرشد – الرياض ط1، 1409هـ

116 المحلى بالآثار، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (456هـ) الناشر: دار الفكر – بيروت، بدون طبعة وبدون تاريخ

117 مختار الصحاح، لزين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (666هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، 1420هـ / 1999م

118 معرفة علوم الحديث، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (405هـ) المحقق: السيد معظم حسين الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ط2، 1397هـ – 1977م

119 معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: 1399هـ – 1979م

120 الموقظة في علم مصطلح الحديث، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (748هـ) اعتنى به: عبد الفتاح أبو غُدّة الناشر: مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب ط2، 1412 هـ

121 مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (728هـ) المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية

122 المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي تحقيق: محمد محب الدين أبو زيد الناشر: دار الذخائر ط1، 2016 م

123 المجروحين من المحدثين، ابن حبان المحقق: حمدي عبد المجيد السلفي الناشر: دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية ط1، 1420 هـ – 2000 م

124 الموسوعة الفقهية الكويتية صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، الطبعة: (من 1404 – 1427هـ) الأجزاء 1 – 23: ط2، دارالسلاسل – الكويت الأجزاء 24– 38: ط1، مطابع دار الصفوة – مصر الأجزاء 39 – 45: ط2، طبع الوزارة.

125 معرفة علوم الحديث، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (405هـ) المحقق: السيد معظم حسين الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ط2، 1397هـ – 1977م

126 مقدمة ابن الصلاح "علوم الحديث": عثمان بن الصلاح عبدالرحمن بن موسى بن أبي النصر الشافعي (643 هـ)، مع "محاسن الاصطلاح": لعمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكناني، العسقلاني الأصل، ثم البلقيني المصري الشافعيّ، أبو حفص، سراج الدين (805هـ). المحقق: د عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) أستاذ الدراسات العليا، كلية الشريعة بفاس، جامعة القرووين. الناشر: دار المعارف.

127 مشيخة القزويني، عمر بن علي بن عمر القزويني، أبو حفص، سراج الدين (750هـ) المحقق: الدكتور عامر حسن صبري الناشر: دار البشائر الإسلامية

128 المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (656 هـ) حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ميستو – أحمد محمد السيد – يوسف علي بديوي – محمود إبراهيم بزال الناشر: (دار ابن كثير، دمشق – بيروت)، (دار الكلم الطيب، دمشق – بيروت) ط1، 1417 هـ – 1996 م

129 منهج النقد في علوم الحديث، الدكتور نور الدين عتر الناشر: دار الفكر، دمشق – سورية الطبعة: الثالثة، 1401 هـ –1981 م

130 المدخل إلى علم السنن، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (485 هـ) اعتنى به وخرَّجَ نقُولَه: محمد عوامة الناشر: دار اليسر للنشر والتوزيع، القاهرة – جمهورية مصر العربية، دار المنهاج للنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ط1، 1437 هـ – 2017 م

131 مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزْأُوغلي بن عبد الله المعروف بـ «سبط ابن الجوزي» (654هـ) تحقيق وتعليق: جماعة من المحققين، الناشر: دار الرسالة العالمية، دمشق – سوريا ط1، 1434 هـ – 2013 م

132 معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (ت ٣٨٨هـ) الناشر: المطبعة العلمية – حلب ط1351،1 هـ – 1932 م

133 المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (360هـ) المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد , عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني الناشر: دار الحرمين – القاهرة

134 المصنف، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني تحقيق ودراسة: مركز البحوث وتقنية المعلومات – دار التأصيل (هذه الطبعة أعيد تحقيقها على ٧ نسخ خطية) الناشر: دار التأصيل، ط2، 1437 هـ – 2013م.

135 مسند الإمام الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، درسه وضبط نصوصه وحققها: الدكتور/ مرزوق بن هياس آل مرزوق الزهراني، الناشر: (بدون ناشر) (طُبع على نفقة رجل الأعمال الشيخ جمعان بن حسن الزهراني) الطبعة: الأولى، 1436 هـ – 2015م

136 المسند ، الإمام أحمد بن حنبل (241 هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة

137 المسند، أبو بكر محمد بن هارون الرُّوياني (307هـ) المحقق: أيمن علي أبو يماني الناشر: مؤسسة قرطبة – القاهرة الطبعة: الأولى، 1416هـ.

138 المسنَد الصَّحيح المُخَرّج عَلى صَحِيح مُسلم، أبو عَوانة (316هـ) تحقيق: جماعة من المحققين، الناشر: الجَامِعَة الإسلاميَّة، المملَكة الْعَرَبيَّة السَّعُودية، الطبعة: الأوُلى، ١٤٣٥ هـ – ٢٠١٤م

139 موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية". أكثر من 9000 موقف لأكثر من 1000 عالم على مدى 15 قرنًا(أبو سهل محمد بن عبد الرحمن المغراوي، الناشر: المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، النبلاء للكتاب، مراكش – المغرب، ط1

140 الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ) المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان الناشر: دار ابن عفان الطبعة: ط1، 1417هـ/ 1997م

141 المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام (728هـ) جمعه ورتبه وطبعه على نفقته: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم (1421هـ) الطبعة: الأولى، 1418هـ

142 المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم (405هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ط1، 1411هـ – 1990م

143 مجموع الفتاوى، ابن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ) المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية عام النشر: 1416هـ/1995م،.

144 مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (666هـ) المحقق: يوسف الشيخ محمد الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا ط5، 1420هـ / 1999م

145 مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، عصر الخلافة الراشدة دراسة نقدية، ليحي بن إبراهيم اليحي، الناشر: دار العاصمة الرياض، رسالة ماجستير.

146 مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، للسيوطي (911هـ)، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط: 3، 1409هـ/1989م

147 معجم مقاييس اللغة المؤلف: ابن فارس (395هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر عام النشر: 1399هـ – 1979م

148 النكت على كتاب ابن الصلاح، ابن حجر العسقلاني (852هـ) المحقق: ربيع بن هادي عمير المدخلي الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية

149 الوقوف على الموقوف على صحيح مسلم، ابن حجر العسقلاني (852هـ) المحقق: عبد الله الليثي الأنصاري الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت ط1، 1406هـ

150 الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب [آثار الإمام ابن قيم الجوزية وما لحقها من أعمال (2)] ابن قيم الجوزية (751هـ) المحقق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد راجعه: حاتم بن عارف الشريف – يحيي بن عبد الله الثمالي الناشر: دار عطاءات العلم (الرياض) – دار ابن حزم (بيروت) ط5، 1440 هـ – 2019م (الأولى لدار ابن حزم)

151 الوسيط في علوم ومصطلح، الحديث محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (1403هـ) الناشر: دار الفكر العربي.

فهرس المحتويات

المقدمة..... 4

الفصل الأول: منزلة السنة النبوية وآثار السلف في الإسلام..... 10

تمهيد: في معنى السنة لغة واصطلاحا 11

تنبيه :فيما يتعلق بسنة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم 14

المبحث الأول: بيان منزلة السنة من خلال النقل والعقل. 15

المطلب الأول: منزلة السنة من خلال نصوص القرآن الكريم. 16

المطلب الثَّاني: منزلة السُّنة من خلال نصوص السنة: 23

المطلب الثالث: الاستدلال العقلي على منزلة السنة وحجيتها. 29

الجزئية الأولى: منزلة العقل عند أهل السنة. 29

الجزئية الثانية: مقدمات عقلية تثبت حجية ومنزلة السنة 31

المبحث الثاني: علو منزلة السنة عند السلف والأئمة. 36

توطئة: أهمية مطالعة سير السلف..... 37

المطلب الأوَّل: منزلة السنة وصاحبها ﷺ عند الصحابة رضي الله عنهم. 39

ما جاء عن الصحابة –رضي الله عنهم– في محبته ﷺ وتعظيمه في صور من حياة بعض أعلام الصحابة رضي الله عنهم: 39

ما جاء عن الصحابة –رضي الله عنهم– من سرعة استجابتهم ومبادرتهم لامتثال أمره واجتناب نهيه فذاك باب واسع: 42

تشديد الصحابة –رضي الله عنهم– على من لا يعظم السنة: 44

تعظيمهم شأن الحديث عنه: 45

المطلب الثاني: منزلة السنة وصاحبها ﷺ عند السلف والصالحين بعد الصحابة رضي الله عنهم. 47

صور مشرقة من تعظيم السلف للنبي ﷺ: 47

تشديد السلف النكير على من عارض السنة: 49

المبحث الثالث: فضل السلف الصالح في الإسلام. 53

تمهيد: فضل السلف إجمالا وبيان أهمية إجماعهم وحكم اختلافهم، وتحديد المقصود بالسلف 54
المطلب الأول: فضل السلف –رضي الله عنهم–. 57
الفرع الأول: فضل السلف من خلال نصوص الكتاب والسنة. 57
أولا: فضل السلف من خلال نصوص القرآن: 57
ثانيا: فضل السلف من صحيح السنة 59
الفرع الثاني: فضل السلف من خلال الآثار وكلام الأئمة. 62
المطلب الثاني: بيان أن اختلاف السلف وتنازعهم لا يقدح في فضلهم وعدالتهم. 67
الفرع الأول: ما جرى بين الصحابة رضي الله عنهم. 67
الفرع الثاني: اختلاف السلف بعد الصحابة رضي الله عنهم. 72
وقفة مع مسألة كلام الأقران بعضهم في بعض: 72
الفصل الثاني: جهود المحدثين في العناية بالسنن والآثار. 79
وفيه مبحثان: 79
المبحث الأول: معالم وأساسات قامت عليها الرواية عند أهل الحديث. 80
تمهيد: بيان فضل أمة الإسلام بعناية المحدثين بالأسانيد 81
المطلب الأوَّل: اعتبارهم السنة وحيا. 85
المطلب الثاني: عنايتهم بالتلقي والتحمل والحفظ، والأداء والبلاغ، والرحلة وطلب العلو وتكثير الطرق. ... 91
العنصر الأول: التحمل بالسماع وغيره، والحفظ والبلاغ. 91
العنصر الثاني: الرحلة للسماع والتثبت والعلو وتكثير الطرق 93
العنصر الثالث: الحرص على العلو وتكثير الطرق 97
مسألة مهمة: الرواية بالمعنى 100
المطلب الثالث: عنايتهم بالسنن والآثار كتابة وتدوينا وتصنيفا. 103
المطلب الرابع: عنايتهم بعلم الرجال والجرح والتعديل. 110
المبحث الثاني: المصنفات التي أثمرتها جهود المحدثين. 116
وفيه توطئة ومطلبان: 116

توطئة: نشأة تدوين الحديث. 117
المطلب الأول: المصنفات في المتون: 119
المطلب الثاني: المصنفات في علم الرجال. 145
الفصل الثالث: مظاهر حفظ السنة وتجديد الدين عند السلف والمحدثين. 156
مدخل: حفظُ اللهِ لكتابه وسنة نبيهﷺ، و خطر البدع والمحدثات وشدة تحذير النبي ﷺ منها، وبيان أن العقيدة الصحيحة مستمدة من الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح، وذكر معنى التجديد. 157
المبحث الأول: مظاهر حفظ السنة وتجديد الدين عند المتقدمين. 165
المظهر الأول: إيراد السنة لبيان بطلان الأهواء والبدع والمحدثات. 165
المظهر الثاني: مناظرة أهل الباطل لردهم إلى الحق أو بيان بطلان ماهم عليه. 166
المظهر الثالث: تشديد النكير في بدع في العبادات وغيرها. 171
المظهر الرابع: كشف الوضع في الحديث وتمييز الصحيح من الضعيف: 174
المظهر الخامس: رد الشبهات ودفع التعارض حول نصوص السنة. 177
الجانب الأول: تقرير أنه لا تعارض حقيقي بين نصوص السنة ولا بين السنة والعقل السليم. 178
الجانب الثاني: مثال من مشكل الحديث والجواب عنه: 179
المبحث الثاني: مظاهر حفظ السنة وتجديد الدين من خلال جهود بعض العلماء المتأخرين من المعاصرين. 184
المظهر الأول: رد الشبهات حول السنة والانتصار للسلف وأهل الحديث. 184
النموذج الأول: من جهود العلامة المعلمي (1386هـ)–رحمه الله– 185
النموذج الثاني: جهود الشيخ السباعي (1384هـ)–رحمه الله– 192
المظهر الثاني: خدمة الحديث النبوي: 197
النموذج الأول: العلامة المحدث أحمد شاكر (1377هـ): 198
النموذج الثاني: الإمام المجدد محمد ناصر الدين الألباني (1420هـ) –رحمه الله– 204
الخاتمة 209
الفهارس 212
فهرس الآيات 213

فهرس الأحاديث 215
فهرس المصادر والمراجع 218
فهرس المحتويات 232

تمت